الموسوعة العسكرية الإسرائيلية "٢"

سلاح الاستخبارات

بقلم: عودد غرانوت

ترجمة دار الجليل



الموسوعة العسكرية

هذا الكتاب

... ثاني ثمانية عشر مجلداً، تغطي مختلف الاسلحة التي يتشكل الجيش الاسرائيلي من مجموعها، عدة وعتادا وتنظيما.

ويتناول بالتحديد، سلاح الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية، ذلك السلاح، الذي اعتبره قادة اسرائيل، وما يزالون، صمام الامان، الذي يدق ناقوس الخطر، في مواجهة اي تهديد قادم، فضلاً عن انه يملك زمام حالتي الحرب والسلم، ذلك ان تقديراته، ترسم خريطة السياسة الاسرائيلية في المنطقة العربية.

وتتطاول اعناق زعماء اسرائيل، وهم يتحدثون عن فعالية سلاح استخبازاتهم، الذي اثبت في احايين كثيرة، قدرة على التنبؤ بما يخبؤه المستقبل، تقرر في ضوئه، توجيه ضربات استباقية، او شن حروب اصطلحوا على تسميتها «وقائية»، لاحباط اي تطورات جديدة في الجيوش العربية.

ومع ان امانة البحث تقتضي منا، عدم اغفال قدرة هذا السلاح الاسرائيلي، الا ان واقع الحال يؤكد انه ليس سلاحا خرافيا، حيث امكن اختراقه وتضليله، حين خابت توقعاته عشية حرب تشرين عام ١٩٧٣، وابان الغزو الاسرائيلي للبنان.

ويمكننا الاشارة، في هذا الصدد، الى عجز سلاح الاستخبارات الاسرائيلي، ونظيره الاميركي ايضا، عن رصد المحادثات السعودية ـ الصينية، التي تمخضت عنها، صفقة الصواريخ الصينية للسعودية، الامر الذي يؤكد على حقيقة تراجع السلاح الاستخباري الاسرائيلي، وعدم قدرته على مواكبة الاحداث، بمثل ما يؤكد حقيقة تطور اسلحة الاستخبارات العسكرية العربية.

ولعل من المفيد والمثير في آن واحد، ان نشير في هذا السياق، الى ان تراجع هذا السلاح، يجد ترجمته العملية في ناحيتين، لا تقلان اهمية عن عجزه في الميادين الاستخبارية:

* اولاهما: ذلك الصراع المحتدم الذي اصبح صفة ملازمة لقادة هذا السلاح فيما بينهم من جهة، والصراع القائم بينهم وبين قادة الاجهزة الاستخبارية الاخرى.

* الثانية: اكداس الاوراق التي تحمل صفة استخبارية، وذات الاهمية القصوى التي يتم العثور عليها، في اكوام القمامة بين الحين والآخر.

بقي ان نقول، ان هذا المجلد، شأن المجلدات الاخرى، التي تغطي اسلحة الجيش الاسرائيلي، وضع خصيصا، لافادة الجيش الاسرائيلي، بيد ان ترجمته ووضعه بين ايدي الباحثين والمهتمين والمختصين العسكريين العرب، لا بد وان تحقق قدرا ما من الفائدة.

الثمن : ٤ دنانير

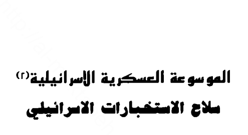


اصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والابحاث الفلسطينية

ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١



مكتبة
فلسطين



الموسوعة العسكرية الإسرائيلية(٢)

سلاح الاستخبارات الاسرائيلي

٣٥٥٫٣٤٣٢
غر غرانوت ، عوديـــد
سلاح الاستخبارات الاسرائيلي / عوديد غرانوت، ترجمة
دار الجليل للنشر ـ عمان : دار الجليل للنشر ، ١٩٨٨.
(٢٢٨) ص
ر.أ (١٩٨٨/٧/٣٩٢)
١ ـ الاستخبارات أ ـ العنـوان
ب ـ دار الجليل «مترجم»
(تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية)

تصميم الغلاف الفنان خضر نعيم

الطبعة الأولى

١٩٨٨

دار الجليل للنشر
والدراسات والابحاث الفلسطينية ـ عمان
ص ب ٨٩٧٢ ـ تلفون ٦٦٧٦٢٧

الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢)

المستشار الرئيس: الجنرال (الاحتياط) مردخاي غور
المحــــــــررون: يعقوب ايريز، ايلان كفير.
المحــرر المسؤول: يهودا شيف.

سلاح الاستخبارات الاسرائيلي

بقلم: عودد غرانوت

ترجمة: دار الجليل



اصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والابحاث الفلسطينية
عمان - ص ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧ ، ٦٧٥٦٢٧
تلكس ٢٣٠٢١ - فاكسميلي ٦٨٣٦٦٨

The Israeli Military Encyclopedia (2)

Chief Counsellor: General (res) Mordachi Ghour

Editors :

Yacoub Erez

Ilan Kafir

Editor in chief :

Yehoude Sheif

Israeli Military Intelligence

By: Oded Granot

Translated by Dar El-Jaleel

First Edition

1988

Published By :

Dar El Jaleel For Publishing & Palestinion

Research & Studies

P.O.Box 8972 Tel. 667627

Telex 23031 - Fax 683668

Amman - Jordan

المحتويات

تقديـــــم:

اذا كانت الدروع والطائـرات والمـدافـع، ومختلف أسلحـة القتـال المـزودة بأحـدث التكنـولوجيـا، قادرة على حسم معركة ما، لصالح هذه الدولة او تلك، فان سلاح الاستخبـارات يتخـذ مركـز القلب من هذه الاسلحـة، لأنـه الأقدر على دقّ ناقـوس الخـطر، قبـل وقـوعـه، وبذا تتهيأ فرص الاستعداد المسبق، بحيث يمكن التصدي لأي ضربة او امتصاصها، ولو كانت مفاجئة...

وفي ظل سيـاسـة الاستقـطاب، التي تسـود العالم اليوم، من خلال الوجوه الاستعمـاريـة «الحضـاريـة» المقنعة، ومحاولات الاستفراد بالامم الضعيفة، يغدو سلاح الاستخبـارات، من الأهميـة بحيث ينبغي أن يكـون العقل المتفتح، والعين الساهرة للدولة .. اي دولة...

لكن الوضع بالنسبة لاسرائيل، مختلف تماماً، ذلك انها ذراع استعمارية في منـطقـة الشرق الاوسـط، تتخذ الصفة الشرطية، للمحافظة على المصالح الأمريكية ومن هنـا كانت الضرورة تقتضي بنـاء جيش اسرائيـلي، هو الأقـوى، في مواجهـة جيوش الدول العربية، يكون مزوداً بأحدث ما توصلت إليه التكنولوجيا في أمريكا.

وإذا ما أضفنـا الى ذلك، عقـدة الخـوف التي يعـاني منهـا زعمـاء الكيان الصهيوني، من خلال ادراكهم لماهية وجودهم على أرض اغتصبوها من أصحابها، ليبنـوا عليهـا دولتهم، فاننا نفهم طبيعة التهافت على بناء مختلف انواع الاسلحة، بشكل تسابقي ، مع الدول الأكثر تقدماً في العالم...

اسرائيـل تبـاهي بسـلاح استخبـاراتهـا، مثلمـا تبـاهي بمجمـل أجهـزة الاستخبـارات الأخـرى ـ المـوساد وجهاز الامن ـ وتهيىء لهذا السلاح جملة من العنـاصر، ترفده بأسباب المنعة والقوة، بدءاً من الأدمغة ومراكز الابحاث، وانتهاء بالتكنولوجيا المتقدمة...

لا نقلل من قدرة هذا السـلاح الاسرائيـلي، الذي يعتبـر السلطة صاحبـة القـرار (رقم ١)، في صنـع الضربـات الاستباقية، التي شنتها اسرائيل ضد الامة العربية، باعتبارها غير قادرة على احتمال مجرد هزيمة واحدة، بيد أن هذه القدرة،

ما كانت لتتوفر لاسرائيل، لولا التعاون الاستخباري مع سر وجودها، امريكا، الدولة العظمى التي تملك كل وسائل التجسس العلمية والبشرية...

على أن هذا السلاح الاسرائيلي الاستخباري، ليس خارقاً، كما تحاول وسائل الاعلام تصويره، فقد سجلت حالات كثيرة، امكن فيها تعميته وتعمية رافده جهاز الاستخبارات الامريكي، كما حدث في حرب رمضان، حيث اخذ الجيش الاسرائيلي على حين غرّة، وانطلق الجيشان المصري والسوري، ليحطما الحصون الاسرائيلية التي ظنوها منيعة، ليدبّ الرعب في صفوف الجيش، قادة وافراداً، ويصاب المجتمع الاسرائيلي، بحكامه، بحالة من الذعر، الزمت الكيان الصهيوني، فيما بعد باعادة حساباته... ومثل ذلك يمكن ان يقال في حرب لبنان، حين فشلت الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في معرفة حجم القوة التي سيتسنى لعسكر اسرائيل ان يواجهوها على الساحة اللبنانية.. وغير ذلك كثير...

لقد اثبتت الوقائع، ان سلاح الاستخبارات الاسرائيلي، شأنه في ذلك شأن الاسلحة الاخرى، ليس محصناً، ويمكن اختراقه وتحييده ايضاً، عربياً، وهو مع ذلك، يكتسب قوته ومنعته في بعض الأحيان، من الثغرات، القائمة في الاسلحة، العربية الا ان هذا الوضع، لم يعد له وجود، وبذلك يفقد هذا السلاح الاسرائيلي وهجه، ليبدو سلاحاً ككل الاسلحة الاخرى...

دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية وهي تقدم الكتاب الثاني في سلسلة «الموسوعة العسكرية الاسرائيلية» عن «سلاح الاستخبارات الاسرائيلي» انما تهدف الى تعريف ذوي الاختصاص والمهتمين والدارسين العرب، بمجمل الاسلحة الاسرائيلية، التي سيكون فيها، قطعاً ما يفيد، وستكون حريصة على اصدار الكتب التي تتولى معالجة بقية الاسلحة تباعاً...

بقي أن نقول ان ما ورد في حيثيات الكتاب في معظمه، ليس من المسلمات التي لا يرقى اليها الشك، ذلك انها دوّنت اصلاً، لتخدم اغراضاً اسرائيلية صرفة، ولا نحسب الا ان الباحث المتخصص، سيضع يده على كل غث، ويستنبط كل ما يمكن الافادة منه، ولو كان ذلك تائهاً بين السطور..

والله الموفق ،،

[أسرة دار الجليل]

ان سلاح الاستخبـارات كغيره من الاسلحة الاخرى، في الجيش الاسرائيلي لم يتـطور من لا شيء. فجـذوره تعـود الى خدمـات «يـديعـوت» التـابعة للهاجناه «شـاي»، التي عملت طيلة سنوات عديدة كهيئة استخبارية رئيسة للدولة العتيدة. لقد كانت «شاي» تضم داخلها عدة وظائف استخبارية ـ امنية، وهي:

خدمات الاستخبارات (ش.م)، وخدمات الامن (ش.ب)، والشرطة العسكرية المحققة (م.ص.ح)، ومجموعات مباحث اخرى، وشملت مجالات عمل (شاي) ليس فقـط جمـع المعلومـات وتعقب الانجليـز، والعـرب واليهـود الذين كانـوا يعتبـرون متعـاونـين، وانمـا ايضـا حماية عمليات الشراء والهجرة السرية التي كان ينظمها الاستيطان اليهودي في فلسطين.

في بدايـة عهـدهـا اعتمـدت (شـاي) على اعضـاء الهـاجناه، وهم الشرطة والموظفون اليهود الذين يعملون في نظام الحكم الانجليزي والذين كانوا يساعدون على جمـع المعلومـات الحيـويـة ونقلهـا الى الهـاجناه والهيئات المسؤولة، ان روح التطوع والتضحية التي كانت تميز نشاطات اعضاء الهاجناه في الاقاليم المختلفة، غطت اكثـر من مرة على نقـاط الضعف المتـواجـدة في الاطار التنظيمي الضعيف، وعـلى غيـاب جهـاز مركزي هدفه الاهتمام بتوجيه عمليات جمع المعلومات ودراسة وتقييم المعلومـات الهامة المتعلقة بالمواضيع الامنية للاستيطان اليهودي، ولكن مع مرور الزمن، كلمـا تصـاعـد النضال ضد الانتداب البريطاني، كلما تحسن جهاز (شـاي) واتسـع مع هذا التحسن جهـاز جمـع المعلومـات، وشمـل تقـريبا جميع مجـالات النشـاطات السريـة، ابتـداء من التنصت لمراكـز الشرطة والشـواطىء البـريـطانيـة مرورا بتحليـل الشفـرات والصـور السريـة للوثـائق السريـة وانتهاء باستخـدام عمـلاء عرب، كانـوا يجمعـون المعلومات عن العصابات المسلحة وعن النشـاطات المنـاوئـه داخـل القـرى العربية، كما ان بعثات من (شاي) عملت في الدول الاجنبية.

بعـد قيـام «الدولة» تم حل (شـاي)، وبـدلا منها اقيمت هيئات استخبارية مختلفـة كونت جميعهـا مجمـوعـة المخـابـرات «لدولة اسرائيـل»، وهي: خدمـة الاستخبـارات العسكرية التي اصبحت فيما بعد تعرف باسم سلاح الاستخبارت

في الجيش الاسرائيلي و «ش.ب.ك.» اي خدمات الامن العام و «الموساد» للمخابرات والوظائف الخاصة لكن التوالي التاريخي لم يتوقف، فالشخصيات التي تزعمت خدمات يديعوت (شاي) مثل اليسر هرئيل بئيرى واليسر (الصغير) هرئيل، وبنيامين جبلي وغيرهم، ترأسوا ايضا الاقسام الاستخبارية الجديدة «للدولة» وكذلك العملاء العرب الذين استخدمتهم «شاي» وضعوا تحت اشراف الاستخبارات العسكرية، ورجال شاي الذين عملوا في التنصت على الانجليز انضموا الى وحدة التنصت في سلاح الاستخبارات، وقاموا بالتنصت على الاذاعات والمكالمات اللاسلكية العربية وكذلك فان التجارب التي اكتسبت في عهد الانتداب ساعدت على بلورة طوابع عمل واطارات تنظيمية لسلاح الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي.

لقد ساهم قيام أساس استخباري قبل قيام «الدولة» دون شك في تطوير قدرة الاستخبارات العسكرية على الانتظام بسرعة مع قيام «الدولة» ومعالجة التحدي الرئيس: الانتقال من التعامل مع الانجليز واليهود الى تعقب الجيوش العربية النظامية التي رابطت على خطوط الهدنة.

هناك خطوط شكلية كثيرة تميز بين سلاح الاستخبارات واسلحة اخرى في الجيش الاسرائيلي، فهذا السلاح لا يقودون فيه قوات مقاتلة ولكن حربه مستمرة طيلة ايام السنة، وهذه الحرب خصوصا في اوقات السلم تستطيع تقرير نتائج الحرب.

هذا هو السلاح الذي تتعرض انتكاساته عادة الى الاضواء ولكن نجاحاته مهما كانت كبيرة وهامة تظل دائما طي الكتمان، انه سلاح تربى جنوده على عادة الصمت.

انه سلاح من الصعب جدا وصف نشاطاته ومراحل تطوره بمعزل عن العناصر الاخرى لمجموعة الاستخبارات الامريكية.

كل هذه، واسباب كثيرة اخرى، لا تسهل علي رسم صورة هذا السلاح، اذن فاننا نطلب من القارىء ان يظهر تفهما للضرورة التي دفعتنا الى عدم تضمين هذا الكتاب قضايا كثيرة، التي قد يلحق الكشف عنها اليوم ايضا اضرارا جسيمة بأمن «دولة اسرائيل».

المؤلف

تأسيــــس الســــــلاح

مــن «شاي» الى قســم استخبــارات

ان يوم الثلاثين من حزيران عام ١٩٤٨، لن يمحى بسهولة من ذاكرة رجال الاستخبــارات القــدامى، لقد كانت بداية هذا اليوم في لحظات الانتاج والسير على طريق جديــدة، ونهــايتــه بحــدث مأســاوي ترك وصمة سوداء على جبين الخدمات السرية «لدولة اسرائيل» فترة طويلة من الزمن.

ففي صبــاح ذلك اليــوم، وبعــد قيــام «دولة اسرائيــل» بستــة اسابيع عقد اجتمــاع في قيادة «شاي» اي شيروت يديعوت (خدمات المعلومات) للهاجناه وكانت هذه القيــادة مقــامــة في شقة خاصة مكونة من خمس غرف، بسيطة المنظر تقع في شارع يهودا ٨٥ في تل ابيب.

وترأس الجلسة رئيس «شاي» اليسر بئيري، ودعي اليها عدد من المسؤولين منهم قائــد «شـــاي» في القــدس بينــامــين جبــلي، وقــائد شاي في الشمال ابراهام كدرون، وقائد شاي في تل ابيب، اليسر هلفرين، وبوريس جورئيل ودافيد كارون.

لم يطل انعقــاد الاجتمــاع طويــلا، فقــد كشف اليسر بئــيري الملقب باليسر الطويــل بسبب طول قامتــه ان بن غوريــون قد قرر، انــه مع اقامة «الدولة» يجب اعــادة تنظيم خدمات الاستخبارات، بل ووافق على برنامج تنظيم جديد قدمه اليه اليسر بئــيري نفســه، وبنــاء على البــرنــامــج ستعمل الخدمات السرية في «الدولة» اعتبارا من الان في اطار ثلاثة اقسام:

أ. خدمات استخبارات عسكرية، يكون اليسر بئيري قائدا لها.

ب. دائرة سياسية في وزارة الخارجية، تكون دائرة سرية وتعمل على تجميع مواد سياسية في الخارج، وسيترأسها بوريس جورئيل.

ج. دائــرة للامن الداخــلي (شيروت بطاحون) ش.ب يترأسها اليسر هلفرين الذي غير فيما بعد اسمه باسم اليسر هرئيل.

وفي ذلك اليـوم، الثـلاثـين من حزيـران صدر امر من رئاسة الاركان العامة موقع من قبل رئيس الاركان يقضي بحل خدمات «طنا» وهو اسم الشيفرة «لخدمات الانبـاء» التابعة للهاجناه (شاي)، وباقامة خدمات الاستخبارات العسكرية وكلفت الهيئة الاستخبارية الجديدة بأربعة مجالات مسؤولية هي:

الاستخبارات المقاتلة، أمن العمليات والتجسس المضاد، والتنصت والمراقبة العسكرية.

وجـاء في هذا الامـر ان الاستخبـارات الجـديـدة ستكون خاضعة مباشرة لشعبـة الاركان في رئاسة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي وخول بئيري ان يعالج باسم رئـاسة الاركان. موضوع تصفية «طنا» وتنظيم طرق تزويد المعلومات للقوات المحاربة خلال الفترة الانتقالية ودراسة جميع المواضيع الاستخبارية في وحدات الميدان.

وقد اتضح فيما بعد ان ممثل موضوعي التجسس المضاد، وأمن الميدان في مجـالات مسـؤولية الاستخبارات العسكرية، قد اعطى اليسر بئيري امكانية قيامه بأعمال، قدم بسببها الى المحاكمة بعد ذلك بحوالي ستة اشهر وابعد عن منصبه.

هل كان ذلك من سبيل الصدفة فقط ان يجري الحدث المأساوي في سلسلة الاعمـال هذه في عشيـة ذلك اليـوم، الذي اعلن فيه اليسر بئيري رسميا عن اقامة خدمـات الاستخبـارات؟ اننـا لا نعـرف ذلك، وعـلى أي حال فان الحقيقة هي انه عندما انتهت الجلسة، التي اعلن فيها بئيري عن اقامة خدمة الاستخبارات، طلب من بعض الحضـور البقاء في الغرفة، ولم يكن اليسر هلفرين، رئيس خدمات الامن المعـين، احدهم، فقد خرج من الشقة الموجودة في شارع بن يهودا وعاد الى قيادته الواقعة في مصفاة البترول في شمال تل ابيب.

محاكمـة رئيس الخدمــات

ما هو المــوضــوع الذي بحثــه الذين ظلوا في القــاعــة بعـد خروج اليسر هلفـرين؟؟ انه من الواضح انهم لم يبحثوا موضوع الخدمات الجديدة التي بدأت طريقا لتوها.

ويبـدو انهم بحثـوا قضية مئير طوبيانسكي، فمنذ عدة اشهر واليسر بئيري

وبنيامين جبلي، يشتبهان بالمهندس مئير طوبيانسكي احد كبار الموظفين في شركة كهرباء القدس، والذي كان ايضا قائدا في الهاجناه، على انه قد سلم قائمة من العناصر الحيوية في القدس ومصانع الاسلحة الى الانجليز، وفي نفس اليوم الذي اجتمع فيه بئيري وزملاؤه لبحث موضوع اقامة خدمات الاستخبارات الجديدة تم اعتقال طوبيانسكي من قبل عناصر «شاي» في تل ابيب ونقل الى مخفر بيت جيز على طريق القدس.

وفي نفس مساء ذلك اليوم، عندما انتهى الاجتماع في الشقة السرية في شارع بن يهودا، خرج جبلي ودافيد كارون وابراهام كدرون للتحقيق مع طوبيانسكي في المخفر، وانضم اليسر بئيري اليهم فيما بعد، وجرى التحقيق مع المهندس وقدم الى محاكمة في منزل مهجور، وكان بئيري ومساعدوه الثلاثة هم المحققون، ومحامو الدفاع والقضاة في المحكمة الميدانية التي شكلت على عجل ولم يتم تسجيل بروتوكول، وصدر قرار الحكم في اليوم الاول من تموز في ساعة مبكرة، وبعد مرور حوالي ساعة واحدة وضع طوبيانسكي امام صورة رماية.

لقد اثارت قضية اعدام مئير طوبيانسكي ضجة عارمة في «اسرائيل» ولكنها ليست هي التي ادت الى عزل بئيري في كانون اول ١٩٤٨ من منصبه كرئيس لخدمات الاستخبارات العسكرية، كما ان الاتهامات التي وجهت اليه بخصوص الوثائق المزيفة التي قدمها في آب ١٩٤٨ الى دافيد بن غوريون والمتعلقة بخيانة آبا حوشي، او اعتقال جول امستر احد مساعدي ابا حوشي مدة ٧٦ يوما ليعترف بالخيانة لم تكن السبب في عزله من منصبه.

ان السبب في عزله من منصبه كانت قضية علي قاسم، وهو مخبر عربي اتهم بأنه خائن وانه عميل مزدوج وتم اعدامه بأمر من بئيري، وعثر على جثة علي قاسم في كانون اول عام ١٩٤٨، حيث شرع بالتحقيق وعندما اتضحت اسباب وفاته أمر دافيد بن غوريون، يعقوب دوري بأن يبلغ اليسر بئيري بوقف عمله وجرت محاكمة بئيري في نهاية كانون اول ١٩٤٨ امام محكمة عسكرية وجرت محاكمته بصورة سرية وقد رفض القائد الاول للاستخبارات العسكرية الاسرائيلية الاقتراح الذي عرضه عليه القاضي بتعيين محام له وفضل الدفاع عن نفسه بنفسه، وبنى هذه المرافعة على القول بأنه طالما انه رئيس للخدمات السرية فانه يجب عليه ان يشتغل ليلا نهارا في مواضيع غير قانونية ولهذا يجب عدم محاكمته

بموجب القوانين المتبعة غير ان اقواله رفضت، وادين اليسر بئيري بارتكاب جريمة القتل، وطرد من منصبه كرئيس لخدمات الاستخبارات العسكرية.

وبعد ذلك بشهر، أي في كانون ثان عام ١٩٤٩ وبعد ان قدمت نتائج التحقيق المتعلقة بموضوع الوثائق المزيفة التي قدمها بالنسبة لقضية آبا حوشي، طلب من بئيري مغادرة الجيش الاسرائيلي وسحبت منه رتبته العسكرية وهي رتبة «مقدم» اما الضربة النهائية فقد تلقاها في تشرين اول ١٩٤٩ عندما اعتقل وقدم للمحاكمة بسبب قضية طوبيانسكي، فقد حكم عليه بالسجن الرمزي ليوم واحد فقط.

لقد هزت قضية اليسر بئيري الجيش الاسرائيلي، والحكومة الاسرائيلية والرأي العام الاسرائيلي، لانه لم يكن هناك اي شخص يشك في اخلاص ذلك الرجل طويل القامة وصاحب الشعر الغض، «للدولة»، لقد ادخل في سر «شاي» من قبل دافيد شألتئيل في عام ١٩٤٧، ومنذ شباط ١٩٤٨ وهو يقوم بمقام شألتئيل كرئيس لشاي، ويقول بعض زملائه انه خلال الايام المصيرية التي سبقت اقامة «الدولة»، كان اليسر بئيري من الشركاء الرئيسين في حمل المسؤولية وانه كان مثالا للبطولة والاقدام لزملائه، ولكن يبدو انه في رغبته ليبرهن بكل ثمن عن عدالته وصدقه وان يدين كل من يشتبه به بالخيانة للوطن، كان اليسر الكبير مستعدا لاستخدام كافة الوسائل، ان الطرق التي اتبعها كانت مناقضة تماما للطرق التي اتبعتها الخدمات السرية الاسرائيلية في السنوات التي تلت ذلك.

من شيروت يديعوت (شاي) الى استخبارات

ان تعصب اليسر بئيري واصراره على اكتشاف الخونة والمتعاونين في الوسط اليهودي لم يبقيا امامه وقتا طويلا لمعالجة المهمتين الاكثر الحاحا اللتين القيتا على عاتق خدمات الاستخبارات العسكرية في «دولة» اسرائيل في النصف الثاني من عام ١٩٤٨ وهما.

أ. اعداد الكوادر لسلاح الاستخبارات الذي تقرر اقامته، مثل تقرير اطارات القوة البشرية والمالية، ومبنى الوحدات على مستوى رئاسة الاركان وتشكيل طواقم الاستخبارات على المستوى التعبوي، وقد اكتشف قادة الخدمات الجديدة

على الرغم من ان معـظمهم كانـوا من رجال شاي المجربين انه لا يوجد بينهم من يرى كيف سيبدو سلاح الاستخبارات وماذا تعني كلمة التقييم الاستخباري؟

ب. تزويـد المعلومـات والامـور الاستخبـارية للقوات المحاربة التي تخوض ذروة حرب التحـريـر (انـظر الاستخبـارات المقـاتلة في الحرب)، لقد القيت المهمة الاولى على عاتق حاييم فيفيـان هرتسـوغ نجـل من كان في ذلك الوقت الحـاخـام الرئيس لاسرائيـل، الحـاخـام اسحق هليفـر هرتسـوغ وكـان حاييم قد هاجر من ايـرلندا الى اسرائيل وعمره ١٧ سنة وسارع الى الخدمة في الهاجناه وادى القسم القانوني لها في قبو مدرسة اليانس، وكانت معرفته للعمل الاستخباري قد اكتسبها من خلال خدمتـه مدة سبـع سنـوات في الجيش البـريطاني خلال الحرب العالمية الثـانيـة، فقـد كان يعمـل كضـابـط استخبـارات لفـرقة مدرعة اشتركت في غزو نورمانديا وطاردت الالمان من خلال عبور نهر الراين حتى البحر البلطيكي.

وبعد الحرب، عندما زار اسرائيل الجنرال براون هوروكس قائد افضل فيلق مدرع في قوات مونتغمـري، قال لضـابـط الجيش الاسرائيـلي: كان لي في الحـرب ضابـط استخبـارات جيـد وعـلى فكـرة هو احـد رجـالكم، وكان هوروكس يقصد هرتسـوغ وهو احد الاشخاص القلائل في اسرائيل الذين كانوا يعرفون انذاك كيف يعمل سلاح الاستخبارات في جيش منظم.

وقـد وجـدت حرب التحـرير، حاييم هرتسوغ في اللواء السابع، الذي حارب على طريق القـدس، وبصفتـه ضابـط العمليات في اللواء تعلم عن كثب كيف يمكن التـوفير في الحياة البشرية، بل وتغيير صورة الحرب في معارك ملطخة بالدماء (مثل القتـال على اللطرون) لو كانت القـوات المحـاربـة تملك معلومات استخبارية جيدة اكثر عن قوات العدو، ومراكزها، وعددها، ومدى استعدادها وكميات الذخيرة التي تملكها.

هذه الحقيقـة لم تغب ايضـا عن انظار آخرين وكان اكثرهم اهتماما روبين شيلواح الذي كان يعمـل انـذاك في منصب المستشار الخاص لدافيد بن غوريون فقـد رأى شيلواح كيف يختلق رجـال شاي تزييف الوثـائق والشهـادات في فنـاء منـزل، وتـوصل الى نتيجة وهي انه يجب بناء استخبارات على اساس علمي، كما هي الحـال بالنسبـة للجيـوش العـالمية، واشار الى هرتسوغ كالرجل الوحيد الذي يستطيع القيام بهذه المهمة، وقبل بن غوريون هذا الاقتراح.

وقد وصل حاييم هرتسوغ الى الشقة السكنية الواقعة في شارع بن يهودا ٨٥ في تل ابيب من لوائه، فور التوقيع على الهدنة الاولى في المعارك، وهناك اجتمع برئيس الخدمات «اليسر الكبير» وفي الشقة نفسها لم يكن هناك مكان لادارة حديث هادىء، وقام اليسر كعادته بدعوة هرتسوغ لتناول فنجان قهوة في مقهى بارك، وبدون الاكثار من المقدمات، ابلغ اليسر هرتسوغ بتعيينه نائبا لرئيس خدمات الاستخبارات وبرتبة مشابهه ـ مقدم. وبعد ذلك حدد الهدف بوضوح فقال لقد كنا حتى الان (خدمات يديعوت) والان يجب ان نتحول الى استخبارات وبذلك عبر اليسر عن ملخص عمل السلاح: جمع المعلومات وتحويلها الى معلومات استخبارية.

لم يضع هرتسوغ الوقت، ففي غداة اليوم التالي عقد اجتماعات منفردة مع كل من كان مقرراً ان يترأس في السلاح ليحدد له الكادر والنظام المناسب، وكانت النتيجة انه في اقل من شهرين خرج اليسر الكبير وحاييم هرتسوغ الى مبنى رئاسة الاركان في رمات جان ليعرضا هناك، امام القيادة الكبيرة النظام التشكيلي الاول للاستخبارات، الذي تمت الموافقة عليه في ٢٠ آب ١٩٤٨.

انظمة وفروع

اشتمل النظام على اربع وظائف لخدمات الاستخبارات التابعة لشعبة الاركان في رئاسة الاركان العامة:

١. اقامة جهاز يجمع المعلومات عن العدو، وجهاز قواته ومبنى اسلحته وتوزيعها، ونواياه ونشاطاته، والصناعات الحربية وجهده الحربي، ومعنوياته واستقراره وانضباطه الداخلي والخارجي.
٢. تصنيع المعلومات والاستفادة منها، والتعاون واستبدال المعلومات مع خدمات الاستخبارات غير الخاضعة للجيش.
٣. نقل المعلومات بالسرعة المطلوبة لجميع القادة المعنيين الذين قد تؤثر المعلومات على نشاطاتهم.
٤. منع تسرب المعلومات الى العدو، عن قواتنا وتنظيمها، او جهدنا الحربي بكافة صوره، عن طريق اقامة مراقبة عسكرية وامن ميداني وشبكة تجسس مضادة.

وبعد ذلك بحوالي نصف عام، اي في الرابع والعشرين من آذار ١٩٤٩ وبعد أن تسلم هرتسوغ قيادة الاستخبارات خلفا لاليسر بئيري بوقت قليل الغي النظام الاول وحل محله نظام جديد شكل الاساس لمبنى سلاح الاستخبارات في السنوات التـاليـة. وفي ذلك الوقت سيختفي اسم خدمات الاستخبارات (ش.م) وينقسم الى مخلوقين رئيسين هما في الواقع جسم واحد: سلاح كغيره من الاسلحة مع وحدات اركانية من جهة ودائرة في رئاسة الاركان تكون خاضعة لشعبة الاركان من جهة اخرى.

وبناء على اقتراح هرتسوغ تم تقسيم دائرة الاستخبارات في رئاسة الاركان الى شعب، اشير اليها برمز «مود»، وقد كان التقسيم على النحو التالي:

مود ١. بقيـادة بنيـامين جبلي وتضم الاستخبارات المقاتلة، ووحدة البحث التي كانت تعمـل على تصنيـع المعلومـات وتقييمهـا، وهذا القسم شكل من مقاعد مختلفة حسب البلدان: المقعد الاردني، والسوري، والمصري وما شابه ذلك.

مود ٢. بقيادة مردخاي وارسمان (الموح) وشمل وحدة التنصت.

مود ٣. بقيادة ابراهام كدرون وشمل وحدة امن الميدان.

مود ٤. يهتم بجميـع مواضيـع المراقبة العسكرية والسياسية والاقتصادية (تهريب عملاء وغيرها)،وكان بقيادة المراقب العسكري الاول جرتسون درور الذي كان مسؤولا عن الاتصالات مع الصحافة بحكم اتفاق وقع مع نقابة الصحفيين في عام ١٩٤٨.

مود ٥. اهتم بالتقـاط المعلومات من الصحف العربية ومن النشرات العربية المكشـوفـة الاخـرى، وتـرأسه مردخاي بن تسور، وبمساعدة متبرعين مختلفين تم اقـامـة مكتبـة فخمـة تابعـة لخدمات الاستخبارات اشتملت ايضا على كتب مهنية بلغـات مختلفـة، باستثنـاء اللغـة العـربية، تتحدث عن الخدمات الاستخبارية في انحاء العالم.

مود ٦ـ٧ بقيـادة الدكتـور رايفنبرغ لوتس، وفيق وغيرهما وكان مجال عمله جمع المعلومات المتعلقة بالخرائط والصور الجوية.

مود ٨. بقيـادة حاييم بعـري واشتمـل على الوحـدة الفنيـة التي اهتمت بالتطوير التكنولوجي واعداد الوثائق.

مود ٩. بقيادة مئير دي شلط، ويهتم بالملحقين العسكريين الذين كان أولهم

الملحق العسكري الامريكي الذي وصل الى اسرائيل في تشرين اول ١٩٤٨.

مود ١٠. واعطي اسم (ضابط الوظائف الخاصة) وعمل على استخدام العملاء - عبر الخطوط.

مود ١٨. بقيادة شماريا غوتسمان وضم وحدة المقتحمين التي عملت في البلدان العربية (وقد عملت وقتا قصيرا فقط).

لقد كان حاييم هرتسوغ يعلم انه توجد في بريطانيا وفي دول اخرى مؤسسة تقوم بالتنسيق بين الخدمات المختلفة واقترح اقامة مثل هذه الهيئة في اسرائيل وبناء على ذلك اجتمعت لجنة رؤساء الخدمات كان من اعضائها رئيس قسم الاستخبارات ومدير الدائرة السياسية، في وزارة الخارجية ورئيس خدمات الامن والمفتش العام للشرطة وعين روبين شيلواح رئيسا للجنة وقد عمل على التنسيق والاتصال بين الدائرة السياسية ووزير الخارجية.

سلاح البحرية يعترض

إن الصعوبة التي كانت تواجه الخدمات الجديدة برئاسة اليسر بئيري في عملها اليومي كانت ناجمة عن توزيع اماكن العمل، فالشقة الموجودة في شارع بن يهودا لم تعد تتسع لجميع موظفي الخدمات، الذين اخذ عددهم بالازدياد وفي تشرين اول ١٩٤٨ نقلت المكاتب الى البيت الاخضر المكون من طابقين في يافا ولكن هذا المكان ايضا لم يكف، ففي حين ان مكاتب رئيس الخدمات ونائبه ورئيس المراقبة وغيرهم بقيت في البيت الاخضر، دونما اي اتصال تقريبا مع رئيس الاركان في رمات جان نقلت مكاتب (مود ١) بقيادة بنيامين جبلي واقسام البحث الى مقر شعبة الاركان في رمات جان، كما نقلت وحدة التنصت (مود ٢) في البيت الاحمر في شارع اليركون، ولكن عندما نقلت قيادة الخدمات الاستخبارية الى هرتسوغ، في مطلع عام ١٩٤٩ نقلت وحدة الاستخبارات من البيت الاخضر الى القيادة العامة، وتسلمت هناك بناية كاملة الى جانب بناية العمليات، واصبح بنيامين جبلي نائبا لهرتسوغ، وبصفته قائدا لوحدة الاستخبارات اقيمت قيادة هرتسوغ في رمات جان، ولكن بصفته قائداً للسلاح الذي بدأت وحداته تنتشر في ارجاء البلاد أجبر ان يعود مرة في الاسبوع الى البيت الاخضر في يافا والى غرفة الطعام الواقعة خلف الطريق.

إن عمليـة تحـديـد اطر سلاح الاستخبـارات ستستمر وتنتهي فقط في عام ١٩٥٣ حيث حولت دائـرة الاستخبارات الى شعبة رئاسة الاركان العامة ومع دعم مكانة الشعبة كأكبر عنصر من الهيئات السرية الخمس في «الدولة» وهي:

شعبـة الاستخبـارات، المـوسـاد، ودائرة الابحاث في وزارة الخارجية وخدمات الامن العـام وشعبـة الخـدمـات الخـاصـة في شرطة اسرائيـل. وسيفرغ من ملء الشـواغـر والكـوادر في نهـايـة الستينـات، ولكن الحـروب بين الخدمات المختلفة اصبحت ظاهرة منتشرة ورافقت الاسرة الاستخبارية في اسرائيل سنين طويلة.

إن مجرد اقامة خدمات الاستخبارات في حزيران ١٩٤٨ اثار موجة من عدم التفـاهم، فعـلى سبيـل المثال كانت شعبة الاركان في رئاسة الاركان العامة مقتنعة بأنـه يجب على الاستخبارات ان تكون من ضمنها، ولكن كان من الواضح لرئيس الخدمات بأنه يجب عليه ان يبعث بتقايره مباشرة الى رئيس الحكومة وقد انقضت اشهر ليست قليلة الى ان تمكنوا من تسوية هذا الخلاف بصورة ارضت جميع الاطراف.

وكـان ضابـط الاستخبـارات في سلاح البحـريـة احد المعترضين على مكانة الخـدمـات الاستخبـارية، وقد ابدى اعتراضاته في الرسالة التي وصلته في الثاني والعشرين من آب ١٩٤٨، كتب له رئيس شعبة الاركان في رئاسة الاركان يقول:

١. إن سلاح البحـريـة خاضع لاشراف اقسام الاستخبارات المسؤولة عن الامن والمراقبة وعمليات التجسس المضاد.
٢. في كل ما يتعلق بالاستخبـارات المقـاتلة، فإن الخـدمتـين ستعملان من خلال التنسيق فيما بينهما ويجب عليهما تبادل المعلومات المتوفرة لديهما.
٣. يجتمـع رئيس الاستخبـارات وضـابـط استخبارات سلاح البحرية ليتفقا على التفاصيل المتعلقة بالامر المذكور.

وهنـــاك مجـــابهـــة استخبـاريـة حدثت في ايلول ١٩٤٨ بين الاستخبـارات العسكـريـة وبين دائرة الابحاث في وزارة الخارجية، وهذه المجابهة اجبرت يجائيل يدين على وضع وثيقة حددت بوضوح صلاحيات كل طرف.

اليسر بئيري وروبين شيلواح — رئاسة الاركان العامة/ شعبة الاركان

٢٢ ايلول ١٩٤٨....

نظـام عمل مؤقت بين خدمـة
الاستخبارات ودائرة الابحـــاث

١. خدمـة الاستخبـارات مسـؤولة فقط عن جمع المعلومات وحل رموزها في كل ما يتعلق بالمجـالات العسكـرية سواء بالنسبة للشؤون الاستراتيجية او بالنسبة للشؤون التعبوية العملية.
٢. دائرة الابحاث، تهتم ايضا بالمواضيع الانفة الذكر سياسيا وعسكريا.
٣. جميـع نشـاطات العمـلاء خارج الحـدود الاسرائيليـة توضـع بأيـدي دائـرة الابحاث باستثناء المستعربين.
٤. النشاطات خلف خطوط العدو من قبل وحدات عربية غير يهودية تنفذ فقط عن طريق شعبـة العمليات ودائرة الابحاث والنشاطات خلف خطوط العدو من قبل وحـدات يهودية تنفذ من قبل شعبة الاركان والاستخبارات العسكرية وفي كلتا الحالتين تجري مشاورات متبادلة.
٥. الاتصـالات مع الدروز، والشركس وغـيرهم، تنفـذ فقـط عن طريق قائـد وحدة الاقليـات التـابعـة لشعبـة الاركان وممثلي دائرة الابحاث اما نشاطات خدمة الاستخبارات في هذا المجال يجب ان تنفذ فقط بعلم وبموافقة قائد وحدة الاقليات.
٦. يجب على الطرفين التعاون فيما بينهما بالنسبة لتبادل المعلومات.
٧. تعقد لقاءات ثابتة اسبوعية لرؤساء الخدمات مع رئيس شعبة الاركان.

رئيس شعبة العمليات
العميد / يجائيل يدين

التنصت : خطوات اوليـــة

في ذروة الهـدنـة الاولى اجتمعت رئـاسة الاركان العامة في رمات جان وكان المـوضوع المطروح على جدول الاعمال هو التخطيط لسير المعارك في منطقة النقب، وكــان من بين الذيـن حضروا الاجـتـمـاع، رئيس الاستخبــارات اليسر بئــيري والمستشار العسكري لدافيد بن غوريون نحميا أرغوف.

في تلك السـاعـة سارع الى رئاسة الاركان مردخاي وارسمان (الموج) وكان يبدو عصبيا ومليئا بالانفعال. وكانت توجد في الحقيبة الصغيرة التي يحملها بيده، نسخـة عن برقيـة سريـة ارسلتهـا القيادة المصرية الى قواتها في المنطقة في النقب، وعنـدمـا وصــل الموج الى مبنى رئاسة الاركان قابل ارغوف الذي خرج من الغرفة للحظة واحدة فسأله ارغوف عن مطلبه.

فقال الموج: اريد اليسر بسرعة فائقة، فأجابه ارغوف: انه موجود في الداخل ولا يمكن استدعاؤه الان، اخبرني بما تريد وسأخبره به فورا.

فأجـابـه المـوج: اريـد اليسر نفســه ولن ينفــع أي شيء آخر، وقد لوحظ ان ارغـوف قد استـاء جدا من رد المـوج ومن رفضــه اطلاعه على السر، ولكن عندما لاحـظ انــه مصر على طلبه، دخل الى الجلسة والمح الى اليسر بأن شخصا يريده في الخارج وعندما خرج اليسر الكبير من الغرفة واجتمع بالموج المنفعل ادرك فورا ما هو المقصـود فدخل الاثنان الى غرفة جانبية لمدة دقيقة او دقيقتين، وبصفته قائدا للاستخبـارات ادرك اليسر بئيري ان رجال الموج يركزون في الاسابيع الاخيرة ليلا نهـارا على حل الشيفـرة التي يرسـل بهـا المصريـون رسائلهم اللاسلكية من والى وحـداتهم المـرابـطة في النقب. وقد ادرك الجميع أهمية هذه البرقيات التي تكومت على الطاولة في قيـادة وحـدة الرصـد التي كان المـوج قائدا لها، دون ان يستطيع شخص حل ما جاء فيهـا، وممـا لا شك فيــه ان هذه البـرقيات كانت تشتمل على معلومـات حيـويـة عن القـوات المصريـة في النقب ونـوايـاهـا، وخططها الهجومية، وتسليحها، ومعنويات جنودها، والانضباط في صفوفها والمعلومات المتوفرة لديها عن نوايا الهجوم للوحدات الاسرائيلية.

وعندما التقى اليسر بئيري بمردخاي الموج في مقر رئاسة الاركان في رمات جان ادرك فورا بأن الشيفرة قد تم حلها، ومن بين اكوام البرقيات التي كانت موجودة في وحدة الرصد قبل حل الشيفرة كانت هناك برقية ما زالت (طرية) والمعلومات التي تشتمل عليها ذات أهمية حاسمة لرئاسة الاركان العامة التي كانت تخطط في تلك الساعة لاحتلال بئر السبع، فنظر اليسر بئيري الى البرقية التي قدمها اليه مردخاي الموج وصافحه وعاد مسرعا الى جلسة رئاسة الاركان، وهناك اخبر الحاضرين بصوت عال قائلا: لا حاجة بنا الى التسرع، ان المعلومات الاكيدة التي حصلنا عليها تشير الى انه وجهت الاوامر للمصريين للانسحاب واقامة خط جديد الى الجنوب من بئر السبع.

جنون فردي

لقد احدث ظهور الموج في رئاسة الاركان العامة في رمات جان والبرقية التي حملها في حقيبته تحولا دراماتيكيا، فقد اديا ليس فقط الى ادخال تغيير على خطط الهجوم الاسرائيلية في النقب، وانما الى زيادة تقدير القيادة العامة والزعامة السياسية لوحدة الرصد (مود ٢) التي يقودها الموج، فقد توفرت المخصصات المالية فجأة من مصدر ما واعطي الضوء الاخضر الى خروج افراد الوحدة الى الخارج لشراء معدات واجهزة حديثة، كما تمت الموافقة على زيادة الكوادر بحيث اتسعت اتساعا كبيرا.

لقد كانت البداية صعبة، وكأنها جنون فرد واحد وهو الموج الذي ادرك الأهمية الكامنة في هذا العنصر من عناصر جمع المعلومات الفنية والمسمى «الرصد».

قبل ذلك بعشر سنوات ارسلت الوكالة اليهودية مردخاي الموج وتسعة من زملائه للالتحاق بوحدة اللاسلكي في الشرطة البريطانية، والموج الذي كان جنديا في كتيبة اللاسلكي في الهجناه وصل مع زملائه الى الساحة الروسية في القدس لاجتياز دورة لاسلكي مدتها شهران، وبعد ذلك وزعت المجموعة على محطات شرطة بريطانية في ارجاء «البلاد»، ووجد الموج نفسه في صفد، وقد خدم الموج مدة شهر ونصف كرجل لاسلكي في شرطة صفد، الى ان وجد نفسه مسجونا في نفس مخفر

الشرطة دون أي ذنب، فقد خالفه الحظ عندما انفجرت قنبلة تحت سيارة كانت تقف في الشارع، حيث القى البريطانيون القبض عليه وانزلوا به ضربات جسيمة، دون ان ينظروا الى شهادة الشرطي التي كان يحملها.

ولم يفصل بينه في الغرفة التي سجن فيها وبين غرفة اللاسلكي التي كان يديرها قبل ذلك سوى جدار واحد فقط.

وبتدخل من الوكالة اليهودية والمحامي حوطر يتساي، افرج عن الموج، وقرر انهاء خدمته في الشرطة.

ولم يمض وقت طويل حتى وصل الى تل ابيب وطلب منه بصفته «خبيرا» ان يواصل عمله السابق، ولكن في الجانب الاخر للمتراس.

والمهمة التي كلف بها هي: اقامة جهاز رصد على محطات الشرطة البريطانية فالمعلومات التي كانت تجري عبر شبكات اللاسلكي التابعة لمراكز الشرطة البريطانية كانت حيوية لمنظمة الهاجناه لانها شملت ايضا شبكة الاتصالات الخاصة بمراكز الشرطة الساحلية التي هددت بمحاولات البريطانيين لاغلاق الطرق بوجه سفن المهاجرين اليهود والقاء القبض عليهم.

قام الموج بتجنيد عدد من الاشخاص من كتيبة اللاسلكي في الهاجناه وبمساعده شاي تمركز في شارع سوكولوف ٢٦ في تل ابيب، في غرفة صغيرة تقع في شقة عائلة لم تكن تعرف بالضبط ماذا يجري، وكان الموج قد تعرف جيدا على طريقة عمل رجال اللاسلكي، في الشرطة، واوقات الاتصال، والموجة التي كانوا يعلنون بواسطتها عن تحركات السفن التي تقترب من الشاطىء، وتم الحصول على اجهزة الرصد ولكن كان من الضروري حل الشيفرة التي كان البريطانيون يستخدمونها عند ارسال البلاغات والتي كانت تغير رموزها بين الفينة والفينة.

وقد عثر على الحل بواسطة ضابط يهودي كان يخدم في شرطة رحوبوت، ففي كل مرة وخلال اوقات متقطعة كان الضابط يفتح خزنة المركز الفولاذية ويأخذ منها مفتاح الشيفرات ويضعها في داخل قلم سائل، وبعد ذلك يخرج الى مقهى معين في رحوبوت حيث يلتقي هناك بالموج الذي يجيء خصيصا من تل ابيب، يجرون حديثا قصيرا يطلب الموج خلاله عن طريق الصدفة كما يظهر، من الضابط اليهودي قلما، وهذا بدوره يسحب من جيبه القلم الأجوف ويسلمه الى الموج وبعد استخدامه يأخذ منه قلما اخر.

في احـد الايـام لم يصـل مفتاح الشيفرات لسبب ما وتكومت البرقيات غير المحلولة على الطاولة، فأزعج الموج نفسه عدة دقائق في موضوع كيفية حل المشكلة وبعـد ذلك رسم على ورقـة كلمات كانت معروفة له من برقيات سابقة، وخلال وقت قصـير تمكن من تركيب مفتاح خاص به، وسرعان ما تفككت الشيفرة. وهنا لم تعد هناك حاجة الى الشيفرة مرة اخرى الى المقهى الصغير في رحوبوت.

كيف كانــوا ينقلون المعلومــات المحلولة الى قيــادة شاي في الوقت الذي لم يسمـح به واجب السرية وقلة الاشخاص باستخدام الرسل، وكما ان التلفون كان مرفـوضـا قطعيـا لمثل هذا الهدف، لقد كان الاسلوب بسيطا جدا رغم انه لم يكن رمـز النجاعة لقد كان الموج يترك مركزه بعض الوقت ويسير مشيا على الاقدام الى شقــة افــرايم ديكـل احــد قادة شاي في تل ابيب، وكــان ديكـل يقيم في شارع موتسكـين، زاويـة جابـوتنسكي ولكن بمـا انه كان يعمل في البلدية فلم يكن دائما موجـودا في البيت، وحسب ما هو متفق عليه فانه عندما يحضر الموج تتصل زوجة ديكـل به في البلديـة متـذرعة بحجة للعودة الى المنزل بسرعة، وكان ديكل يعود الى البيت ويتسلم البرقيات ويتوجه الى قيادة شاي في شارع بن يهودا.

مع مرور الوقت وســع الموج الوحدة الخاصة التي شكلها، واصبحت تضم ١٦ متـطوعـا كانـوا يزاولون خلال ساعات النهار اعمالهم العادية، وخلال ساعات الليل كانوا يتناوبون على اساس نظام الشفتات، العمل الى جانب اجهزة التسجيل والالتقـاط واقيم جهـاز عقـول لحـل الشيفـرات. وتم شراء كتب مهنية واستخدام العقـل اليهودي لمجابهة اساليب البرقيات السرية التي يتبعها الطرف الاخر، والتي كانت تتـطور باستمـرار، وعندما اندلعت احداث تشرين ثان عام ١٩٤٧ كان الموج يوزع وقتـه بين عمله كمـديـر حسابات في البلدية وبين الرصد الذي كان يتم ليلا ونهـارا من قبـل عاملين بالاجـر و ١٨ متـطوعـا، وفي نهـايـة عمـل كل شفت كان المسـؤول يتـوجـه الى قيـادة شاي وفي جيبـه مغلف يضم المعلومـات الهامة التي ارسلت في تلك الليلة.

رئيس الخدمات لم يعلم

في كانـون أول ١٩٤٧ جاءت ضربة في جهة غير متوقعة، فقاموا بدعوة الموج ورجـاله الى قيـادة شاي وصـافحـوا أيديهم واعطوا كل واحد منهم كتابا مع كلمة تقدير وقالوا لهم: شكرا لكم، لقد قمتم بعمل جيد ولم نعد بحاجة الى وحدة الرصد.

وقـد اصيب المـوج وزمـلاؤه بالذعـر، وأخـذوا يتساءلون: الم يكن هناك في قيـادة شاي من يدرك بأن الرصـد ضد العـدو العـربي وليس البريطاني هو عمل يمكن ان ينقـذ حياة انسان وفي هذا الوقت بالذات ؟؟؟ ولكن احتجاجاتهم لم تنفع وبعـد مرور حوالي اسبوع جمع الموج رجاله وقال: سنواصل المسيرة وحدنا، ودون أن نستشير أحداً، والتمس من قيادة شاي أن تبقي في يديه جهاز رصد واحداً أو اثنين، وقامت المجموعة بهذه المهمة بحماس كبير، دون أن تحصل على أجر ابتداء من ساعـات ما بعـد العمـل وحتى الساعات المتأخرة من الليل، ومن الترصد على مراكـز الشرطة البـريـطانيـة انتقل الموج وزملاؤه الى محاولة الترصد على محطات اللاسلكي، التـابعـة للعـرب، ويدعي الموج انه عرض بعض البرقيات التي التقطها على بعض المسـؤولين في قيـادة شاي وطلب منهم التأييد والمساعدة وكان الجواب: نأسف، لا توجد ضرورة، ولا توجد مخصصات مالية.

ان المـوج لم يذكر اليوم ماذا كان فحوى البرقيات التي تم التقاطها في آذار ١٩٤٨ قبل قيام «الدولة» بشهرين، ولكنه يذكر فقط بأنها كانت البرقية الأولى التي التقـطت منـذ اعـطي امـر حل الشيفـرات لوحـداته والتي نقلها بنفسه الى اليسر الكبـير، فقـد كان الوضع المالي لوحدة الرصد السري سيئا جدا، فأعضاؤها كانوا غائصين في الديون بسبب دفع اجرة الشقة والاجهزة التي اشتروها بأنفسهم.

وعنـدهـا وخلال الاجتماع الانفرادي الذي تم بينهما في قيادة شاي فوجىء الموج ليكتشف بأن اليسر بئيري لم يعرف شيئا عن امر حل الوحدة الذي صدر في كانون أول ١٩٤٧ حيث قال بغضب: من اصدر هذا الامر الغبي لحلكم؟

فأجابه الموج: انا بحاجة الى ١٥٠٠٠ ليرة، انني مضغوط.

فقـال اليسر: من أين سأحصـل لك على هذا المبلغ الطائـل؟ ولكن بعد مضي

بضع ساعات كان المبلغ بأيدي الموج، لقد كان هذا المال بالنسبة لمجموعة الرصد كالهـواء للتنفس، فقـد سددوا الديـون واجلسـوا ثلاثـة اشخـاص في كل شفت وخصصوا لهم مهام تنصت.

وهكـذا ولدت نواة (مـود٢) التي شملت في ٣٠ حزيـران عام ١٩٤٨ في امر رئاسة الاركان الخاص باقامة خدمات الاستخبارات باعتبارها احد عناصر الخدمة الجـديـدة الاربعـة، وفي ايـار ١٩٤٨ تجنـد الموج وزملاؤه في الجيش الاسرائيلي. فالاعتـراف الرسمي استقـطب الى الوحـدة الجـديـدة مستعربين من رجال شاي سابقـا بهـدف تحسين عمليات الرصد. وفي هذه المرحلة دعت الحاجة الى الرحيل من الشقـة الصغـيرة الواقعـة في شارع سوكـولوب الى البيت الاحمـر في شارع اليركون، حيث وضعت تحت تصرفهم ثماني غرف.

وفي ايام بداية حرب التحرير، مشط الموج ورجاله مستوطنات كثيرة بحثا عن مهاجرين جدد من الولايات المتحدة الامريكية ممن احضروا معهم اجهزة رصد من نوع «هليكرافت» وهو افضل جهاز يمكن الحصول عليه، وكانوا يأخذون كل جهاز من هذا النـوع يعثرون عليه، كاعارة ولكنه كان يسجل قانونيا، وقد جمع في البيت الاحمر ٣٠ جهازاوخبراء في الشؤون العربية وخبراء في حل الشيفرات.

في تمـوز ١٩٤٨ انتقلت الوحـدة مرة اخرى، وفي هذه المرة الى بناية في يافا تقـع امـام مستشفى تسهلون وفي ذلك الوقت اقيمت وحـدات في النقب بقيـادة مواطكا بن تسور، كان عليها ان ترصد تحركات ومكالمات القوات المصرية العاملة في المنـطقـة وسرعـان ماشكلت وحدات رصد تعبوية مكونة من المستعربين المدربين في الويـة اخرى، وكان هولاء يرصدون المكالمات المكشوفة في حين ان البرقيات السرية كانت تحل في قيادة الوحدة في يافا التي انتقلت بعد ذلك الى مكان اخر.

بن غوريون يصادق ـ والمالية تتقلص

مثـل هذه البـرقية كانت البرقية التي تم حلها في احد ايام الهدنة الثانية في قيـادة وحـدة الرصـد (مـود ٢) نتيجة لجهد جبار قامت به مجموعة شاذة، وكان يتـرأس هذه المجموعة شخص غريب يدعى شاؤول شماي من مواليد العراق وكان شاؤول رئيسـا لمحللي البـرقيـات السريـة وحتى يوم وفـاته لم يستطع أي شخص

الوقـوف على سر الآلة الانسانية المذهلة التي كانت تعمل في عقله. وكانت تلك المرة الاولى التي اغلق فيها الموج باب الغرفة على شاؤول ورجاله وقال لهم: لن تخرجوا من هنا حتى تحلوا البرقيات المصرية.

وبـالفعـل، ففي نهـاية نشاطات جادة استمرت ساعات طويلة خرج شاؤول من الغـرفـة المضغـوطة من دخان السجاير وهو يبتسم: الشيفرة حلت، ومنذ الآن فصـاعـداً ستحـدث مرات كثـيرة ينفـرد فيهـا شاؤول لوحده وهو يدخن ويحتسي فناجين القهوة ولم يخرج من هناك حتى ينهي المهمة الخطيرة التي تبدو مستحيلة.

ان برقيـة قيـادة القـوات المصريـة التي حلها شاؤول شماي وزملاؤه خلال الهـدنـة الاولى غيرت كمـا قلنـا ليس فقـط الخطط العسكرية للوحدات المرابطة في النقب وانمـا ايضـا نظرة زعـامـة الدولة نحـو (مود ٢)، فبعد هذا الحدث بحوالي نصف عام (وبعـد حوالي عام منـذ ان خصص اليسر الكبـير مبلغ ١٥٠٠٠ليرة الى (رجال الموج) جاء رئيس الحكومة دافيد بن غوريون في زيارة لقيادة الوحدة يرافقه رئيس شعبـة الاستخبـارات في رئـاسـة الاركـان حاييم هرتسـوغ، وقد ارتاح بن غوريـون جدا لما شاهـده، وفي نهـايـة الزيـارة حانت اللـحظة المصيرية التي طالما انتظرها هرتسوغ والموج وبقية قادة الوحدة، فقد سأل بن غوريون: ماذا تريدون؟ فسـاد الصمت هنيهـة فيمـا يبـدو بلحظة تردد وبعد ذلك اجابت المجموعة: نحن بحـاجـة الى ٢٠٠ الف دولار، وقـد صوب الجميـع نظرات خائفة الى بن غوريون، ولكنـه وافق على الطلب في نفس المكـان، وارتبكت المجموعة قليلا ومن اجل ضمان ذلك طلب هرتسـوغ من بن غوريون ان يوقع على هذه الموافقة. فقدم توقيعه فورا، وهم يحملون الورقة الموقعة ذهبوا الى وزير المالية اليعزير كبلان، فقام هذا بتوجيه هرتسوغ الى مدير عام وزارته، دافيد هوروفتش.

انـه من المشكـوك فيه ان تكون ميزانية الدولة تحتوي على هذا المبلغ، فبعد جدال طويل ومضن، قال هرتسوغ، خرجنا من عند هوروفتش مع نصف المبلغ فقط.

لقـد حضر المـال في الوقت المنـاسب، وتـوجه الوفد الاول الى الخارج لشراء اجهزة ومعدات، وهكذا بدأت الانطلاقة الكبرى الى الامام.

الاستخبارات المقاتلة في حرب «التحرير»

لقد لعبت حرب «التحرير» دوراً فعالاً في بلورة جهاز الاستخبارات المقاتلة في الجيش الاسرائيلي، فضباط الاستخبارات في الالوية حملوا بشكل خاص اعباء تزويد المعطيات والتقديرات الاستخبارية للقوات المحاربة اذ ان شعبة الاستخبارات التي شكلت فقط في ٣٠ حزيران ١٩٤٨ في اطار شعبة العمليات التي كانت لا تزال في طور ولادتها ومراحل تنظيمها الاولية.

ومثلها مثل خدمة الاستخبارات التي اصبحت فيما بعد تسمى بشعبة الاستخبارات في رئاسة الاركان كان جهاز الاستخبارات المقاتلة في حرب التحرير استمرارا مباشرا لوحدات شاي في الهاجناه ولوحدات الاستطلاع التابعة للبالماخ ولمجموعة متحمسين مثل زروبابل دارمان (الذي سمي فيما بعد اربيل) المعروف بلقبه تشيفاب.

ففي دورة قادة الفئات التي عقدت في جوعرة عام ١٩٤١ تعلم تشيفاب لأول مرة كيف يكتبون جزء العدو، في صيغة مقبولة لأمر عملية، وهذا الجزء يفصل المعطيات الاستخبارية عن العدو الذي ينوون مهاجمته مثل: عدد محاربيه وكميات الاسلحة التي يمتلكها وصورة انتشاره، والامكانات المتوفرة لديه ومدى استعانته بالنجدات وهكذا، وعندما عاد الى كيبوتسه ناعوز حاييم، اراد زروبابل ان يوضح لنفسه معطيات العدو في واجهته مثلما تعلم في دورة جوعرة، وفي احد الايام ذهب الى قيادة المنطقة في عين حارود وطلب الاطلاع على الملفات الاستخبارية الخاصة ببيسان والمازار او جنين وفوجيء بعدم وجود ملفات كهذه، وعلموا في قيادة شاي في الجليل بأنه توجد مجموعات عربية تجتاز نهر الاردن ولكنهم لم يعرفوا شيئا عن معطيات المنطقة وعن خطوط العبور للمجموعات وعن الطرق البديلة ومن المفهوم انه لم توجد ملفات خاصة في المنطقة تشتمل على معلومات حيوية لمن يريد الدفاع عن هذه الواجهات.

وفي نفس المكان اقترح تشيفاب على قائد المنطقة يسرائيل بن الياهو اقامة وحدتي استطلاع بقيادته ليقوما بالتجول في واجهة غور الاردن وغوش هاجلبواع

ويجمعون معلومات عن المنطقة ويضعونها في ملفات ويجمعون معلومات عن المجموعات والذخيرة والتنظيمات داخل القرى العربية ويحضرون صورا صحيحة ويركبون بأنفسهم الصورة الاستخبارية.

ملفات القرى

لكنهم في قيادة المنطقة نظروا نظرة عطف الى زروبابل وقالوا: لماذا كل هذا التشعب؟ ولكنه عندما أصر على ذلك حصل على الموافقة، فبدأ يخرج مع رجاله لتمشيط خطوط الغور متراً متراً وفحص المخاضات واحدة تلو الاخرى، وقياس عمق المياه خلال المد والجزر ورسم كل شيء على الخارطة، وبعد ذلك ضم الى الموجودات صورا من جميع الاتجاهات الممكنة للمخاضات، وفي نفس الوقت كانت مجموعة الاستطلاع الثانية تتجول في قرى الجلبواع وجمعت معلومات دقيقة عن عدد الرجال الذين يحملون الاسلحة وعن التنظيمات شبه العسكرية، في هذه القرى.

وعندما تجرأ زروبابل على عرض عدد من الملفات التي اعدها امام يجائيل يدين ؟الذي كان آنذاك رئيسا لشعبة العمليات في القيادة القطرية لمنظمة الهاجناه طلب منه فورا ان ينظم مع شموئيل (زايما) ديبون دورة الاستخبارات الاولى، وقد عقدت الدورة في شفيا واصبح خريجوها يعرفون كيف يعدون (ملف الاستخبارات) الذي يشمل عناصر حيوية عن معطيات المنطقة. غير ان الخريجين الذين اطلعوا جيدا على معطيات المنطقة لم يتعرفوا على العدو نفسه، لقد علموا ما هي القوة التي يمتلكها وما هي كمية الاسلحة التي جمعها ولكنهم لم يعرفوا ما هو العدو، وما هو مدى رغبته في الحرب وما هو الوضع المعنوي بين رجاله.

لقد جرى التغلغل في عمق هذا الموضوع منذ اللحظة التي جرى فيها تعاون بين زروبابل وزايما وبين عزرا دفين ويهوشع فلمون، وقد تمثل هذا التعاون المثمر في اقامة دورة ضباط استخبارات نصف سنوية في الخضيرة عام ١٩٤٦ ولأول مرة تعلم افراد الدورة (ومعظمهم من بين ضباط شاي) اللغة العربية من شاؤول بار حاييم الذي عين فيما بعد في وزارة الخارجية والاذاعة الاسرائيلية واستمعوا الى محاضرات عن عرب فلسطين من يعقوب شمعوني الذي عين فيما بعد نائبا للمدير

العام لوزارة الخارجية واكتسبوا خبرات من اشخاص كانوا مطلعين على الحياة العربية في فلسطين.

اننا اذا القينا نظرة الى الوراء نستطيع القول بأن الدورة في شفيا والدورة نصف السنوية في الخضيرة وضعتا الاسس لجهاز الاستخبارات المقاتلة في الجيش الاسرائيلي في ايام حرب التحرير، فخريجو هاتين الدورتين اشتركوا في وظائف ضباط استخبارات في الالوية التي حاربت القوات العربية وطبقوا النظريات التي اكتسبوها على الطبيعة.

بعد أيام من قرار الامم المتحدة بتقسيم فلسطين واقامة «دولة» يهودية في ٢٩ تشرين ثان عام ١٩٤٧ استدعي تشيفاب الى يجائيل يدين وطلب منه ان ينظم بسرعة فائقة دورة استخبارات عاجلة، وخلال عمليات التحضير للدورة التي عقدت في بيت اعضاء الهستدروت في تل ابيب، اندلعت المعارك، وفي نهاية الدورة رفض زروبابل اقتراحا تقدم به يدين لترؤس الاستخبارات المقاتلة في رئاسة الاركان، فقد قال: لقد عملت حتى الآن بالتعليم والتدريب وشرحت للآخرين ماذا يعني ضابط استخبارات وكتائب وضابط الاستخبارات على مستوى اللواء، والآن اريد اختبار الامور فعلا على الطبيعة واشغال وظيفة ضابط استخبارات في وحدة ميدان.

استجاب يدين، وكانت المحطة الاولى لزروبابل البالماح، ففي هذا الاطار عملت منذ وقت طويل وحدات استطلاع كثيرة كانت تتجول في السامرة، والجليل والعمق اللبناني، ولكن هذه الجولات جرت بدون توجيه استخباري مهني وبدون تركيز وقد خصص معظمها ليس من اجل جمع المعلومات الاستخبارية وانما لغايات التدريب اما الجولات الاستخبارية الحقيقية فقد جرت بصورة عامة قبل هذه العملية او تلك.

ولكن تشيفاب لم يتمكن من تخصيص وقت طويل لتنظيم الجهاز الاستخباري للبالماح حيث انه في آذار عام ١٩٤٨ اغلقت الطريق الى القدس ووجد نفسه في وظيفة ضابط استخبارات لوائي في عملية نحشون، فالمعلومات التي وردت من قيادة شاي عن العدو في القرى كانت قليلة جدا ووصلت بشكل خاص من عملاء ومخبرين عرب. في هذه المرحلة ادرك تشيفاب بأن الطريق الوحيد لجمع معلومات سريعة عن العدو في المنطقة هي طريق الاستطلاع الجوي، فوضعوا تحت

تصرفه طائرة استطلاع وبدأ يقضي ساعات طويلة في عمليات التعقب الجوي للحواجز العربية التي اقيمت على الطرق ولعدد الاشخاص الذين وضعوا لحراسة هذه الحواجز، وكانت قيادة نحشون، في ناعن، وكان ضباط الاستخبارات على مستوى الكتائب يحضرون الى هناك لأخذ المعلومات التي جمعها زروبابل ورجاله، واحيانا كان زروبابل يقوم باختصار الطريق حيث يقوم بتسجيل المعلومات التي يجمعها ويضعها في كيس من النايلون ويقوم بالقائها من الجو على القوات الاسرائيلية الموجودة على الارض.

ان الوظيفة الاستخبارية المقاتلة لزروبابل ووارمال بلغت ذروتها مع اقامة قيادات الجيش الاسرائيلي وتعيينه ضابطا للاستخبارات في الجبهة الجنوبية، وقد وضع مسؤولا عن عملية جمع المعلومات الاستخبارية تمهيدا لعملية يوآب.

كتاب الضباط

بما انه ذهب الى وجهة جديدة غير معروفة له بدأ زروبابل بجولات في منطقة النقب ودرس عن كثب طبيعة الارض واكثر من مطالعة الصور الجوية وبعد ذلك بدأ بعملية جمع دقيقة لجميع المواد الاستخبارية التي توفرت في الالوية وضمها الى المعلومات التي تلقاها من (المقعد المصري) في الاستخبارات العسكرية والى التقارير التي بنيت على عمليات التحقيق مع الاسرى المصريين.

ولأول مرة اقيمت دائرة استخبارات كبيرة في الجبهة الجنوبية ضمت طاقما مدربا كسب خبرات في معالجة مواضيع الارض والعدو، والادارة وبقية المجالات الاستخبارية وبدأت من الدائرة تتدفق على الالوية، تقارير استخبارية يومية، وتقرير اسبوعي كما كانت ترسل تقارير مشابهة الى رئاسة الاركان، وكان الدور الرئيس لدائرة الاستخبارات في الجبهة الجنوبية يكمن في جمع المعلومات بواسطة الطلعات الجوية والمراقبات والرصد على المستوى التعبوي الذي نظمه مردخاي بن تسور، وكانت تتدفق على دائرة الاستخبارات من القادة في الخلف معلومات وردت من العملاء والصور الجوية التي كانت تلتقط من قبل اجهزة رئاسة الاركان.

وفي احد الايام استدعى يجال ألون الذي كان في ذلك الوقت قائداً للجبهة الجنوبية ضابط الاستخبارات زروبابل الى مكتبه، وقال له ألون ان دافيد بن

غوريـون ينـوي زيـارة الجبهـة، وهـو غير متأكد من اننا نستطيع ان ننزل ضربة قاصمـة بالعرب ويجب عليك ان توضح له بأن الامر ممكن، عليك ان لا تكذب وان تدلي بتفاصيل حقيقية ولكن عليك ان تتحدث اليه بصورة تزيل جميع الشكوك من قلب ذلك العجوز فقام زروبابل بتنفيذ ما كلف به واقتنع بن غوريون.

في المعـارك الاولى التي وقعت في اطار حملة يوآب القي القبض على أسرى ووثـائق كثـيرة وتضم الوثـائق مجلدين كانا يحتويان على اسماء جميع الضباط في الجيش المصري والمعلومـات الشخصيـة الخـاصة لهم وطريقة ترفيعهم، وكان هذا الكشف بمثـابـة منجم ذهب لدائـرة الاستخبـارات في الجبهـة الجنـوبية، وخلال زيـاراتـه المتكـررة لسجن الاسرى كان زروبـابل يحقق مع ضباط مصريين بعد ان كان قد اهتم سلفـا بحفـظ اسمائهم وايجاد ما هو مكتوب عنهم في كتاب الضباط، وعنـدمـا كان الكتـاب مفتـوحا على فخذيه او مخبأ تحت الطاولة كان يبدأ بأسئلة سـاذجـة، وبعـد ذلك ودون أي انـذار مسبق كان يقـول للضباط لماذا حصلت على تقـديـر بسيط في كلية الضباط بالقرب من القاهرة؟؟ وكان المحقق معه يفتح عينيه مذهولا ويقول بينه وبين نفسه من أين حصل اليهود على هذه المعلومات عني وعن الدورات التي اجتزتها مما لا شك انهم شياطين.

والنتيجة كانت ان الضباط يضطرون للحديث عن كل ما كانوا يعرفون، ومن المفهـوم انـه بهـذه الطريقـة لم تكن هنـاك ايـة مشكلة في الحصـول من الاسرى المصريـين على المعلومـات الضروريـة عن قوات الجيش المصري، في النقب في ذروة عملية يوآب.

بعـد تحرير النقب ارسل زروبابل للاشتراك في محادثات الهدنة مع الضباط المصريـين في نيتسـانـا، وخدم فترة قصيرة كرئيس لمودا في شعبة الاستخبارات في رئـاسـة الاركـان ولكن الجلوس بجـانب الطاولة لم يكن مريحـا لمن احب الاتصال اليومي مع الميدان وطلب تسريحه.

وكـان ذلك بالضبـط بعد التوقيع على اتفاقيات الهدنة التي قيل انها سارية المفعول حتى التوقيع على معاهدة سلام خلال ٦ اشهر.

ويقـول حاييم هرتسـوغ: لقـد استـدعيت تشيفـاب الذي اصبـح خبيرا في الجيش المصري وشلومو مورا الخبير بشؤون الجيش الاردني، ورجوتهما عدم ترك الاستخبـارات وقلت لهمـا ان التقـديـرات تشـير الى انـه خلال عام واحد ستفتح

اسرائيل سفارات في العواصم العربية وانهما سيكونان ملحقين عسكريين في هذه السفارات. ولم يقلل اي شخص من قدر هذا التقدير آنذاك ويبدو ان الجميع قبلوه بجدية كاملة ولكن مور وتشيفاب قررا مع هذا ولأسباب خاصة بهما انهاء خدمتهما العسكرية واذكر انه بعد ذلك استمر الحوار مع روبين شيلواح حول من سيكونون المرشحين البديلين للخدمة بهاتين السفارتين.

بعد انهاء حرب التحرير والتوقيع على اتفاقات الهدنة طرأ انخفاض سحيق في الاهمية التي نسبها قادة الجيش للاستخبارات المقاتلة في وحدات الميدان، وقد استمرت معظم الجهود في مجال تطوير الاستخبارات ـ الاستراتيجية على مستوى رئاسة الاركان التي سميت اولا خدمة الاستخبارات وبعد ذلك قسم الاستخبارات، وقد اهملت استخبارات الميدان وكانت لخدمة سنوات طويلة بمثابة الابن العاق لجهاز الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي حتى ان عين الجنرال حاييم لسكوب رئيسا لقيادة الجيش الاسرائيلي وطالب بضرورة تطوير الاستخبارات المقاتلة والاهتمام بتقدمها السريع في جميع وحدات الجيش الاسرائيلي.

إصلاح جهاز الجمع

عنـدمـا تسلم بنيـامـين جبـلي منصب رئيس دائرة الاستخبارات في رئاسة الاركـان العامة خلفا لحاييم هرتسوغ في نيسان ١٩٥٠ كانت تواجه الدائرة ثلاث مهام عاجلة:

أ - اعادة تنظيم جهاز الجمع، على اساس حديث ومتطور.

ب - اكمـال الاطارات التنـظيميـة للسـلاح التي بدأت تتبلور بشكل خاص خلال فترة عمل هرتسوغ.

ج - تطوير جهاز البحث، الذي كان يدقق المعلومات التي جمعت ويوزع التقديرات الاستخبارية لمستهلكيها المختلفين.

لقـد أعار جبلي أهمية بالغة لاكمال المهمة الأولى بل وربما جذب اليها اكثر بسبب طبعـه، ولهـذا عمـل على استثمار معظم وقته في ترميم واصلاح جهاز جمع المعلومـات، في دائـرة الاستخبارات وسلاح الاستخبارات لكي يعمل مرة أخرى في جولة أخـرى من المعـارك مع العـرب، ففي ذلك الوقت في مطلع الخمسينات، ساد الاعتقاد بأن هذه الجولة لن تتأخر.

في حرب التحـريـر اغلقت مصـادر جمـع كثيرة وخاصة فيما يتعلق بالجبهة المصريـة والسـوريـة، فالصحف العـربية توقفت عن الوصول الى اسرائيل واليهود الذين يجيـدون اللغـة العـربية لم يعد بامكانهم السفر الى مصر والعمل فيها، وفي اوقـات الحـرب سجن يهود كثيرون في معسكرات اعتقال وعندما افرج عنهم بدأت حركـة الهجـرة من مصر، كما توقفت نشاطات الكثيرين من العملاء المحنكين الذين عملوا ايضـا خلال فتـرة شاي في هذه الواجهـة والواجهات الاخرى، اذ انه خلال الحرب قطعت اتصالاتهم مع الاستخبارات الاسرائيلية ولم تتجدد بعدها.

ان مود ١٠ الذي كان يعمـل على تجنيد واستخدام العملاء عبر الخطوط قد واصـل عمله فعـلا في الجبهـات المختلفة ولكن نشاطاته اقتصرت فقط على المهمات السهلة (قرب الحدود).

وأمـا الجبهـة المصريـة فقـد ابتعـدت، كما ازدادت المخاطرات التي ينطوي عليهـا اجتياز الحدود الى مصر كما ان نوعية المعلومات التي كان العملاء يجلبونها من وراء الحدود كانت رديئة جدا.

الاستخبارات تفقد عظمتها

كلمـا مرّ الوقت منـذ نهـايـة الحـرب كلمـا فقد رجال الاستخبارات المقاتلة هيبتهم وعـظمتهم، ففي دائـرة الاستخبـارات في رمات جان اكتشف رجال «المقعد المصري» انه باستثناء المعلومات الواردة من وسائل الاعلام فانهم لا يعرفون شيئا عما يجري في مصر.

اذن اتجـه جبـلي الى اصـلاح جهاز جمع المعلومات في سلاح الاستخبارات وكـان هدفـه الفـوري من وراء ذلك هو البحث عن مصـادر معلومـات جديـدة والحصـول بقـدر الامكـان على معلومـات عن استعـدادات العـدو ونشـاطاتـه في الجبهات المختلفة وقام بعدة نشاطات اهمها:

أ - تطوير واحداث تقدم سريع في مجال الرصد (مود ٢)، الذي يبرهن عن نفسه في الحـرب، واقـامـة قواعـد لهذه الوحدة التي اتسعت بعد اتفاقات الهدنة بصورة كبيرة في مجال المخصصات المالية والطاقة البشرية في اماكن مختلفة في «البلاد» لتحسين نوعية الرصد، كما شكلت عند الحاجة مجموعات رصد تعبوية ارسلت الى قواعد امامية.

ان عمليـات الرصد لم تقتصر فقط على الاتصالات اللاسلكية فقط، فالجهاز اكبـر دليـل على مستوى تطور وحدة الرصد في السنوات الاولى لقيامها فقد تم تطويـره من قبـل القسم الفني في سلاح الاستخبـارات واعـد للارتبـاط بالاتصـالات السلكية بين المواقع السورية في هضبة الجولان، وقد عمل هذا الجهـاز عدة اشهـر بنجـاح الى ان وقـع بأيـدي السوريين في اعقاب القاء القبض على مجموعة اسرائيلية خرجت لتبديل البطاريات.

ب - تشغيل وحدة ١٣١ وتدفق دماء جديدة في عروقها. على الرغم من ان الوحدة اقيمت منـذ البـدايـة للعمل في اوقات الطوارىء فقط والقيام بالمهام الخاصة جدا فقـد طلب منهـا بعد ارسال ابراهام دار الى مصر في عام ١٩٥١ لاقامة

القواعد المصرية، للاستعداد للقيام بمهام جمع المعلومات ايضا.

ج - توسيع وتحديث قسم الاستخبارات في سلاح الجو الذي كان مهتما فقط في حل الصور الجوية، وبمقابل ايقاف جهاز جمع المعلومات على اقدامه استمر بناء جهاز الوقاية في سلاح الاستخبارات الذي كانت مهمته الرئيسة ضمان امن وسرية مصادر الجمع الجديدة، ومن جهة اخرى منع تسرب المعلومات حول تنظيم الجيش الاسرائيلي الى العدو، ومن هذه الناحية فقد تم التركيز على تشغيل جهاز المراقبة العسكرية بصورة جيدة من جهة وقسم امن الميدان من جهة اخرى.

ان تشغيل الوحدة ١٣١ واقامة قواعد الرصد كانت بمثابة سكب الزيت على شعلة العلاقات المتوترة بين دائرة الاستخبارات برئاسة بنيامين جبلي وبين الموساد برئاسة اليسر هرئيل، لقد اعترض هرئيل دون جدوى بـ«غزو» الاستخبارت العسكرية لمجال تشغيل العملاء في الخارج كما احتج على استخدام الوحدة ١٣١ بدون تنسيق مع الموساد، ولكن محاولة تحديد وتقليص مجال نشاطات الاستخبارات العسكرية قد فشلت، كما ان حقيقة سيطرة الاستخبارات العسكرية على مجال البحث السياسي وتحملها لمسؤولية تقييم الاستخبارات الوطنية اكسبتها القدرة الكافية لمنع كل محاولة لوضع حدود لنشاطاتها.

من دائرة استخبارات الى شعبة استخبارات

ان عملية تنظيم الجيش الاسرائيلي في السنوات التي تلت حرب التحرير لم تتجاوز سلاح الاستخبارات، ففي كانون أول ١٩٥٣ اعطيت دائرة الاستخبارات مكانة شعبة مستقلة في رئاسة الاركان بعد ان استبدل البناء البريطاني للجيش الاسرائيلي بالبناء الفرنسي المكون من اربع شعب والذي يحتفظ بمكانة مستقلة للاستخبارات.

وفي ٢٨ كانون اول ١٩٥٣ ارسل المقدم يهوشفاط هاركابي (الذي كان يعمل آنذاك رئيساً لدائرة الاستخبارات بالوكالة خلفا لبنيامين جبلي الذي كان يقوم باجازة دراسية في الخارج مدتها عام) برسالة خاصة الى رجال الاستخبارات قال فيها:

- يا جنود الاستخبارات السلام عليكم:

لقد انفصلت دائرة الاستخبارات اليوم عن شعبة الاركان واصبحت شعبة مستقلة في رئاسة الاركان تسمى شعبة الاستخبارات، لقد جاء هذا التغيير لابراز اهمية سلاح الاستخبارات للجيش الاسرائيلي، ان تغيير المكانة بكل ما ينطوي عليه هو خطوة حاسمة على طريق تطورنا، ولا يوجد عمل شبيه به سوى ذلك الذي تم في مطلع اقامة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي.

ان اهمية الحدث غير مقتصرة على شعبة الاستخبارات في رئاسة الاركان العامة وانما تشمل سلاح الاستخبارات برمته، بكامل اجهزته وفروعه. لقد كان السلاح والدائرة امس، والشعبة اليوم مرتبطين ببعضهما البعض، وضباط الشعبة الكبار هم في آن واحد ضباط قيادة لسلاح الاستخبارات.

ان تغيير المكانة يُلمس على طول الوقت حتى في اقسام الاستخبارات وفروعها.

ان هذا الحدث ليس للهتاف والتصفيق، انه يعني زيادة المسؤوليات ومطالبة جميع المسؤولين عن الاستخبارات بزيادة جهودهم.

فبالنسبة «لدولتنا» التي تعيش منذ قيامها داخل حصار من الاعداء الذين يسعون الى ابادتها، فان الاستخبارات تشكل سور الوقاية الاول، اننا نحن الذين نقيم في قلب الشرق الاوسط المليء بالتقلبات يجب ان نعرف ونعلم جيداً بما يدور حولنا.

ان هذا الهدف للاستخبارات يشكل بالنسبة لنا الاساس لامن «الدولة» ووجودها ويجب علينا ان نضع هذا الهدف دوما نصب اعيننا وعلى ضوئه نسير، ويجب ان تكون اذاننا صاغية لكل ما يجري حولنا ويجب ان تكون اعيننا مفتوحة وعقلنا واسعاً ومفتوحاً لفهم كل امر على حقيقته، ويجب ان نكن لبعضنا المحبة والتعصب للاستخبارات وان نواصل القيام بواجباتنا على اكمل وجه.

(-) رئيس شعبة الاستخبارات
بالوكالة وضابط الاستخبارات
الرئيسي / المقدم يهود شفاط هاركابي

في عشية تحويل دائرة الاستخبارات الى شعبة في رئاسة الاركان لم يزد حجم قوات سلاح الاستخبارات عن الف شخص، فحوالي ٢٠٠ ضابط وجندي خدموا في دائرة الاستخبارات في رئاسة الاركان العامة، (بما في ذلك ضباط البحث) وحوالي ٦٠٠ شخص في وحدات السلاح المختلفة.

ان التفاصيل التالية قد تبرز بالخطوط العامة شكل مبنى دائرة الاستخبارات عشية تحويلها الى شعبة في رئاسة الاركان العامة:

جمعت دائرة الاستخبارات بايديها جميع الوظائف التالية:

- قسم الجمع الذي كان مسؤولا عن تشغيل وحدات الجمع في سلاح الاستخبارات - وتوجيهها.
- قسم البحث الذي كان يقسم الى «مقاعد - سياسية وعسكرية وميدانية وفنية».
- قسم أمن الميدان المسؤول عن السرية في داخل الجيش.
- قسم التخطيط والعمليات الخاصة.

أما سلاح الاستخبارات فقد شمل الوحدات المختلفة ومعظمها وحدات جمع مثل: الوحدة (٢)، الرصد، الوحدة (٥)، جمع المعلومات عن مصادر مكشوفة والوحدة (١٠) التي كانت مسؤولة عن استخدام العملاء ووحدات مختلفة اخرى.

هذا المبنى للاستخبارات العسكرية الذي اصبح في عام ١٩٥٣ شعبة في رئاسة الاركان سيجتاز خلال الشهر عدة تطورات وتغييرات رغم انه سيظل معتمدا على وظائف قيادية من جهة، وسلاحية من جهة اخرى.

كما تقرر انذاك ان يتقلد رئيس شعبة الاستخبارات نجمتين ليكون: رئيس شعبة استخبارات وضابط سلاح رئيس.

خمســة اسلحــة

لقد كلفت اوامر القيادة العليا الشعبة الجديدة بمسؤولية تخطيط وتشكيل وتطوير جهاز الاستخبارات وامن الميدان في الجيش الاسرائيلي الى جانب مسؤولية تقديم تقييم استخباري ومعلومات استخبارية على مستوى رئاسة الاركان، ان تحويل دائرة الاستخبارات الى شعبة مستقلة في رئاسة الاركان في كانون اول ١٩٥٣ قلصت المخاطر بأن يكون التقييم الاستخباري مرتبطا برجال شعبة

العمليـات ومتـأثرا بهم، ووضع قاعدة صلبة لتوسيع السلاح ودعم مكانته وهيبته داخل الجيش.

مقـابـل ذلك تعـززت مكـانـة الاستخبـارات العسكـريـة داخـل المجـموعة الاستخبـاريـة حيث انـه في تلك الفتـرة الواقعة بين عام ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣ اكتملت بلورة خمسة أسلحة وهي:

أ ـ الاستخبـارات العسكـريـة التابعة لرئاسة الاركان ووزير الدفاع وتقوم بعدة مهـام رئيسـة اهمهـا: جمـع المعلومـات عن جيش العدو وقياداته ووحداته المقـاتلة وتعقب الوحـدات العسكرية للعدو من ناحية المكان والاستعدادات والتحـركـات والمحـاور والقـادة واعـداد البحـوث والتقييمـات في المجـالات العسكرية والاستراتيجية والسياسية.

هنـاك مهمة اخرى القيت على عاتق الاستخبارات العسكرية وكانت سرية جدا وتتعلق بالعمليـات العسكـرية كما كلفت بمعالجة كل المواضيع المتعلقة بأمن الميـدان داخـل الجيش الاسرائيـلي، ان هذه الوظيفة تعادل في الواقع وظائف «خـدمـات الامن العامة التي تقوم بمنع واحباط نشاطات التجسس على الصيعـد المـدني، كما كلفت الاستخبارات العسكرية بمسؤولية الرقابة العسكـريـة على الصحف والاذاعـة والرسـائـل والنـاطق بلسـان الجيش الاسرائيلي والارتباط مع الملحقين العسكريين.

ب ـ المـوسـاد المـركزي للاستخبارات والامن: لقد اقيمت الموساد في عام ١٩٥١ بدلا من الدائـرة السيـاسيـة في وزارة الخـارجية وترأسها في البداية روبين شيـلواح... وفي ١٩ ايـلول ١٩٥٢ قدم شيلواح استقـالتـه الى دافيـد بن غوريون وعين خلفا له اليسر هرئيل الذي شغل هذا المنصب حتى عام ١٩٦٣.

وتقـرر بأن تعمـل المـوسـاد باعتبـارهـا عنصر جمـع المعلومـات الرئيس للاستخبارات الاسرائيلية في الخارج وتكون تابعة مباشرة لرئيس الحكومة.

ج ـ خدمـات الامن العـام: ان مهمة هذه الخدمات هي مراقبة الامن الداخلي في «الدولة» وكشف واحبـاط الاعمـال السريـة وادارة الاستخبـارات التعـرضية (التجسس المضاد) من خلال تتبع مصادر التجسس المحتملة ومنع نشاطات مناوئة واعمال تجسس ضد «الدولة». وتقرر ان تكون تابعة لوزير الدفاع.

د ـ قسم الوظائف الخاصة في الشرطة وجاء ليكمل نشاطات خدمات الامن، والدور الرئيس الذي تقرر لهذا القسم هو مساعدة خدمات الامن العام في مجال اعتقال المجرمين والتحقيق معهم حسب توجيهات خدمات الامن العام (ش.ب.ك) وهذا القسم تابع للمفتش العام للشرطة ووزير الشرطة.

هـ ـ قسم الابحاث في وزارة الخارجية وقد اهتم بالتجسس الشرعي أي جمع وتحليل المعلومات التي ترد بشكل خاص من الدبلوماسيين الاجانب ومن مبعوثي وزارة الخارجية في الخارج.

لقد اجتمعت هذه الاسلحة او الاقسام الخمسة في لجنة رؤساء الخدمات التي عمل رئيس الموساد رئيساً لها، كان ذلك المبنى الكامل لمجموعة الاستخبارات في سني الخمسينات الاولى، ولكن سرعان ما اثبت الواقع ان ثلاثة فقط من هذه الاقسام الخمسة كانت ذات أهمية من الدرجة الاولى، الا وهي شعبة الاستخبارات والموساد وخدمات الامن العام، واما القسمان الاخران وهما:

قسم الوظائف الخاصة في الشرطة ودائرة الابحاث في وزارة الخارجية، فقط بقيا في الخلف، مما لا شك فيه ان احد العناصر التي ساهمت في دعم وتطور الاستخبارات العسكرية في اطار مجموعة الاستخبارات كان قسم الابحاث الذي كان يعمل في اطارها، وكان مسؤولا بصورة خاصة عن تقديم التقديرات الاستخبارية الوطنية، لقد كان موشه شريت في الواقع متعصبا لنشاطات قسم الابحاث في وزارته (وزارة الخارجية) وطالب عدة مرات بأن يقتصر الجيش على اعمال البحث العسكرية ولكنه لم ينجح في تغيير الوضع، ومنذ اللحظة التي اصبحت فيها الاستخبارات العسكرية مسؤولة عن اجراء التقييمات الاستخبارية الوطنية لم يكن هناك مفر من تغلغلها في مجالات سياسية ايضا، وهنا تقلصت دائرة الابحاث الى ان وصلت الى وضع لم يكن لها فيه سوى طاقة بشرية ضئيلة جدا.

وكذلك «الموساد» على الرغم من انها حاولت اكثر من مرة تقليص حجم النشاطات العملية ونشاطات جمع المعلومات للاستخبارات العسكرية، فانها لم تحاول تعويض انفرادية الاستخبارات في موضوع المعلومات وتقييمها في اطار تقييمات روتينية او في اطار التقييمات الاستخبارية الوطنية على المستوى الاستراتيجي.

تطـــور البحـــث

ان البحث في الاستخبـارات هو العنصر الذي من واجبـه القيـام بدراسـة المعلومـات التي جمعت واجمـالهـا وتقييمها، واستخلاص العبر منها، وبلورة رأي استخبـاري بمـوجبهـا، وهنـاك من يقـول بأن البحث هو في الواقع عنوان الجهاز الاستخبـاري اذ ان العمليـة المتمثلة في جمـع المعلومـات تنتهي الى ادوات الطبخ التي تقوم باستعراض وتقييم النتائج المتوخاة منها.

فخـلال عمـل حاييم هرتسوغ كرئيس لدائرة الاستخبارات وضعت الاسس للعمل الابحاثي، وقد عمل جهاز البحث على اسلوب (المقاعد) حيث يقوم كل مقعد بمعالجة شؤون دولة عربية مستقلة، وقد جاء معظم الباحثين من العالم الاكاديمي وبـرز بين مجمـوعـة البـاحثـين الاولى، العـدد الكبير نسبيا، الذين هم من اصل اوروبي غربي، فقـد غطى هؤلاء على النقص في التمكن من اللغـة العربية بالقدرة على الاستيعاب، والتحليل الممتاز، والدوافع السليمة.

ان اهميـة البحث، بطبيعتـه تزداد في الفتـرة التي تسبق الحـرب او تليهـا وابتـداء من اللحـظة التي تطلق فيهـا الرصاصة الاولى، هذا الافتراض الاساس السـاري المفعـول بالنسبـة لكـل حرب، كان ساريا جدا بالنسبة لحرب «التحرير» التي كان سلاح الاستخبارات فيها يجتاز مراحل تكوينه الاولى.

فخـلال المعـارك كانت الوحـدات المحـاربة تتغذى مباشرة من الاستخبارات المقـاتلة ولم تنتـظر حتى وصـول تقييمـات البحث على مستـوى رئـاسة الاركان، واقتصر دور رجـال البحث على جمـع المعطيات التي كانت تصل اليهم من مصادر جمـع منفـردة (وخـاصـة من العمـلاء وبعـد ذلك، من الرصـد) عن قوات العدو واستعـداداتـه والاسلحـة التي يمتلكها، وعلى اساس هذه المعطيات كانوا يكتبون تقارير يومية واسبوعية.

كانت وحدة العملاء تزود المعلومات بشكل خاص عن الواجهة الشرقية وبناء على تقـاريـرهـا كان رجـال البحث يعدون قوائم عن استعدادات العرب في القرى المختلفة مثل: بيت جبرين ـ ٥٠ مسلحاً و ٧٠ بندقية ورشاشات وهكذا...

اما صورة الاستعداد العسكري للقوات المصرية فقد بناها رجال البحث على

المعلومات الواردة عن طريق الرصد التعبوي حيث اعدت في الاستخبارات كتاباً وشمل قائمة بأسماء الضباط المصريين ورتبهم وانتمائهم العسكري.

غير ان المعلومات التي كانت تصل عن طريق الرصد لم تتناسب دوما مع ما هو مكتوب في الكتاب، وهذه الحقيقة الى جانب العدد غير الصحيح للكتائب الاحتياطية المصرية واعتبارها كتائب نظامية (والفوضى في عملية ارسال التقارير) جعلت المقعد المصري في دائرة الاستخبارات يضخم قوة الجيش المصري بنسبة ٣٠ الى ٤٠٪.

قبيل نهاية الحرب استطاع البحث الدخول في روتين عمل اكثر تنظيما ولكن دون ان يغطي الاحداث في المنطقة. فالمعلومات القليلة التي كانت تتدفق من الجبهات خلال سير المعارك حالت في الواقع دون اية قدرة حقيقية لتقييم نوايا العدو.

حادثة الحوادث

هذا الوضع استمر فترة طويلة حتى بعد الحرب، ويذكر قدامى العاملين في قسم الابحاث انه في احد الايام وصل خبر عن تحركات الجيش العربي، وعندما سئل رئيس المقعد عن تقييمه لهذا الخبر وماذا يقف وراءه اجاب قائلا: الان يوجد بأيدينا خبر، اما التقييم فلم يصل بعد.

لقد اعطى تعيين يهوشفاط هاركابي نائبا لبنيامين جبلي في ١ تموز ١٩٥٠ سرعة ودفعة لتطور جهاز البحث الذي كان مكونا انذاك من خمسين شخصا، ولم يقتصر البحث فقط على المجال العسكري وانما بدأ بوضع تقييمات للوضع السياسي، وهو العمل الذي لم يعجب دائما بعض اوساط المجموعة الاستخبارية.

في عام ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ راجت بين الزعامة الامنية تقديرات تقول: ان العرب ينوون البدء بجولة اخرى من الحرب، وبدأ الجيش الاسرائيلي يعد الخطط لمواجهة (حادثة الحوادث) أي لمواجهة هجوم شامل من جانب الدول العربية على «دولة» اسرائيل، وطلب من جهاز البحث ان يتقدم بمعطيات وتقييمات بالنسبة لطرق العمل لدى العدو.

واعطى جهاز البحث جوابه، بعد عمل مكثف على شكل كتاب رسمي، اسمه

حادثة الحوادث، وربما كانت هذه هي المساهمة الهامة الاولى لجهاز الابحاث على المستوى الاستراتيجي في الجيش الاسرائيلي، لقد شمل (حادثة الحوادث) على جميع المعلومات الاستخبارية المتوفرة عن الواجهات المختلفة في الدول العربية حسب التقييم الجغرافي، فقد حلل جميع الجوانب السياسية، والجغرافية السكانية، والاقتصادية والعسكرية للعدو، واشار الى طرق العمل المحتملة للجيوش المعادية، والى محاور تقدمها في الهجوم المحتمل.

لقد اعيد تأليف كتاب ـ حادثة الحوادث ـ مرتين خلال عامين متتالين، اما في السنوات التي تلت ذلك وعندما تلاشت المخاوف من هجوم عربي شامل وتلاشت النظرية حول وجود خطر جولة أخرى، توقف تأليف هذا الكتاب، ولكن كتاب حادثة الحوادث ساهم كثيرا في بلورة عمل جهاز البحث في مراحل نموه الاولى وقد برزت هذه المساهمة بشكل خاص، بسبب المعلومات الضئيلة حول ما يحدث في الدول العربية والتي كانت متوفرة بأيدي الاستخبارات خلال سنوات تشكيلها الاولى، وربما ان هذه الحقيقة وخاصة فيما يتعلق بالواجهة المصرية قد تسببت في ان تكون ثورة الضباط الاحرار في مصر في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بمثابة مفاجأة للاستخبارات الاسرائيلية.

«الوحدة ١٣١» في عقدة الفضيحة

اقيمت الوحدة ١٣١ خلال حرب التحرير في اطار الدائرة السياسية لوزارة الخارجية، ومنذ أيامها الاولى كان مركز هذه الوحدة السرية موضوع جدل وخلاف حول صلاحيات واهداف عملها.

اندلعت الخلافات لانه تقرر خلال اقامة الوحدة ان تعمل في بلدان العدو وخارج حدود اسرائيل وان تكون مهامها بث الهلع في الخطوط الخلفية للعدو وتنفيذ اعمال تخريب وتحويل للانظار ضد الجهد الحربي للعدو اثناء الحرب، ولكن عندما انتهت حرب «التحرير» زعم رؤساء الاستخبارات العسكرية ان مهام هذه الوحدة هي عسكرية محضة، ولهذا يجب شملها في اطار دائرة الاستخبارات في رئاسة الاركان، ورفضت الدائرة السياسية في وزارة الخارجية التنازل ولكن في نهاية الجدل رجحت الكفة لصالح دائرة الاستخبارات ونقلت الوحدة ١٣١ للعمل

فقـط في أوقـات الطوارىء القصـوى، ومن خلال الاخـذ بعـين الاعتبار التقديرات السيـاسيـة، ولهـذا تقرر في عام ١٩٥٠ نظام بناء على موافقة الجيش الاسرائيلي، ووزارة الخارجية شكلت بموجبه (لجنة شخصية) مكونة من روبين شيلواح (رئيس الموسـاد) ومـردخـاي مكليف (نـائب رئيس الاركـان) وكلفت هذه اللجنة بمراقبة وتوجيه النشاطات العسكرية للوحدة وتحديد اهدافها.

وبعـد حرب «التحـريـر» كلفت الوحـدة ١٣١ التي يقودها المقدم مواطكا بن تسـور احد سكان مستوطنة مشابي سديه، باقامة قاعدة في مصر، وكان بن تسور يعمل مبعوثا لمنظمة الهاجناه في العراق، وفي حرب التحرير كان قائدا لسرية في لواء هرئيل التابع للبالماح وكما هي العادة في تلك الايام اختار بن تسور للمهمة في مصر رجـل بالمـاح آخـر يدعى ابراهام دار، وهو بحري ومزارع، ونشط في مجال الهجرة الثـانيـة واحد افراد السرية البحرية التابعة للبالماح التي نفذت في الاشهر الاخيرة لحرب «التحرير» وبأمر من الاستخبارات، عدة عمليات ومهام هامة.

وارسـل ابـراهـام دار ليبني لنفسـه تغـطية مناسبة ففي بداية صيف عام ١٩٥١ وصـل الى القـاهرة متنكرا على هيئة تاجر ويحمل جواز سفر بريطانيا باسم جون دارليننغ.

وبمسـاعدة رجل «مؤسسة الهجرة» في القاهرة بدأ دار بتجنيد مجموعة من الشبـان المخلصين للحركة السرية التي اراد تشكيلها، على الرغم من انه هو نفسه لم يكن يعلم حتى الآن كيف سيستخـدم هذه الحـركة السرية، لقد بحث دار ليس فقـط عن اشخـاص مخلصـين ليتم تدريبهم جيـدا على اساليب التخريب المختلفة ليبـدأوا العمـل فور وصـول الاشـارة من اسرائيل فحسب، وانما بحث ايضا عن اولئك غير المرشحين للهجرة الفورية الى اسرائيل.

الأمـــــــــــــــــــر

في نهـايـة آب ١٩٥١ غادر ابـراهام دار مصر، وترك خلفه شبكة مكونة من مجمـوعتين في طور التكوين احداهما في القاهرة والاخرى في الاسكندرية وكان لكل مجمـوعـة قائد وهو ضابط وصل من اسرائيل وبحوزته جهاز لاسلكي للاتصال مع اسرائيل، وكانت كل مجموعة تضم ايضا فتاة لتقيم الاتصال مع قائد الشبكة كلها.

قام عدد من الشبـان المجندين بالسفر واحدا واحدا الى اسرائيل عن طريق فرنســا، وكـان اول من وصـل تل ابيب فيكتـور ليفي، واقام في بنسيون صغير في شارع الملك سليمــان، وانتـظر مدة شهــرين الى ان بدأت الدورة التي نظمت من أجله في معسكر للجيش بالقرب من الرملة. وكان في البداية طالبا وحيدا في الدورة، وقـام احـد المدربين، ممن يتكلمون الانجليزية باعطائه دروسا في عمليات التخريب والمتفجـرات واستخدام المتفجرات وتركيب الالغام وهكذا.. وبعد ذلك نقل الى حيفا ليكتسب خبـرة معـرفة السفن واعمال التخريب البحرية، وفي وقت لاحق انضم الى دورة موشه مرزوق.

حتى نهـاية عام ١٩٥٣ عاد جميع اعضاء الشبكة الى مصر بعد ان تدربوا في اسرائيـل على فن الاتصال، واعمال التخريب واستخدام الحبر السري، وسرعان ما ارسلت لهم اجهزة اتصال واوامر الاستخدام، وكانت المهام الثلاثة الاولى التي كلفـوا بهـا تدور حول: شراء مواد كيمـاوية من الصيدليات لاعداد المواد الناسفة واقـامـة مصنـع سري لتـركيب المـواد والقيـام بجـولات استـطلاع على الاهداف المخصصة لعمليات التخريب التي ستنفذ خلال الحرب.

وقبـل عودتـه الى مصر، اوضـح قائد الوحدة، موطكا بن تسور، لفيكتور بأن المهمـة التي يقوم بها ليست مهمة تجسس كما قيلت اقوال مشابهة لروبرت داسا (روبي) ولفيليب تتـاتـرون اللذين غادرا اسرائيـل الى القاهرة بعد نهاية الدورة في تشرين اول ١٩٥٣.

لقـد كانت السرعـة والسطحية والتسرع تميز التدريبات التي اجتازها افراد الشبكـة في اسرائيـل، وكان هنالك تجاهل لاحتمال وقوع الشبكة بأيدي المصريين، اذ انـه لم تكـرس ولو محـاضرة واحـدة لهذا الموضوع، ولم يحصل اي واحد من افـراد الشبكـة على (قصة تغطية) مناسبة، كما كان تنظيم «القاعدة المصرية» غير متكـامـل، ولم يبلغ اعضاؤها ابدا المستوى العملي المناسب، كما انهم لم يحافظوا على عنصر الحـذر والعمـل في ظروف سريـة، وقـد واجه اعضاء الشبكة مدة طويلة مصاعب في تركيب واستخدام جهاز الاتصال.

في نهـايـة ربيـع ١٩٥٤ كان من الواضح ان حكومة تشرشل قد توقع قريبا على معـاهـدة لاخـلاء قنـاة السـويس ومـع هذا اتضـح بأن هذا المشروع يواجه معـارضـة من جانب اوساط الحزب الحاكم في بريطانيا وفي شعبة الاستخبارات في

الجيش الاسرائيلي طرحت فكرة تدور حول مدة القيام بمحاولة لتأخير الانسحاب البريطاني عن طريق القيام بعمليات تخريب ضد اهداف بريطانية في مصر.

وكان هناك من قال ان عمليات التخريب ضد اهداف بريطانية ستبرهن على ان النظام المصري ضعيف وانه غير قادر على احترام المعاهدات.

وفي ٢٦ ايار ١٩٥٤ غادر مبعوث اسرائيل الى فرنسا للاجتماع مع ابراهام زايدنبرغ الذي جند للعمل في صفوف شعبة الاستخبارات العسكرية، واقام اكثر من عام في مصر، كعميل وحيد دون ان يعلم بوجود الشبكة.

وعينه قائد للوحدة في مصر وامره بالتوجه الى هناك ثانية لتنظيم المجموعات واعدادها واستخدامها ضد اهداف مصرية وبريطانية وامريكية في القاهرة والاسكندرية، ووصل زايدنبرغ الى القاهرة على انه رجل اعمال بواسطة جواز سفر الماني باسم باول فرانك، وعرفه اعضاء الشبكة باسم «روبرت».

الخـــــــــــــــلاف

كان يسود المجموعة الاستخبارية الاسرائيلية وزعامة الجيش الاسرائيلي آنذاك عدم اتفاق حول الدورة العملية التي عقدت لاعضاء الشبكة، بالنسبة للمهمة في مصر بل وحتى بالنسبة لمجرد وجود الوحدة ١٣١ فرئيس الاركان يجائيل يدين ونائبه مردخاي مكليف الذي اصبح في عام ١٩٥٣ رئيسا للاركان اظهرا في فترات عملهما تأييدا لاستخدام الوحدة في الجبهة الخلفية المصرية، ولكن في صفوف القيادة العليا، بدأت تبرز مجموعة من الضباط، ملت الاســاليب التقليدية التي ورثوها عن الهاجناه، وزعم هؤلاء الضباط ان الجيش الاسرائيلي اصغر من ان يستطيع معالجة مجموعة واسعة كهذه من المهام وقالوا ان عمليات خاصة في الخطوط الخلفية للعدو تقدم فقط مساهمة غير مباشرة، ولكن من جهة اخرى، فقد تورط الجيش الاسرائيلي في وقت وظروف غير مناسبة ولهذا يجب التركيز فقط على الهدف الرئيس وهو هزم العدو في ميدان القتال، وكان من معارضي استخدام الشبكة في مصر ايضا رئيس الاركان موشه ديان خلال فترة عمله.

الى جانب هذا الخلاف اندلع خلاف آخر، لا يقل شدة بين رئيس «الموساد» آنذاك اليسر هرئيل وبين المؤسسة الامنية برئاسة وزير الدفاع بنحاس لافون،

ورئيس شعبة الاستخبارات العسكرية بنيامين جبلي.

فاليسر هرئيل الذي وقف ضد الحاق الوحدة ١٣١ بسلاح الاستخبارات (وليس للموساد) زعم ايضا بأن خطط الوحدة كانت ذات طابع متسرع ومغامر وينقصها التقدير والمسؤولية السياسية.

لقد اطلع على الافكار المختلفة التي اثيرت لاستخدام الوحدة من رئيس شعبة الاستخبارات بالوكالة، يهودشفاط هاركابي.

(كان جبلي آنذاك في دورة دراسة في الخارج) وقال له هاركابي كما قال هو ان الخطط معروفة لرئيس الاركان ووزير الدفاع ووضعت من قبل شعبة الاستخبارات بعلمها وموافقتها التامة، وبعد ذلك قال اليسر هرئيل انني متأكد من ان رئيس الحكومة لم يكن يعرف شيئا عن هذه الخطط، وبما انه استمع من هاركابي عن خطط لا يستطيع الموافقة عليها فقد طلب اليسر هرئيل تجديد التسوية التي اجريت بين الموساد وشعبة الاستخبارات عام ١٩٥٠ أي احياء «لجنة الاثنين» لتشرف بشكل مشترك على الوحدة ١٣١.

وقد عقدت جلسة لرئاسة الاركان وفي اعقابها بعث هاركابي برسالة جوابية الى هرئيل تحمل تاريخ ١٨ شباط ١٩٥٤:

«**الموضوع**»

العلاقات بين رئيس الموساد والوحدة ١٣١.

في اطار النقاش المشترك الذي جرى بحضور وزير الدفاع، حول شؤون الوحدة ١٣١ طلبت اشتراكك وكان قرار وزير الدفاع:

١- ان مسؤولية رئيس شعبة الاستخبارات وضعت في صورة ما يجري في الوحدة ١٣١ وضمان التنسيق بين نشاطات الشبكة والوحدة ١٣١.

٢- الامر العسكري الذي نص على تبعية الوحدة ١٣١ لرئيس شعبة الاستخبارات (وعن طريقه لرئيس الاركان) يظل ساري المفعول.

٣- لن تشكل هيئات ادارية اخرى.

المقدم: يهودشفاط هاركابي

رئيس شعبة الاستخبارات بالوكالة

لكن اليسر هرئيل لم يتنازل، فطلب عقد اجتماع مع وزير الدفاع بنحاس لافون وعقد هذا الاجتماع في السادس والعشرين من شباط ١٩٥٤ لكن الوزير رفض مطالبه.

وكما قال اليسر هرئيل فقد تصاعدت الخلافات بين «الموساد» وشعبة الاستخبارات بصورة اكثر بعد عودة بنيامين جبلي من الخارج، في آذار ١٩٥٤ فقد استغل جبلي دعم لافون لكي يتنكر للموساد ويلغي بصورة جارحة اتفاقات وتسويات حددت قبل ذلك بين الموساد وشعبة الاستخبارات وقال هرئيل ان تعاون الاستخبارات العسكرية مع عناصر جمع المعلومات الاستخبارية في الخارج التي كانت تابعة «للموساد» قد وصل الى اسفل الدرك.

«التنفيذ»:

في الثاني من تموز ١٩٥٤ نفذت الشبكة في مصر أول عملية حيث قامت بوضع حارقة في صناديق البريد في حي الرمال في الاسكندرية وكانت الاضرار قليلة وفي الرابع عشر من تموز وضعت قنابل حارقة في المكتبات الامريكية في القاهرة والاسكندرية وهناك كانت الاضرار لا تذكر، وفي الثالث والعشرين من تموز، يوم الثورة اتسع نشاط العمليات فقد خرجت مجموعات الشبكة حاملة قنابل حارقة نحو دارين للسينما في القاهرة، ونحو دارين للسينما في الاسكندرية ونحو مستودع للاثاث في محطة سكة الحديد في القاهرة.

وقد اشتعلت احدى القنابل البدائية في جيب عضو الشبكة فيليب نتنزون عندما همّ بدخول دار السينما «ريو» في الاسكندرية وألقي القبض عليه من قبل رجال الشرطة في مصر، وفي نفس تلك الليلة وفي الايام التي تلت ذلك تم القاء القبض على جميع اعضاء الشبكة اليهودية وهم: الدكتور موشه مرزوق وشموئيل عزار، ومارسيل (فيكتور) نينو، وفيكتور ليفي، وروبرت داسا، ومئير زعفران ومئير ميوحاس، وايلي يعقوب، وعزار كوهن، كما اعتقل يهودي مصري يدعى يوسف كرمونة، رغم انه لم يكن له أي ضلع في الشبكة، وقد قيل انه انتحر او عذب حتى الموت من قبل رجال الشرطة في مصر، كما اعتقل مئير بنيت (ماكس بنت) وهو رائد في الجيش الاسرائيلي وعميل للاستخبارات الاسرائيلية، وكان له اتصال غير مباشر مع الشبكة اليهودية، اما قائد الشبكة ابراهام زايدنبرغ (باول فرانك) فقد أقام

اسبوعين آخرين في مصر، حيث باع سيارته وسافر الى اوروبا، وفي السادس والعشرين من تموز عام ١٩٥٤، بدأت وسائل الاعلام المصرية والعربية تعلن اخبارا مفادها انه قد تم القاء القبض على بعض اعضاء الشبكة في مصر، وقد بدأت محاكمتهم في القاهرة في ١١ كانون أول ١٩٥٤ وفي ٢١ كانون اول انتحر «بنت» في سجنه عن طريق قطع شرايين يديه بواسطة «شفرة حلاقة» وحاولت مارسيل نينيو الانتحار قبل ذلك لكنها انقذت.

وفي السابع والعشرين من كانون ثان ١٩٥٥ نشرت المحكمة العسكرية في القاهرة قرار الحكم الصادر بحق المجموعة فقد حكم على الدكتور موشه مرزوق (وهو طبيب في المستشفى اليهودي في القاهرة وعمره ٣٦ سنة) وشموئيل عزار (وهو مدرس في الاسكندرية وعمره ٢٦ سنة) بالاعدام شنقا، وحكم على ليفي، وداسا ونتنزون بالسجن المؤبد.

وحكم على مارسيل نينيو بالسجن لمدة ١٥ سنة، وحكم على زعفران وميوحاس بالسجن لمدة ٧ سنوات، واما يعقوب وكوهن فقد برئت ساحتهما، ورفض المصريون الطلبات التي وجهت اليهم لتخفيض الاحكام الصادرة بحق مرزوق وعزار، وفي ٣١ كانون ثان ١٩٥٥، اعدم الاثنان شنقا حتى الموت في سجن القاهرة.

في نهاية تموز ١٩٥٤، عندما انتشرت الاخبار في وسائل الاعلام العربية حول اعتقال اليهود في مصر نشب خلاف في الزعامة الاسرائيلية حول: من اعطى الامر باشعال الحرائق، ومتى اعطي هذا الامر ولأي سبب؟ فزعم رئيس شعبة الاستخبارات بنيامين جبلي انه تلقى الامر من وزير الدفاع ونقله الى قائد الوحدة المقدم مردخاي بن تسور، وهذا الامر حرر يوم السبت السابع عشر من تموز عام ١٩٥٤ الى القاهرة، ولكن اتضح بأن العمليات بدأت قبل هذا الموعد وضد اهداف امريكية لم تكن مشمولة بالامر.

«التحقيق»:

واما وزير الدفاع بنحاس لافون فقد زعم بأن العمليات في مصر بدأت قبل اعطاء موافقته عليها، ولم يعرف العقيد جبلي كيف يبرر العمليات التي نفذت قبل اعطاء الامر، وهنا شكلت لجنة رفيعة المستوى مكونة من: رئيس المحكمة العليا

اسـحق اولش ورئيس الاركـان الاول للجيش الاسرائيـلي يعقـوب دوري، وكلفت بالتحقيق في خلفية الاحداث التي عرفت منذ ذلك الوقت باسم «الفضيحة».

وهنـا اكتشفت اللجنـة صورة من العـلاقـات العكـرة والتهم المتبـادلة بل والشهـادات المـزورة، والوثـائق المـزيفة، ولم تنجح اللجنة في التحقيق في الروايات المتناقضة وتبني احداها.

كمـا ان المـزاعم حول تزييف الوثـائق في شعبة الاستخبارات لم تعف وزير الدفاع من المسؤولية ولكنها بسطت ظلا ثقيلا على الشعبة ورئيسها آنذاك بنيامين جبـلي امـا التحقيقـات الجزئية المختلفة التي جرت في اعقاب شهادة قائد الشبكة ابـراهـام زايـدنبـرغ (الذي عرف آنذاك بلقب الرجل الثالث) والذي اتهم بتسليم الشبكـة في القاهرة من خلال التعاون مع المصريين، وقدم للمحاكمة بسبب علاقاته مع الاستخبـارات المصريـة، وارسـل الى السجن، قلنـا ان تلك التحقيقـات ولدت (فضيحـة لافـون) التي استمـرت عدة سنـوات وقـوضت اسس نظام الحكم في اسرائيل وتسببت في استقالة لافون وبعد ذلك بن غوريون من مناصبهما.

لقـد استقـال بنحاس لافون من منصب وزير الدفاع في ١٧ شباط ١٩٥٥، وفي مطلع نيسـان تم نقـل رئيس شعبة الاستخبارات بنيامين جبلي، وقائد الوحدة ١٣١ مردخاي بن تسور، من منصبهما، وعين يوسف هرئيل خلفا لبن تسور، وعين يهـوشفـاط هاركـابي خلفا لجبلي كرئيس لشعبة الاستخبارات وأوضح منذ البداية انه غير مستعد للتعامل مع فضائح الماضي والتحقيق مع المتهمين في هذه الفضيحة.

إن قصـة هذه الفضيحـة بغض النظر عن الفضيحة السياسية، هي قصة فشـل الاستخبـارات العملية من ناحية اختيار الاهداف والتخطيط والتنفيذ، فهذه «الفضيحـة» كشفت الستـار عن علاقـات مقـوضـة داخـل شعبـة الاستخبارات العسكـريـة الاسرائيلية ومثلت الانهيار الذي وصلت اليه العلاقات داخل المجموعة الاستخبـاريـة وخاصة بين شعبة الاستخبارات والموساد، في السنوات الاولى لقيام هاتين الهيئتين،

لقد ادى تسلم يهوشفاط هاركابي منصب رئيس شعبة الاستخبارات الى عملية تطهـير جزئيـة للاجـواء المتعكرة داخل شعبة الاستخبارات وتحسين العلاقات مع المـوسـاد ولكن مشكلة الفوارق في وجهات النظر بالنسبة لوجود الوحدة ١٣١ تحت

امرة شعبة الاستخبارات او تحت امرة الموساد قد وجدت حلها بعد ذلك بثماني سنوات.

الجهاز الذي أثار العاصفة

تسببت الحرب العالمية الاولى في تطوير جهاز الرصد كوكالة جمع معلومات في جهاز الاستخبارات وقد ازدادت اهمية هذا الجهاز كلما ازداد احتياج البشرية لوسائل الاعلام الحديثة، فاستخدام اللاسلكي الى جانب استخدام الاتصالات السلكية المعمول بها، اصبح ظاهرة منتشرة ومفهومة في كل واحد من مجالات العمل السّري: السياسي، والعسكري، والاقتصادي، والمدني العام، وفي الواقع ان استخدام اللاسلكي كان ضرورة ملحة في المجال العسكري، بسبب تنقل الوحدات المحاربة والمسافات البعيدة التي تفصل بين هذه القوات في البر، والجو، والبحر ونتيجة لذلك اصبح الرصد وسيلة سرية واحيانا حاسمة، في مجال جمع المعلومات.

يكفينا هنا ان نعدد ثلاث ميزات فقط لهذا العنصر الفني، لكي نقف على الفائدة الكبيرة التي يمكن جنيها منه:

- اصلية الانباء التي لا تتأثر بالتقييمات او التقارير الموضوعية للعملاء والاستطلاعات الجوية، او الارضية والتي يمكن مقارنتها من ناحية الدقة بوثائق، معادية تقع بأيدي الاستخبارات.
- الفورية التي بها يمكن الحصول على الانباء واستخدامها للاغراض العملية.
- قدرة الرصد على العمل من مسافات بعيدة نسبيا.

لقد جرى في حرب «التحرير» استخدام واسع للمعلومات التي حصلت عليها مجموعات الرصد التعبوي التي رافقت القوات المحاربة في الجبهات المختلفة، ففي الجبهة الجنوبية على سبيل المثال، رصدت مجموعات الرصد بقيادة موطكا بن تسور المكالمات اللاسلكية بين «الجيب» المصري في الفالوجة وبين القيادة المصرية وغذت بالمعلومات الحيوية، مخططي الهجوم الاسرائيلي، اما وحدة الرصد في رئاسة الاركان التي كان يقودها مردخاي الموج ونائبه ابراهام الوني، فقد سجلت مكاسب اولية في مجال حل «الشيفرة» للمكالمات التي كانت تجري بين قوات الجيش المصري في النقب خلال الهدنة الثانية وما بعدها.

ولكن عندما وقعت اتفاقات الهدنة بين اسرائيل والدول العربية واجه الرصد الاستخباري الاسرائيلي وضعا جديدا، فالاتصالات اللاسلكية التعبوية التي كانت تستخـدمهـا القـوات المتحركة في المنطقة تقلصت واخلت مكانها للاسلاك الهاتفية التي تم مدهـا بين المواقع الثابتة التي رابطت فيها الجيوش العربية خلف المناطق المجـردة من السلاح، وقد وقف عائق جديد امام جهود اسرائيل لمعرفة نوايا العدو بواسطة الرصد والاستعداد قبل فوات الاوان لمواجهة هجوم عربي مفاجىء، ولهذا فقد دعت الحاجة الى ايجاد حلول اخرى والتأقلم بسرعة مع الظروف الجديدة.

مظليون غير منفعلين

ان الرصد للاتصال السلكي كان معروفا لسلاح الاستخبارات الاسرائيلي في مطلع سني الخمسينات فقد تعرف رجال السلاح على مواضيع كهذه بحكم تجارب الآخـرين مثـل: كيف اتصل الغرب بكوابل روسية ممدودة عبر نفق في برلين وكيف اتصـل الالمـان ابـان الحـرب العالمية الثانية بالكابل البحري الممدود بين بريطانيا والولايـات المتحـدة الامريكية واستطاعوا استيعاب وحل رموز محادثات بين رئيس حكومة بريطانيا تشرشل وبين الرئيس الامريكي روزفلت.

ولكن خلافا لرصد المكالمات اللاسلكية للعدو، الذي قد يتم بدون الحاجة الى اجتيـاز الحـدود نحـو منطقة العدو فان الرصد للاتصالات الهاتفية للعدو ينطوي على مخـاطرة بحيـاة عدد من الاشخاص، فهذا الرصد يترتب عليه اجتياز الحدود للاتصـال بواسـطة جهـاز خاص بخطوط التلفون او التلغراف البارزة او الممدودة وتحت الارض في المنـطقـة العسكـريـة للعـدو، كما يترتب على هذا الرصد عمليات متتـاليـة اخـرى في داخـل منـطقـة العدو لاجراء فحوص وصيانة روتينية لاجهزة الرصـد، (مثل استبدال البطاريات) وهذه المهمة تتطلب محاربين جريئين ومجرمين يعـرفـون المنطقة جيدا ويستطيعون معالجة جهاز الرصد بصورة صحيحة. في عام ١٩٥٤ كان عدد قليـل فقـط من كبـار القادة في الجيش الاسرائيلي يعرفون ما هي الفـائـدة والقيـود والمخاطرة التي ينطوي عليها اتباع اسلوب جهاز الرصد ويقول رئيس شعبـة الاستخبـارات آنـذاك بنيـامين جبلي ان وزير الدفاع آنذاك بنحاس لافـون قد اجتمـع عدة مرات مع رئيس الاركان موشه ديان ومعه لبحث استخدام

جهاز الرصد، لقد كان لافون يعرف ما هي القيود التي تعترض استخدام هذا الجهاز، وما هي المنفعة التي قد تم تقديمها لأمن «الدولة» وبعد ان درس الموضوع سمح باستخدامه في الجبهة السورية.

يبدو ان التقديرات والمشاكل التي كان ينطوي عليها استخدام الجهاز قد اخفيت عن خمسة مظليين ممتازين وهم افراد الدورية التي كانت مشغولة في ذلك الوقت بأعمال الدورية الروتينية على طول حدود «الدولة» وفي احد ايام عام ١٩٥٤ استدعي الخمسة وهم: مئير يعقوبي وجادي كستلنتس، وجاكي ليند واثنان آخران الى قائدهم مئير هارتسون وارسلوا الى مكتب الوحدة، ومن هناك تم نقلهم الى ميدان تدريب شمال تل ابيب حيث تم تدريبهم خلال فترة من الوقت على اسرار هذا الجهاز.

لقد اعد هذا الجهاز لربطه بخط تلفون عال ثم مده بين مواقع سورية في هضبة الجولان، وكانت الضرورة تدعو الى ربط احد اطراف الكيبل بسلك التلفون المثبت برأس العامود وطرفه الآخر في الطرف الاسفل للجهاز المخبأ في باطن الارض، وتسلمت مجموعة المحاربين التي عين مئير يعقوبي قائدا لها وجاكي خبيرا للمتفجرات وجادي المحارب المرن الذي يعرف التسلق على الاعمدة بوسائل خاصة للتسلق على العمود واسلحة شخصية ومعدات اخرى.

يتضح بأن مجموعة المظليين لم تعر اهتماما خاصا لماهية الجهاز او الفائدة الاستخبارية المتوخاة منه، ويبدو ايضا انها لم تنفعل بشكل خاص من المخاطرة المترتبة على ربط هذا الجهاز بعمود التلفون الواقع عند منعطف الطريق من عين فيت الى زغورة بين مواقع سورية، وبعد عملية التركيب التي تمت بسهولة، عاد المظليون الخمسة الى مزاولة نشاطاتهم العادية وبين الحين والحين كانوا يستدعون للقيام بعملية تسلل اخرى الى ما وراء الخطوط السورية لمعالجة الجهاز أي لاستبدال البطاريات.

وكانوا يقومون بذلك خلال ساعات الليل، ومع الصباح كان المحاربون يعودون لمزاولة نشاطاتهم العادية واصبح الجهاز شيئا روتينيا، لمراقبة أي حدث يجري خلال فترة معينة وفي مرحلة متأخرة جدا الحق بمنفذي عمليات التسلل الى الارض السورية محاربان آخران من لواء جولاني، وهما الملازم مئير موزس والعريف ادري ايلان وعمره ١٩ عاما، من كيبوتس شموئيل.

مجموعة ايقاظ من النوم

خدم «د.هـ» في اواسط الخمسينات في الدائرة الاستخبارية في القيادة الشمالية وبالنسبة له لم تكن عمليات التسلل الى الارض السورية في منطقة تل عزيزات من اجل استبدال البطاريات في الجهاز بمثابة متعة روتينية فهو يتذكر جيدا الاجتماع الذي عقده مع مجموعة المحاربين في استحكام صغير في كيبوتس دان قبل توجههم الى الميدان.

ومما يثير الاستغراب ان المجموعة كانت تكثر من التسلل الى هناك خلال الليالي المنارة بضوء القمر، وكان افراد المجموعة هادئين ويحتسون القهوة مع عدد من رجال دائرة الاستخبارات في القيادة الشمالية، الذين كانوا مطلعين على سر الجهاز ويودعونهم ومن ثم يسيرون.

كانوا مدربين جيدا وواثقين بأنفسهم، ويعرفون الخطر جيدا، اتجه افراد المجموعة نحو منعطف الطريق السوري بين عين فيت وزغوره، واكتشفوا عبارة مياه تقع بالقرب من عمود التلفون، وتقدموا لمعالجة الجهاز بصورة سريعة ـ لاستبدال البطاريات او القطع البالية، ومن هذا العمود كانت اسلاك الهاتف تمتد نحو عدد من اهم المواقع السورية في تلك الواجهة، لقد كانت العملية بحد ذاتها بسيطة جدا ولكن المخاطرة كانت شديدة.

فقد كان هناك خوف من الاكتشاف او الوقوع بأيدي السوريين وهم في طريقهم الى الهدف، أو العودة منه، ولكن الاسوأ من ذلك كله، كان الانتظار في المكان قرب العامود للتأكد من صحة استبدال البطاريات فكيف يتأكدون فيما اذا كانت البطاريات تعمل بانتظام طالما ان الخطوط السلكية صامتة في جنح الظلام ورجال الاتصال السوريين الذين يستخدمون هذه الخطوط يغوصون في نوم عميق؟؟

هنالك طريق واحدة ما زالت تصم الآذان حتى اليوم وتجمد الدماء في عروق رجال الاستخبارات القدامى القلائل الذين كانوا يعرفون هذه الطريق ألا وهي ايقاظ السوريين من نومهم.

اختـير «د.هـ» الذي لم يكن محاربا مقاتلا مع زميله في دائرة الاستخبارات في القيـادة للعمـل «لمجمـوعـة ايقاظ من النوم» ففي الوقت الذي كانت تتوجه فيه حظيرة الاستخبـارات من المـظليـين وجـولاني نحـو الجهـاز كان «د.هـ» وزميله يتسللان الى داخـل المنـطقة المجردة ويصلون الى مسافة بضع عشرات من الامتار من المـواقـع السـوريـة في الواجهة وبعد ان تفرغ حظيرة الاستخبارات من اكمال عمليـة استبـدال البـطاريـات في الجهـاز يقـوم قائدها بارسال اشارة متفق عليها بواسطة جهاز الاتصال الذي يحمله الى مجموعة الايقاظ من النوم.

وهنـا يقوم «د.هـ» وزميله باطلاق نيران جنونية من الاسلحة التي يحملانها ويلقيان القنابل، ومن ثم يهربان نحو الاراضي الاسرائيلية.

وهذه الرماية المفاجئة كانت توقظ السوريين من نومهم وتستيقظ معهم خطوط الهـاتف، وهكـذا تستـطيـع حظيرة الاستخبارات الجريئة التي انتظرت الى جانب عمود التلفون ان تتأكد فيما اذا تم استبدال البطاريات بصورة سليمة.

وعندمـا تصبـح المواقع السورية يقظة ومستعدة تعود الحظيرة الى المـ[illegible]قة الاسرائيلية من خلال المخاطرة الكبيرة.

لقـد استخدم اسلوب الفحص هذا مرارا عديدة وباعجوبة لم تحدث اخطاء على الرغم من ان «د.هـ» وزميله كانـا يتخيـلان احيـانـا بانهما قد وقعا في ايدي السـوريـين الذين يقـومـون بمـطاردتهما ولكن على الرغم من انهما كانا يخاطران بأرواحهمـا وكـانا شريكين في عمل دائرة الاستخبارات في القيادة الشمالية لم يكن الاثنـان يعـرفان مطلقا ما هو نوع المعلومات التي توصلت اليها وحدة الرصد عن طريق ما يلتقط من المكالمات الهاتفية السورية.

ان رجـال اللاسلكي الذين كانـوا يتلقـون المكـالمـات في الخندق الصغير في كيبـوتس دان كانوا يهتمون بتمرير المعلومات السرية هذه فورا الى القيادة الخلفية ويتـذكـر د. هـ وزميله وكذلك مجموعة الاستخبارات بأنهم لم يزودوا بنقطة تغطية لتبرير وجودهم في المنطقة المجردة في حالة وقوعهم في الاسر السوري، واحيانا يطرأ انـطبـاع بأنـه لم يكن هنـاك من اعتقـد بأن مجموعة الايقاظ من النوم او حظيرة الاستخبارات معرضة للوقوع في الاسر.

القاء القبض على مجموعة الاستخبارات

لكن هذا الاحتمال الخطير تحول الى واقع في ليلة ٨ كانون اول عام ١٩٥٤ ففي هذه الليلة كغيرها من الليالي السابقة التي تمت فيها عمليات التسلل لاغراض استبدال البطاريات كان ضوء القمر ينير المواقع السورية في هضبة الجولان.

وكانت وحدة الاستخبارات المكونة من الملازم مئير موزس ومئير يعقوبي وجاد كستلنتس، وجاكي ليند، واوري ايلان، متوجهة نحو عمق الاراضي السورية وبطريق الصدفة تغيب د. هـ في ذلك اليوم عن مجموعة الايقاظ من النوم التي توجهت الى المنطقة المجردة لتنفيذ عملية التمويه المعروفة.

وقد انتظرت مجموعة الايقاظ من النوم هذه دون جدوى وعندما تقدم المظليون الخمسة في الاراضي السورية واصبحوا بالقرب من احد المواقع السورية اطلقت النار عليهم من اتجاهات مختلفة وقامت قوة سورية كبيرة يبدو انها كانت تنتظرهم في مكان ما بتطويقهم، ووقع الاسرائيليون في الاسر.

ثم نقلوا الى سجن القنيطرة لاجراء تحقيقات اولية، ومن هناك نقلوا الى دمشق الى سجن المزة المشهور. وتم ادخال كل واحد منهم في زنزانة، وبعد ذلك بدأت عملية التحقيق المخيفة وعمليات التعذيب الصعبة. وتركز الجهد الرئيس في التحقيق على كشف هدف الدورية وبعد عمليات تحقيق صعبة وبعد ان جمعه وجها لوجه مع شخص عربي عرفه بأنه ملازم في دورية جولاني اعترف مئير موزس بأن المجموعة جاءت لاصلاح جهاز رصد، وهنا قال المحققون السوريون: لقد فهمنا الآن بأنكم ذهبتم الى تل عزيزات للاتصال بخطوط الهاتف العائدة لقيادتنا في الهضبة انها مهمة تجسس.

وعندما كشف مئير عوزس لمئير يعقوبي بأنه اضطر للحديث للسوريين عن هدف المجموعة قررا الذهاب مع السوريين الى الجهاز الموجود بالقرب من عبارة المياه بقصد تفجير اللغم الذي زرع في داخله وان يمنعا بذلك كشف اسرار الجهاز من قبل السوريين ولكن هذه الخطة فشلت، لأن الجهاز الملغوم لم ينفجر، ويبدو ان ذلك كان بسبب الرطوبة.

في ١٣ كانون الثاني ١٩٥٥ كتبت النقيب ليؤرا مطلون مستشارة رئيس الاركان آنذاك ـ الجنرال موشه ديان ـ في المذكرة اليومية لرئاسة الاركان تقول: اصطدمت حظيرة الاستخبارات الاسرائيلية بكمين في سوريا وتم اسر افرادها، وانتحر احدهم وهو اوري ايلان.

سنسافر في المساء مع موشه ديان الى جسر بنات يعقوب، لتسلم جثة اوري، في نقطة الحدود حيث اجتمع اعضاء مستوطنة اوري معاً.

فاقتربت الانوار امامنا، واقتربت القافلة.

ونقلت جثته من سيارة اسعاف دولية الى سيارة اسعاف اسرائيلية لقد تسرع السوريون في اعادته، بسبب هولهم من عملية الانتحار، اذ ان ورقة مربوطة بخيط كانت عالقة بقدم اوري، وكتب عليها برأس دبوس عبارة «فتشوا الملابس» وتوقفنا في مقر لجنة الهدنة في طبريا ووصل الجثمان، حيث رفع الغطاء وخلعت الثياب وبدأ البحث اولا في الجيوب ومن ثم جرى فك بعض الاماكن المخاطة حيث عثر على قصاصات من الورق وسلمت الى شعبة الاستخبارات لحل الرموز المكتوبة فيها.

فيما بعد كشف موشه ديان في اجتماع اقيم في كيبوتس جن شموئيل بمناسبة مرور ٢٠ سنة على وفاة اوري ايلان بأن هذا المحارب الشاب، احد رجال جولاني انتحر ليمنع السوريين من امكانية تحطيمه واجباره على الادلاء بمعلومات بسبب عمليات التعذيب الوحشية التي تعرض لها، وكتب وصيته على تسع قصاصات صغيرة من الورق، وفي احدها قال: «لم أخن».

لقد اعيد جثمان اوري ايلان الى اسرائيل في ١٤ كانون ثان ١٩٥٥ ودفن في مقبرة جن شموئيل، اما زملاؤه الاربعة الآخرون فقد تم استبدالهم في ٢٩ آذار ١٩٥٦ بـ ٤٠ اسيرا سوريا، كان الجيش الاسرائيلي قد اسرهم خلال عمليات انتقامية او اختطاف، وقد قدم اثنان من العائدين الى المحاكمة العسكرية وهما: مئير يعقوبي الذي قتل في معركة سيناء وحكم عليه بالتوبيخ، ومئير موزس الذي تم تنزيله بتهمة عدم تفجيره الجهاز، ولكن رئيس الاركان موشيه ديان اعاد اليه رتبته العسكرية بعد مرور ١٢ سنة اي في كانون اول ١٩٦٨ عندما اتضح نهائيا بأن اللغم الذي كان داخل الجهاز كان عاطلا.

«فضيحة» .. جديدة

في كانـــون ثان ١٩٥٥ تحـــدث النــاطق العسكـري الســوري لأول مرة عن موضوع الجهاز، وبعده عالجت الموضوع لجنة الهدنة السورية ـ الاسرائيلية وذكر رئيس الحكـومة هذه القضية امام الكنيست كما ان رئيس قيادة المراقبين الدوليين في تلك السنـوات الجنرال برنس فقد اورد وجهة نظره بالنسبة لقضية هذا الجهاز في كتاب مذكراته الذي اطلق عليه اسم: العرب واسرائيل.

وسرعان ما انجرت الزعامة السياسية الى جدل ساخن حول فضيحة الجهاز وسقـوط الجنود في الاسر، وذكرتنا هذه الفضيحة بالضجة العارمة التي حدثت قبل ذلك بعدة اشهر في اعقاب القاء القبض على شبكة التخريب الاسرائيلية في مصر.

بالاضــافة الى الجدل الذي دار على المستوى السياسي والذي لم يكن نظيفا من الحســابات الشخصية، اثارت فضيحة القاء القبض على حظيرة الاستخبارات سيـلا من الاسئلة الصعبـة التي لا يستـطيع هذا الكتاب، بسبب طبيعته الاجابة عليهــا، فهـل ان الفـائـدة التي قدمهـا الجهـاز للاستخبارات الاسرائيلية تساوي المخاطرة بحياة الاشخاص؟

وهـل اتخـذت جميـع الاجراءات لضمان سلامة المحاربين الشجعان الذين خرجوا لمعالجة الجهاز وسلامة (مجموعة الايقاظ من النوم) التي خرجت لاثارة قلق الســوريــين وتمكن بهـذه الطريقـة فحص صلاحية جهاز الرصد؟ ولماذا لم يزودوا بنقطة تغطية مناسبة؟

على اية حال فانه من الناحية الاستخبارية كان الجهاز الذي ركب على عمود الهــاتف عند منعطف طريق عين فيت ـ زغورة يمثل الجهد الاستخباري الاسرائيلي في السنـوات الاولى الرامي الى توسيع حجم عملية جمع المعلومات وزيادة المصادر والتغلب على الحـواجـز التي اوجـدتهـا اتفـاقات الهدنة امام العمل الاستخباري واختـراع اجـوبـة لمشاكل جديدة طرأت في المنطقة، كما برهن الجهاز على تحسين قدرة التـطويـر التكنـولوجي لســلاح الاستخبـارات وبداية تعاون وطيد بين جهاز الجمع الاستخباري وبين الوحدات العسكرية الاسرائيلية وهو التعاون الذي اتسع في السنوات التالية.

عمليـات الانتقـام وحملـة « قادش »

مفاجأة : صفقة أسلحة مصرية ـ تشيكية

في شهـر أيـار ١٩٥٥ بعث رئيس الاركـان موشـه ديـان رسـالة قصيرة الى باريس الى نائب رئيس شعبـة الاستخبـارات يهوشفاط هاركابي، وقال في الرسالة: العجـوز يريـد منـك ان تعـود فورا الى «البـلاد» لتعـين في منصب رئيس شعبـة الاستخبارات خلفا لبنيامين جبلي.

وبعـد ان عاد هاركـابي الى «البـلاد» وتسلم المنصب كلفـه موشـه ديان ـ كمهمـة اولى وعـاجلة ـ ان يتحـرى جذور وذيول «الفضيحة» داخل الاستخبارات العسكـريـة ولكن القـائـد الجـديد لشعبة الاستخبارات العسكرية الذي وجد بعد عودته سلاح استخبارات تضررت هيبته بشدة بسبب (العمل المخجل) وانه ما زال يخـدم في صفـوف هذا السلاح عدد كبير من اصدقاء بنيامين جبلي المحتارين لكن هاركـابي رفض بشـدة وقـال: لقـد وافقت على خلافـة بنيامين ولكن لم اوافق على اجراء تحقيق ضده.

كما اصر هاركابي المسمى «باتي» على انه لا يستطيع التفرغ لهذا التحقيق في الوقت الذي دخـل فيـه السـلاح فتـرة صعبة من العمليات الانتقامية، واوضح بصـورة قاطعـة بأنهم اذا لم يعفـوه من هذا العبء سيقـدم استقـالته، وقد فعل التهـديـد فعله وتفـرغ رئيس شعبـة الاستخبارات لمعالجة المشاكل الخطيرة التي واجهت «الدولة» آنذاك عامة، والجيش الاسرائيلي وسلاح الاستخبارات خاصة.

في النصف الثـاني من سني الخمسينات وقعت حوادث متكررة على الحدود الاسرائيليـة وكـانت جذور المشكلة تكمن في المناطق المجردة التي حددتها اتفاقات الهدنة بين اسرائيل والدول العربية، وفي تسلل العرب عن طريقها وطريق قطاع غزة الى داخـل الاراضي الاسرائيلية، وكانت عمليات التسلل تجري في البداية لاغراض السرقة والتهريب وبعد ذلك لاهداف القتل والتخريب.

وتحمـل جهـاز الاستخبـارات المقـاتلة اعبـاء تزويـد المعلومـات والتقييمات الاستخبـاريـة للعمليـات الانتقـامية التي نفذت بين عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ ولكن

يهـودشفـاط هاركـابي في وظيفتـه المـزدوجة كرئيس لشعبة الاستخبارات وكضابط استخبـارات رئيس، لم يتحمـل فقـط مسؤولية تشغيل جهاز الاستخبارات المقاتلة وانمـا اهتم باستخدام جميع وحدات الجمع التابعة لرئاسة الاركان في مجال جمع المعلومات الاستخبارية لاغراض القيام بالاعمال الانتقامية.

غير ان هذه لم تكن المهمـة العـاجلة والوحيـدة التي واجهت رئيس شعبـة الاستخبـارات ففي ٢٧ ايلول ١٩٥٥ اي بعـد تسلم «باتي» مهام منصبه الجديد بعدة اشهر فاجأ الرئيس المصري جمال عبدالناصر العالم كله بالاعلان عن صفقة اسلحـة جديدة بين بلاده وتشيكوسلوفاكيا، واعتبرت حكومة اسرائيل هذه الصفقة خطوة تحضـيريـة مصريـة للهجـوم على اسرائيل، من ناحية الكم والنوع، السلاح الذي تمتلكه سيشجعهم على استغلال تفوقهم العسكري وشن هجوم على اسرائيل.

وكـانت صفقـة الاسلحـة بمثـابـة مفـاجـأة تامـة لمجمـوعة الاستخبارات الاسرائيلية وكان هناك من اتهم «الموساد» بالفشل الذريع لأنها لم تعرف عنه شيئا سلفا.

وجـرى في الزعـامـة الامنية بما في ذلك الاستخبارات العسكرية جدل حول الفتـرة الزمنيـة التي سيحتـاجهـا المصريـون، للانتقـال من السـلاح الغربي الى السلاح السوفياتي ومن دبابات الشيرمان الى الدبابات من نوع تي ٣٤، وقد حمل هذا الجـدل وعـلى الاقـل في بدايتـه طابعـا بدائيـا عقيمـا، لانه اتضح فورا بأن الاستخبـارات العسكـريـة وبقيـة المجمـوعة الاستخبارية الاسرائيلية لا تملك اية معلومات عن السلاح السوفياتي الذي بات من المتوقع ان يتدفق على مصر بكميات هائلة.

وفي أعقـاب ذلك زيـد تطور البحث في مجـالين، ويمكن القـول ان تلك كانت ثمرة الصفقة التشيكية ـ المصرية.

فالقسم الفني: برئـاسـة تسفي رويتـر بدأ بدراسـة عنـاصر السـلاح السوفياتي وانـواعـه وعمليـاتـه. اعتمـادا على معلومـات بدأت تتـدفق من جهـاز الجمـع في الاستخبارات العسكرية ومن «الموساد».

ومقـابـل ذلك تسببت الصفقة في تعجيل تطوير القسم الآلي في جهاز البحث ان عمليـة تعقب محـاولات الاتحـاد السـوفياتي للتغلغل في منطقة الشرق الاوسط

التي تطورت وبلغت ذروتها في عهد اهارون يريف كرئيس لشعبة الاستخبارات العسكرية قد بدأت قبل ذلك بعشر سنوات على الاقل، اي في عهد يهوشفاط هاركابي.

مذكرة استخبارية يومية

حاول هاركابي جاهدا ان يدخل الى البحث الطريقة «الانسانية» الى جانب الطريقة الرياضية، فخلال المحادثات التي اجراها مع رجال السلاح اكد انه يجب عليهم ان يكونوا قادرين ليس فقط على حساب عدد الدبابات وعدد المدافع التي يمتلكها العدو، وانما يجب ان يفهموا طريقته في التفكير للتنبؤ بطرق عمله المحتملة، وحاول هو نفسه ان لا يكون «ذنبا» للبحث وانما يدرس ويقيم تقارير التابعين له على المستويات المختلفة.

لقد كرس هاركابي «جزءا من وقته لتطوير نظرية الاستخبارات، واعتبر ان احدى وظائف رئيس شعبة الاستخبارات يجب ان تكون «تعليم» قائد السفينة (رئيس الحكومة الذي يزوده بتقييم استخباري قومي)، واعتقد هاركابي بأنه يجب عليه ان يمرر الى رئيس الحكومة ليس فقط التقارير الدارجة وانما التقارير اليومية التي تتضمن معلومات وتقييمات، ولهذا انتهج ارسال مذكرة استخبارية يومية كان يكتبها بنفسه الى رئيس الحكومة دافيد بن غوريون، والى رئيس الاركان والمدير العام لوزارة الدفاع، وكانت هذه المذكرة تتكون من صفحتين فقط.

وكان هذا الملخص يتضمن انباء رئيسة وصلت اليه، وكان لها كما يقول قيمة عملية او اهمية من ناحية تطورات اخرى، كما تضمن التقرير حقائق اساسية من خلال نيته في تغذية قائد السفينة بمعرفة شرق اوسطية للمواضيع التي هي من مسؤولية الاستخبارات العسكرية.

هذه الحقيقة لم يعتبرها رئيس الاركان موشه ديان شيئا شاذا ولم يعتبر ديان قرار رئيس شعبة الاستخبارات بارسال ملخص استخباري يومي الى رئيس الحكومة وهو الملخص الذي كان يحول ايضا الى رئيس الاركان، عملا شاذا عن صلاحيات رئيس شعبة الاستخبارات، او كتجاوز لرئيس الاركان.

ان العمل بمعية دافيد بن غوريون قد اكسب هاركابي درسا قيما، لقد كان

بن غوريون يتمتع بذكاء خارق، فعندما كان هاركابي يدخل عنده، ليعرض عليه النتائج التي توصلت اليها الاستخبارات بناء على معلومات من مصادر سرية جدا وبعد جهد ذهني خارق، كان يكتشف بأن بن غوريون قد توصل الى نفس النتائج بواسطة احساسه التاريخي حتى بدون ان يطالع اي خبر او تقييم استخباري.

لقد كانت العلاقات بين يهوشفاط هاركابي وبين خلف موشه ديان حاييم لسكوب مشوشة جدا، ففي تموز ١٩٥٨ وقع انقلاب في العراق وضع نهاية للعهد الملكي هناك، وخلفا لنوري السعيد تسلم دفة الحكم عبدالكريم قاسم خلافا لاعتقاد الاستخبارات العسكرية بأن عبدالرحمن عارف هو الذي سيتسلم زمام الحكم.

هاركابي يذهب .. ويعود

ففي الملخص اليومي الذي يقدمه هاركابي الى رئيس الحكومة شرح سبب خطأ الاستخبارات في تقييمها، وعزا هذا الخطأ الى عدم وجود مصادر كافية وفي ذلك اليوم استدعي الى مكتب لسكوب فونجه رئيس الاركان وغضب هاركابي اذ اعتبرها محاولة للفرض على رئيس شعبة الاستخبارات تقديرات غير مقبولة عليه او املاء نص الملخص عليه، واعتبر هاركابي هذا العمل مساسا باستقلالية شعبة الاستخبارات فربط امتعته وذهب الى بيته.

بعد مرور حوالي ساعة دق جرس الهاتف في منزله وقيل له ان دافيد بن غوريون يريد مقابلتك فورا في «سديه بوكر» وطوال كل الطريق الى منزل «العجوز» كان هاركابي يجلس في السيارة وهو يرتجف من الغضب ويعد المزاعم التي سيتمسك بها هي: ان رئيس شعبة الاستخبارات تابع في الواقع من ناحية الضبط والربط الى رئيس الاركان ولكنه ليس خاضعا له في كل ما يتعلق بالتقييمات الاستخبارية انه يشبه الطبيب الذي يقدم وجهة نظره الطبية التي لا يسمح لاحد باملائها عليه.

كلما اقتربت السيارة من منزل العجوز، ازدادت الروح القتالية لدى هاركابي، وقرر نهائيا، اذا كان يجب على رئيس شعبة الاستخبارات ان يخضع امام رئيس الاركان او امام اي شخص اخر فانه لا قيمة للاستخبارات العسكرية.

وعندما اصبح بالقرب من بوابة منزل بن غوريون كان هاركابي مستعدا للاقتحام ولكن بن غوريون فتح الباب آنذاك وقبل ان يتمكن رئيس شعبة الاستخبارات من ان يخرج كلمة من فمه قال بن غوريون: كل شيء على ما يرام، انت على حق. تحدثت مع لسكوب فعد الى تل ابيب الى مزاولة عملك.

وفي تل ابيب عقد اجتماع بين هاركابي ولسكوب حسمت فيه الخلافات بينهما حول هذا الموضوع ولكن مع مرور الزمن وقعت مشاحنات اخرى بين الاثنين.

الاستخبارات في عملية الانتقام

في اعقاب العملية الانتقامية التي نفذت ضد قرية قبيا في ليلة ١٤-١٥ تشرين اول ١٩٥٣ طرأ تحول جوهري على سياسة عمليات الانتقام التي ينتهجها الجيش الاسرائيلي، فقد تقرر الغارات على اهداف مدنية كانت تستخدم قاعدة للمتسللين والانتقال الى مهاجمة اهداف عسكرية تقع في الواجهة التي ينطلقون منها.

ان الذي وضع هذه السياسة الجديدة، هو رئيس الاركان موشه ديان وقال ان الهدف من هذه السياسة هو البرهنة للعرب ان اسرائيل في الواقع ليست قادرة على الدفاع عن كل سائق جرار زراعي يقوم بحراثة الارض بالقرب من الحدود، او منع زرع الغام في الطريق الترابية، الى مستوطنات المهاجرين، ولكن الدولة العربية التي يخرج منها المتسللون للقيام بنشاطات مناوئة ضد اسرائيل ستتحمل المسؤولية.

وكانت النظرية الجديدة تشتمل على افتراضين وهما:

أ - ان الدول العربية تتحمل مسؤولية عمليات التخريب التي ينطلق منفذوها منها ويعودون اليها.

ب - نتيجة للعمليات الانتقامية ستضطر الجيوش العربية لمحاربة المتسللين لوضع حد للتدهور الامني الذي يؤدي الى حرب شاملة التي لا بد وانهم لا يرغبون فيها.

وقد قبلت شعبة الاستخبارات هذين الافتراضين ولم تحاول اختيار مدى صحتها طوال فترة العمليات الانتقامية.

هناك مشاكل ثقيلة وخاصة فيما يتعلق بقطاع غزة، حيث لم تدرس بما فيه

الكفايــة ولم تبحث على مستـوى رئاسة الاركان كمثل: هل فعلا يتحمل المصريون مسـؤولية نشاطات المتسللين (وعلى الاقل حتى مطلع عام ١٩٥٥) وهل تملك مصر القـدرة على استخـدام الضغـط لمنـع النشـاطات التخريبية من قطاع غزة؟؟ وهل تستـطيـع العمليـات الانتقـامية التي يقوم بها الجيش الاسرائيلي لاحداث ازمة في مصر؟؟ (لقـد اتضـح بعـد حرب سينـاء انه حتى عملية غزة في شباط ١٩٥٥ فان المصريين قاموا بجهد لكبح جماح نشاطات التسلل من قطاع غزة).

من متســـللين الى فدائييــن

ومقـابـل ذلك قدرت الاستخبـارات العسكرية تقديراً صحيحا التحول الذي طرأ على موقف السلطات المصريــة ازاء عمليـات الانتقـام، وقـرارهـا للانتقـال الى تشجيـع نشـاطات «الارهـاب» ضد اسرائيل، هذا التغيير طرأ كما قلنا بعد عملية غزة، التي حدثت في ٢٨ شبـاط ١٩٥٥ وقد استبدل اصطلاح متسللين باصطلاح فدائيين وبعد ذلك بوقت قصير اقام المصريون كتيبة «الفدائيين».

حول هذه المسـألة وقـع خلاف بين رئيس شعبـة الاستخبارات يهود شفاط هاركـابي وبـين رئيس الاركـان موشه ديان، فقد قال هاركابي انه طرأ فعلا تحول على السيـاسـة المصريـة في حين ان ديـان اصر ان هذا سيكـون تحـولا فقط اذا سمحنا بذلك، وعلى الرغم من ان العلاقات بين الاثنين كانت ممتازة وبنيت على ثقة متبـادلة فقـد تحفـظ ديـان من تقييم «باتي» وعرضت الخلافات بينهما حول هذا الموضوع على بن غوريون للحسم فيها، وكان رئيس الحكومة ووزير الدفاع صارما في قراره.

فقـد قال: ان هاركابي على حق، فالمصريون اجروا تحولا في سياستهم فعلا. ولكن شعبـة الاستخبـارات العسكرية لم تحاول الاعتراض على النظرة الاسياسية المتمثلة بجـوهـر سياسة عمليات الانتقام، فدور الاستخبارات على مستوى رئاسة الاركـان في تنفيـذ هذه العمليـات (في البداية بواسطة الوحدة ١٠١ وبعد ذلك عن طريق المـظليـين) كان دورا ضعيفا، ففي ذلك الوقت ركزت دائرة الابحاث في شعبة الاستخبــارات على الجهـود الراميــة الى التعـرف على الجـوانب المختلفـة في هذه العمليــات وقــد وضعت شعبــة الاستخبـارات مقـاييس كانت تشـير الى ازديـاد

وانخفـاض حجم العمليـات التخـريبية الصادرة في قطاع غزة او الضفة وذلك من خلال محاولة التوصل الى النتائج المترتبة على هذه العمليات.

مما لا شك فيه ان الدور الاستخباري الرئيس في نجاح العمليات الانتقامية هو دور الاستخبـارات المقـاتلة او الاجهـزة الميدانية، فخلال السنين تطور تعاون مثمـر بين رجـال الاستخبـارات في المظليين وبين ضباط الاستخبارات في القيادات الثـلاث (القيـادة الشمـاليـة، والوسـطى، والجنوبية) وهؤلاء قاموا بتزويد القوات المحاربة بصور واضحة دقيقة جدا. عن معطيات المنطقة والعدو.

ان قاعدة الصورة الاستخبارية كانت ملفات القرى، او الاهداف، (معطيات حول اهـداف عمليـة محتملة داخـل الضفـة والقطاع) التي تجمعت في القيـادة الوسـطى والقيـادة الجنوبية، وقد اعطى قائد وحدة المظليين ارئيل (اريك) شارون سرعة لتصحيح واكمال هذه الملفات، فقد استدعي ضابط الاستخبارات في المظليين جدعون محنيامي في احد الايام الى قائده وشرح له اريك الاسلوب:

قم بتأشير اهداف العدو الموجودة على طول الحدود من الشمال الى الجنوب وابـدأ فوراً بجمـع قدر ما تستـطيـع من المعلومـات عنهـا، واضاف اريك ان هذه العملية ضرورية بسبب عدم معرفة أين ستنفذ العمليات ومتى.

وكـانت القيـادات تشتمـل على ملفات للاهداف وملفات للمناطق، فلكل قرية اردينـة تقـريبـا كان يوجـد ملف، وكان هذا الملف يشتمل على صور جوية للهدف وصـور ارضية (بقدر الامكان) وتقارير مراقبات، اما بالنسبة للاهداف الابعد فقد جمعت معلومـات عنهـا من العملاء، وكانت هذه المعلومات تشتمل على ارقام تمثل قوة العـدو وكـان جدعـون محنيـامي ورجـاله يعملون ساعات طويلة على تصحيح الملفات واعدادها للحظات الحاسمة، وقد تمت هذه العملية عن طريق مراقبة عادية واحيـانا عن طريق عمليات استطلاع جوي بالاضافة الى الصور التي كانت تلتقط بواسطة طائرات «الفايبر».

ظهــــور اريـــــك

لقـد ساهم في عمليـة تصحيـح ملفـات الاهـداف الاستخبارية الموجودة في القيـادات المئـات من الدوريـات وعمليات التسلل الى اهداف استخبارية التي تقع خلف الحـدود وكـذلك قواعـد الرصـد التي كانت موزعة في منطقة العدو، واحيانا كانت المعلومـات الاستخبـاريـة القيـاديـة تغذى عن طريق عمليات التحقيق التي تجـري مع المـواطنين من الدول المجاورة وهم المواطنون الذين يصطدم بهم رجال الدوريات الاستخبارية التي تنتشر في عمق الاراضي المعادية قبل العملية.

فعلى سبيل المثال في جولة استخبارية جرت بالقرب من شرطة حسان تمهيداً للعملية الانتقامية ضد هذه الشرطة في ليلة ٢٥ ـ ٢٦ ايلول ١٩٥٧ اصطدم افراد الدورية براعي اغنام اردني شاب.

وعنـدمـا حاولوا التحقيق معـه فيمـا يتعلق بمـركـز الشرطة رفض التعاون، فاقتـرح جدعـون محنيامي نقله الى الاراضي الاسرائيلية ومحاولة استجوابه هناك، وهكـذا تم بالفعـل، فقد تم احتجاز هذا الراعي في اسرائيل مدة يومين واتضح ان أخـاه يخـدم بوظيـفـة كاتب سجـل في الشرطة، ان تصحيـح واعـداد ملفـات الاهـداف في الاستخبـارات القيـادية قد ادى الى انه اصبح بالامكان الرد بسرعة على نشاطات المتسللين ويقول جدعون محنيامي انه فور قيام متسللين من القطاع او الضفـة بتنفيذ عملية تخريبية في اراضينا كان اريك يتواجد في مقرّ استخبارات القيـادة، ويـأخـذ ملف هدف او هدفـين ويسرع الى رئيس الاركـان ليعـرض عليه مهـاجمـة هذا الهـدف او ذاك، وقبل ان يمثل اريك امام رئيس الاركان كان يوجه اوامر اولية لجنوده للاستعداد لمهاجمة الاهداف التي اختارها والى ان يحصل على موافقـة رئيس الاركـان تكـون القـوات على اهبة الاستعداد لتنفيذ المهمة، وعندما كان رئيس الاركـان يعـرب عن اعجـابـه وانفعـاله من السرعـة التي خططت فيها العملية الانتقامية كان اريك يجيب:

ان نهـايـة العمـل تكمن في التفكـير اولا، وبمـا يتعلق بالجيش فان التفكير الاولي يعني الاستخبـارات الجيـدة، قبيـل تنفيـذ العمليـة الانتقامية كانت القوة

المغيرة تستعين في الغالب بمجموعة رصد تعبوية كانت تستعار من القيادة، وكانت المجموعة ترابط على تلة قريبة من منطقة الاختراق وتمرر معلومات دقيقة عن نشاطات العدو في مناطق الهدف، وكانت المعلومات تمرر الى قائد وحدة الرصد ومنه مباشرة الى قائد سلاح القيادة، ان وجود وحدة الرصد التعبوي خلال سير العملية الانتقامية ضد شرطة قلقيلية في ليلة ١٠ ـ ١١ تشرين اول ١٩٥٦ ساهم في نقل خبر خروج نجدة من الكتيبة التاسعة الاردنية نحو مركز الشرطة*.

ان عمليات الانتقام لم تؤد الى وقف نشاطات «الارهاب والتخريب» العربية فقد اصبحت روتينا وبعد كل عمل «تخريبي» خطير ينفذونه كان العرب يتوقعون هجوما اسرائيليا على منشأة عسكرية في المناطق، ودرسوا جيدا اساليب عمل المظليين وقاموا بتنفيذ اجراءات ضدها.

لقد كانت العملية الانتقامية الكبيرة ضد قلقيلية خاتمة العمليات الانتقامية الليلية لقد ساهمت هذه العمليات مساهمة هامة في زيادة هيبة الجيش الاسرائيلي بشكل عام وتحديث طرق الحربية، وكسب تجارب قتالية واحداث تحسين كبير على جهاز الاستخبارات المقاتلة والدمج الناجح بين جميع عناصر جمع المعلومات على المستوى الميداني، وقد برز هذا الدمج بعد مهاجمة شرطة قلقيلية بثلاثة اسابيع خلال حملة قادش، سيناء ١٩٥٦.

طرود متفجرة من الاستخبارات الاسرائيلية

في يوم الاربعاء ١١ تموز ١٩٥٦ جلس مصطفى حافظ في مقر الاستخبارات في وسط غزة، وكان منذ ٦ سنوات يحتفظ بمنصب قائد (استخبارات فلسطين) في قطاع غزة، ومسؤول عن جميع عمليات التجسس داخل اسرائيل، والتجسس المضاد في القطاع ومراقبة السكان الفلسطينيين، وكان حافظ متوسط القامة وسمين

---

* فشلت عملية الهجوم على مركز شرطة قلقيلية، واستطاع الجيش العربي الاردني تضليل الاستخبارات والقوات الاسرائيلية، حيث صد المهاجمين واوقع بهم خسائر فادحة ـ راجع كتاب «شلرون: بلدوزر الارهاب الصهيوني، اصدار دار الجليل عمان ١٩٨٧.

وذا تقاسيم وجه غاضبة وهو الذي كان وراء فكرة استخدام المهربين من القطاع في عمليات تجسس وتخريب في اسرائيل، وفي مطلع عام ١٩٥٥ اي بعد مضي وقت قصير على العملية الاسرائيلية ضد غزة وعندما اقتنعت القيادة المصرية بأن عمليات التخريب هي الطريق الوحيد لمحاربة اسرائيل كان حافظ يعمل على تنظيم الوحدة التي اطلق عليها اسم «الفدائيون» وقد ضمت هذه الوحدة جميع المتسللين الذين استخدمهم حافظ، بالاضافة الى متطوعين مسلحين تم تجنيدهم من جميع انحاء القطاع.

ومنذ ان كان حافظ في الرابعة والثلاثين من العمر كان يعتبر احد خيرة العقول الاستخبارية في الجيش المصري، ومنذ عام ١٩٥٥ اصبح الزعيم الاوحد لقطاع غزة.

واستعان حافظ برجال سفارة عربية، وخاصة بالملحق العسكري، وبمساعدة الملحق تم التوصل الى اتفاق خاص اعفى مجموعات التجسس «والتخريب» من المخاطرة بالذهاب والاياب في الاراضي الاسرائيلية وانما تتحرك في اتجاه واحد فقط من غزة نحو الحدود ـ من خلال القيام بمهام تجسس وتدمير وهي في طريقها.

كتاب الماني في الملابس الداخلية

منذ نهاية اذار ١٩٥٦ قرر مصطفى حافظ التخلي على الاقل مؤقتا عن منصبه كرجل استخبارات كبير، والتفرغ فقط لتنظيم عمليات القتل والتخريب في الاراضي الاسرائيلية وقد بلغت عملياته الدامية ذورتها في شهر نيسان من ذلك العام، بسلسلة من الهجمات الدامية قامت بها مجموعات الفدائيين ضد مستوطنات يهودية في النقب، وجاء جمال عبد الناصر شخصيا الى غزة لمصافحة مصطفى بعد الغارة التي نفذت ضد الكنيس اليهودي، التابع للمؤسسة الزراعية في شقرير وهي الغارة التي اسفرت عن مقتل ٦ طلاب واقامة كمائن ناجحة للسيارات الاسرائيلية على طريق تل ابيب ـ الرملة، ويبدو انه في هذه المرحلة اتخذ

قرار في مكان ما، لوضع نهاية لعمليات القتل التي ينظمها قائد المخابرات المصرية في قطاع غزة.

ففي ساعات المساء من يوم الاربعاء ١١ تموز مثل في مبنى الاستخبارات في غزة احد خيرة العملاء للرائد حافظ وهو محمد سليمان الطلالقة، فخلال الاسابيع الستة الماضية نفذ الطلالقة مهمة كلفه بها حافظ داخل الاراضي الاسرائيلية بل ونجح بالاتصال مع رجال الاستخبارات الاسرائيلية في النقب والمخاطرة في اللعبة الخطرة (الجاسوس المزدوج) وكان يبدو ظاهريا انه خدم الاستخبارات الاسرائيلية لكنه كان يبلغ كل شيء للمسؤول عنه.

وكان الطلالقة قد عاد من مهمته في اسرائيل قبل مثوله بمكتب الاستخبارات بساعات معدودة، وقد اجتمع هناك بضباط استخبارات اسرائيلية اطلقوا على انفسهم اسماء «صادق» وابو نيصاف، وابو سليم وكان الطلالقة مقتنعا بأن الاسرائيليين لا يعرفون بأنه جاسوس مزدوج وانهم يثقون به تماما.

ولهذا لم يرفض عندما طلبت منه الاستخبارات الاسرائيلية ان يقوم بمهمة سرية جدا وكانت المهمة السرية جدا تدور حول نقل المعلومات السرية الى جاسوس اسرائيل الهام في غزة، وقد وضعت الاوامر السرية داخل كتاب «الاحصاء والانسان» لمؤلفه الفيلد مارشال الالماني فون روندشتات، وقام ضابط الاستخبارات الاسرائيلية «صادق» باطلاع الطلالقة على الكتاب وامره ان يسلمه بصورة شخصية الى ملازم الشرطة في غزة لطفي المكاوي، وصعب على الطلالقة هضم ما سمعه من ان المكاوي هو جاسوس اسرائيل ولكنه لم يتفوه بشيء وتسلم من ضابط الاستخبارات الاسرائيلية ورقة ١٥ قرشا مصريا، وامر بعرض الورقة على المكاوي وعندما يسأله ملازم الشرطة من اين حصل على هذه الورقة النقدية يعرض عليه كرت زيارة باسم المكاوي نفسه، وهكذا سيعرفه الملازم على انه مبعوث مخلص من الاستخبارات الاسرائيلية ويأخذ منه الكتاب الذي يشمل الاوامر المكتوبة بالشيفرة.

اخذ ضابط الاستخبارات «صادق» الكتاب وخرج من الغرفة لوقت قصير وبعد ذلك عاد وسلم الطلالقة مغلفا بحجم الكتاب الذي شاهده قبل ذلك بوقت قصير فقام الطلالقة بتخبئة الكتاب في ملابسه الداخلية الواسعة (الشروال) وبعد مأدبة عشاء خرج الاثنان في ساعة من الليل بسيارة جيب نحو مدينة غزة،

وبالقرب من الحدود انفرد الاثنان عن بعضهما وقطع الطلالقة الحدود في الظلام، فسارع الى اقرب موقع مصري وطلب منه ان يوصلوه فورا الى مكتب الاستخبارات في غزة، واستجاب قائد الموقع لطلب الطلالقة وامر احد رجاله بنقله الى مكتب المخابرات المصرية.

انخداع رئيس الاستخبارات

في مبنى الاستخبارات اجتمع الطلالقة مع المسؤول عنه مباشرة رئيس الاستخبارات مصطفى حافظ، وعرض عليه ورقة النقد المصرية وتذكرة الزيارة (للجاسوس الاسرائيلي)، مكاوي، وقد اشتد غضب رجل الاستخبارات القديم، عندما سمع بأن ملازم الشرطة في غزة ما هو الا جاسوس اسرائيلي.

وتذكر حافظ بأنه قبل ذلك بعدة سنوات اهداه مكاوي قلما غاليا قال انه تسلمه من «ابي يعقوب» قائد الاستخبارات الاسرائيلية في بئر السبع، وعلى الرغم من انه نفى نفيا قاطعا ان يكون قد اقام اتصالات مع الاستخبارات الاسرائيلية وضع مكاوي تحت المراقبة فترة طويلة من جانب رجال حافظ، ولكن عملية التعقب لم تكشف اية دلائل يمكن ان تشير الى خيانة مكاوي.

اما الان فقد تغيرت الامور فعملية المخلص طلالقة احضر له دليلا قاطعا على خيانة ملازم الشرطة في غزة، وكان مصطفى مقتنعا بأنه قد نجح في وضع يده على الخائن، ولاسباب تتعلق به شخصيا، الح طلالقة على حافظ لعدم لمس الكتاب وانما تسليمه الى هدفه، الى ملازم الشرطة في غزة (كما أمره ضباط الاستخبارات الاسرائيلية) واوصى باجراء عملية تعقيب مشددة للجاسوس الاسرائيلي بصورة يمكن معها اعتقاله في اية لحظة، فقد خشي طلالقة من انه اذا لم يسلم حافظ الكتاب الى عنوانه فان الاستخبارات الاسرائيلية ستكتشف ذلك وانه هو اي طلالقة لن يستطيع مواصلة دوره الجريء كعميل مزدوج.

ولكن حافظ وهو من افضل المسؤولين في الاستخبارات المصرية، لم يستطع الصمود امام الاعزاء، فليس في كل يوم تقع بين يديه سمكة سمينة مثل ملازم الشرطة في غزة، وذهب به حب الاستطلاع لمشاهدة ما بعث به الاسرائيليون الى مكاوي ربما ليسهل عليه ان يقوي ببطء الطوق الخانق حول عنق الخائن، فمسك

حافـظ بطرف الطرد وازال الغـلاف عنه، واراد سحب الكتاب بلطف ومطالعته وان يعيد تغليفه من جديد وان يرسل طلالقة لتسليمه الى ملازم الشرطة.

وعندما تم فتح حافظ الغلاف وقعت قطعة ورق فانحنى لتناولها وعندها وقع انفجار قوي، فاهتز المبنى كله وامتلات الغرفة بالدخان الكثيف.

واكتشف الجنـود الحـرس الذين اقتحمـوا الغـرفة ان رئيس الاستخبارات المصرية في غزة ونائبه الرائد عمرو الهريدي والعميل المزدوج وهم مصابون بجروح خطيرة فنقـل الثـلاثـة الى مستشفى تل الزهـير في ضواحي غزة، وفي السـاعـة الخـامسـة فجـرا لفـظ حافـظ انفـاسه، ولكن هريدي وطلالقة شفيا الا انهما بقيا يعانيان من عاهات طيلة ايام حياتهما.

قام المـدعي العام في القطاع بزيارة الهريدي والطلالقة في المستشفى وعندما استمـع الى افادتهما سارع لاعتقال ملازم الشرطة مكاوي واجرى تفتيشا في منزله ومكتبـه ولم يعثر خلال التفتيش على شيء ونفى مكاوي ان يكون له اي اتصال مع الاستخبارات الاسرائيلية ولم تتوفر اية ادلة على تفنيد مزاعمه.

امـا بالنسبـة لوجـود تذكـرته مع ضابط الاستخبارات الاسرائيلي «صادق» اعتقـد بأن احـد الكـرتات التي تعود ارسالها الى معارفه واصدقائه خلال الاعياد والمنـاسبات ـ وقد وقعت عن طريق الخطأ بأيدي الاستخبارات الاسرائيلية، وبذلك فسر ايضـا لماذا قص الاسرائيليـون اطراف الكرت حيث كتب اسم مستلم الكرت، وقد قبل المدعي العام بهذا التبرير وافرج عن مكاوي.

وجـاء في تقـريـر التحقيق الذي قدم للرئيس المصري جمال عبد الناصر، ان اصابة البكباشي حافظ التي اودت بحياته نجمت عن تخطيط جنوني للاستخبارات الاسرائيليـة وان الاسرائيليـين استغلوا غبـاء العميل المصري طلالقة (الذي اعتقد بأن الاسرائيليـين لا يشتبهـون به) وجعلوا منه اداة لتنفيذ مؤامراتهم الدنيئة ولم يفهم طلالقـة مطلقـا ما هو المقصـود ولهـذا لم يخش حمـل القنبلة في ملابسـه الداخليـة وصدق بأنه سيسلم لحافظ جاسوسا خطيرا، وجاء في تقرير التحقيق ان الاستخبارات الاسرائيلية عملت بحذر وبطرق غير مباشرة وكان الخطأ الذي ارتكبه حافظ انه على الرغم من حذره الكبير وتجربته الغنية قام بفتح الطرد بنفسه.

الملحـق يتسلـم طـرداً

في ١٣ تمـوز ١٩٥٦ أي بعد وفاة مصطفى حافظ بيومين نشر بيان قصير في مكـان متـواضع في الصفحة الداخلية من صحيفة الاهرام جاء فيه: ان البكباشي مصـطفى حافـظ الذي كان يرابط في قطاع غزة قد قتل نتيجة لصعود سيارته على لغم وقد نقل جثمانه الى العريش ومن هناك نقل جوا الى القاهرة.

واضـاف البيـان القصـير يقول: لقد كان المرحوم احد ابطال حرب فلسطين ومن اولئك الذين حاربوا من اجل تحريرها، وقد سجل التاريخ له اعمالا بطولية وقد بث اسمـه الرعب والخـوف في اسرائيـل، وفي يوم وفـاة حافـظ تسلم شريكه الملحق العسكري الرائد صلاح مصطفى كتاب روندشتات والملحق الذي لم يعلم بعدبوفاة مصـطفى حافظ سارع الى فتح الطرد. وانفجر الطرد مما اسفر عن بتر يديه وبعد مرور حوالي اسبـوع توفي في احـد المستشفيـات، وقـد اتهم الملحق العسكـري المصري اسرائيل قبل وفاته بانها هي السبب في هذا الحادث، وايد رئيس المراقبين الدوليـين انـذاك الجنرال برانس روايته، وبعد مرور سنوات كتب برانس في كتاب مذكـراته: ان معظم الاسرائيليين الذين قرأوا عن عملية الاغتيال شعروا بانه جرت عمليات انتقام ضد اشخاص.

ولكن اسرائيـل لاذت بالصمت الكـامل: وكتب احد المعلقين يقول: انه يعتقد بأن وفاة مصطفى حافظ في غزة وجرح مصطفى (قبل وفاته) سيردعان رجالهما.

ولكن في ٢٧ تمـوز تحـدث النـاطقون المصريون عن الظروف الحقيقية التي ادت الى وفـاة المسـؤولين عن القتلة، فقد اعلن المتحدث بلسان الحكومة المصرية: ان هذه الاعمـال تدل على الارتبـاك والحـيرة التي تواجـه سيـاسـة بن غوريـون وعصـابتـه، واضـاف ان اعمـال التخريب الدنيئة والمتعمدة قد تؤدي الى تقويض الهـدوء والى اغتيـال الاطفـال والنسـاء دون تمييز، وفي تلك الفترة امم جمال عبد الناصر قناة السويس، وبقيت في قطاع غزة مجموعات قليلة فقط واخذت نشاطاتها

تقـل شيئـا فشيئـاً الى ان تم احتلال القطاع من قبل اسرائيل في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٦ خلال عمليـة قادش، وتميز انسحاب الفدائيين بالفوضى الى حد انهم خلفوا وراءهم قوائم دقيقـة بأسمـاء رجـالهم وعملاء مخابرات نشطين، وفي حالات كثيرة عثـر في الملفات على صور للعملاء ايضا، وتم اعتقال بعضهم فورا وهم في منازلهم في القطاع واما الباقون فقد (احترقوا) ولم يستطيعوا ان يجلبوا لمصر اية فائدة تنشد.

الاستخبـارات فـي عمليـــة قـادش

ان شعبة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية لم تساهم فقط لتخطيط عملية قادش وانما كانت شريكة في وضع الخطط تمهيداً للحرب.

فالعقـود التي وقعت لتزويد سلاح من فرنسا جرت كاتفاق بين هيئات مثلت اسرائيـل وفرنسا، لتجاوز ضرورة تقديمها لموافقة البرلمان الفرنسي، وكرئيس لشعبة الاستخبـارات العسكـريـة كان هاركابي شريكا لزميله الفرنسي في التوقيع على هذه العقـود امـا عمليـات التحضير للحرب بحد ذاتها فقد كانت عنصرا موجها لاقامة علاقـات وتعاون بين الخدمات الاستخبارية الاسرائيلية والمصرية، فقد ايدت زعامة الاستخبـارات الاسرائيليـة تأييدا كاملا الخطة لعملية قادش وذلك ليس فقط من اجـل تجـاوز استبـدال السـلاح الغـربي الذي يملكـه الجيش المصري بسـلاح سوفيـاتي اكثـر تطورا (الذي بات من المتـوقـع ان يتدفق على هذا الجيش نتيجة لصفقـة الاسلحـة التشيكيـة) وانما بسبب التفوق الذي رأته شعبة الاستخبارات الاسرائيلية بالانضمام الى المركبة الانجلو ـ فرنسية.

واعتقـد المسـؤولون في الاستخبـارات الاسرائيلية بأن حملة قادش ستؤدي الى احلال الهدوء على الحدود الاسرائيلية بل والى الاطاحة بنظام حكم جمال عبد الناصر.

لقـد كانت عملية قادش احدى نقاط الاختيار الرئيسة لسلاح الاستخبارات في العقد الاول على تشكيله.

عمليـــة تضليـــل

عنـدمـا امرت شعبة الاستخبارات الاسرائيلية للاستعداد للحرب، اشتركت جميـع عناصر الاستخبارات العسكرية وهي البحث والجمع والاستخبارات العملية والاستخبـارات المقـاتلة وامن الميـدان في جهد مشترك هدفه مفاجأة العدو وتزويد قواتنا حين الضرورة بصورة استخبارية واضحة بقدر الامكان عن العدو وقواته في شبه جزيرة سيناء لتسهيل عملية التقدم في المنطقة.

ان احـدى المهـام الاولى التي كلفت بهـا شعبـة الاستخبارات هي اقتراح مجمـوعـة من الخـدع هدفهـا خداع العـرب والدول الاخـرى وخلق انـطبـاعات متضاربة حول هدف الهجوم، وقد استخدمت مجموعة الخدع هذه، وفي الاسبوع الاخـير من شهـر تشرين اول بدأت شعبة الاستخبارات الاسرائيلية نشر معلومات مفادها ان الجيش العراقي دخل الاردن، كما اتخذت اجراءات تضليل اخرى في الميدان.

لقـد نجحت حملة الخـداع في مفـاجـأة الاستخبـارات الاجنبيـة والملحقين العسكـريـين في اسرائيل والمراقبين الدوليين، وكان من بين المتفاجئين عدد من كبار المسـؤولين في اسرائيـل وقـد زعم عدد من المسـؤولين في شعبة العمليات في رئاسة الاركـان، ان نجـاح الاستخبارات كان كبيراً الى حد ان القادة في شعبة العمليات اخـذوا يصـدقـون الانبـاء التي تقوم ببثها الاستخبارات ويبدو ان نسبة التستر كانت عاليـة الى حد ان ضبـاطا في قسم الابحاث في شعبة الاستخبارات كانوا قد صدقوا ما تنشره الاستخبارات.

كمـا استخـدمت خطة التضليل ايضا داخل صفوف الجيش الاسرائيلي من قبـل وحدة أمن الميدان فالمبرر لتجنيد قوات الاحتياط كان توقع ان يطرأ اصطدام مع الاردن، بسبب دخـول الجيش العـراقي الى اراضيـه، وبسبب انضمـامه الى القيـادة السـورية / المصرية، فهذا التبرير المضلل تناسب والانباء والمقالات التي نشرت في الصحف اليـوميـة في اسرائيـل خلال الايـام التي سبقت بداية المعارك، وهذه المقالات ساعدت ايضا على اخفاء الهدف الحقيقي للعملية.

في ٢٩ تشرين أول وصلت الى اسرائيل رسالة من الرئيس الامريكي دوايت دافيد ايزنهاور، اعرب فيها الرئيس عن قلقه من دعوة الاحتياط في اسرائيل، وقال ان الانباء المتوفرة تشير الى انه لم تدخل وحدات عراقية الى الاراضي الاردنية، وبالفعل فقد اضطرت اسرائيل الى اخفاء نواياها الحربية، عن حكومة الولايات المتحدة الامريكية ولكن في رده على رسالة ايزنهاور اكد بن غوريون على النوايا العدوانية لمصر.

تغيير خطط الانزال الجوي

عشية اندلاع المعارك، امر سلاح الجو الاسرائيلي بتنفيذ مهمتين كانتا مرتبطتين مباشرة بعمليات الاستخبارات العسكرية.

[[المهمة الأولى]]:
تعطيل شبكة الاتصالات للجيش المصري في سيناء عن طريق قطع اسلاك التلغراف والهاتف بواسطة طائرات تطير على ارتفاع منخفض، هذه العملية الجريئة اثرت على نشاطات السيطرة والمراقبة للوحدات المصرية كما ساعدت على تنفيذ نشاطات وحدات الرصد التعبوي التي رافقت الوحدات المحاربة ورصدت المكالمات اللاسلكية بين الوحدات المصرية.

[[المهمة الثانية]]:
القيام بطلعات تصويرية قبل العملية فوق سيناء بشكل عام وفوق ممر المتلا بشكل خاص لتحديد المكان الدقيق الذي ستنزل فيه كتيبة المظليين التي كان يقودها رفائيل (رفول) ايتان.

وكان قد تحدد في التخطيط الاصلي ان عملية الانزال ستتم في المدخل الغربي لممر المتلا وان يحتفظ المظليون بهذا الهدف حتى نهاية المعركة ولكن بعد تصوير ممر المتلا في يوم ٦ تشرين اول اكتشف ١٦ كوخا وفي عملية التصوير الاخرى التي تمت يوم ٢٨ من الشهر عشية عملية الانزال تماما، اكتشفت ٢٣ خيمة اخرى وعدد من الآليات، وسادت الاستخبارية الاسرائيلية خلافات حول نتائج حل الصور الجوية، وكان عدد موظفي المقعد المصري قد زعموا بأن المقصود

ليست قوة عسكرية (وفي نهاية الامر اتضح بأن المباني كانت تابعة لدائرة الاشغال العامة المصرية).

ولكن بسبب الخوف من ان تكون هذه الخيام هي وحدات عسكرية ادخل تغيير على الخطة الحربية، فقد قرر قائد لواء المظليين ارئيل شارون وقائد القيادة الجنوبية اساف سمحوني انزال كتيبة رفول، بالقرب من نصب باركر بالقرب من المدخل الشرقي للمتلا لعدم المخاطرة في عملية انزال داخل معسكر للجيش المصري، ولكن قبل ان يتأهب المظليون للتوجه الى هدفهم في مساء التاسع والعشرين من تشرين اول بساعات معدودة، اتضح نهائيا بأنه لا توجد قوات عسكرية في البركسات والخيام الموجودة في المتلا، فتوجه رفول الى المطار الذي جمع فيه المظليون لتلقي المعلومات النهائية، ولكن رئيس شعبة العمليات آنذاك مئير عميتيا ومساعده عوزي نركيس قررا مع هذا تنفيذ عملية الانزال في شرق المتلا.

خلال النقاش الذي جرى بعد الحرب اكد «رفول» ان الاستخبارات قامت بمحاولة اخرى لتغيير الخطة في اللحظة الاخيرة، وقبل التوجه لعملية الانزال جاء الى المطار رئيس شعبة العمليات ومساعده وحاولا دراسة موضوع تغيير الخطة (بناء على تقارير الاستخبارات) وبعد نقاش قصير توصلنا الى نتيجة بأن المهمة ستنفذ حتى ولو رابطنا في الطرف الشرقي، ولهذا تقرر عدم تغيير الخطة وقد تمت عملية الانزال قبل الساعة ١٧٠٠ ـ يوم ٢٩ تشرين اول بدقيقة واحدة.

لقد اعطى رجال الابحاث فرصة اخرى لاثبات انفسهم خلال المعارك وكان ذلك عندما وصلت الى الاستخبارات الاسرائيلية انباء تفيد ان المصريين ينوون تعزيز قواتهم في منطقة شرم الشيخ في اعقاب طلب مساعدة تقدمت به الوحدة المصرية المرابطة في شرم الشيخ وتم التقاطه من قبل الاستخبارات وارتبكوا في قيادة الجيش الاسرائيلي فيما اذا كان يتعين عليهم ان يأمروا اللواء التاسع الذي كان متوجها الى شرم الشيخ بالتوقف خوفا من الاصطدام بقوة عسكرية كبيرة، ولكن رجال الاستخبارات اعتقدوا بناء على معرفة الموضوع وتقييم مدى صدق وعود القيادة المصرية، بأنه لا يوجد للوعود بارسال تعزيزات الى شرم الشيخ اي غطاء، وزعم رجال الابحاث بأنه لن يصل الى هناك جندي مصري اخر، وبالفعل فقد كانوا صادقين فيما قالوه.

ان التقديرات الاولية للاستخبارات الاسرائيلية بالنسبة لنتائج الحرب في كل

ما يتعلق بتهدئة الحدود وتخفيض الضغوط على طولها، قد اصبحت حقيقية، ولكن توقعات رجال الابحاث بالنسبة لسقوط نظام عبدالناصر آلت الى الفشل.

فقد ساعدت «عملية قادش» (حرب السويس) على رفع هيبة الرئيس عبدالناصر في انظار العالم العربي وتقوية الشعور بالثقة الذاتية والشعور بالعظمة لدى القيادة المصرية.

ورغم ذلك خرجت الاستخبارات الاسرائيلية مستفيدة من هذه الحرب، فهذه الحرب اعطت اندفاعة قوية لتطوير جهاز جمع المعلومات (بما في ذلك الاستخبارات المقاتلة) وتعميق جهاز الابحاث وعززت مكانه الاخير كعنصر مسؤول عن تقييم الوضع القومي، وفي السنوات التي تلت الحرب استمر تعاظم سلاح الاستخبارات وبلغ رقمه القياسي في حرب الايام الستة.

التعاون مع خدمات اجنبية

خلال عهد يهود شفاط هاركابي كرئيس لشعبة الاستخبارات وضع اساس قوي للتعاون بين الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية وبين استخبارات اجنبية وتعزز هذا التعاون مع مرور الزمن، وقد نجم هذا التعاون بسبب الاتصالات السرية التي تمت بين اسرائيل وفرنسا وبريطانيا في اطار الاستعدادات لحرب سيناء.

في الاجتماع الاول الذي عقد بين هاركابي وبين رئيس المخابرات الفرنسية بورسيكو كان الفرنسي اكثر تشككا وبرودا نحو زميله الاسرائيلي، فقد اظهر بورسيكو قدرا معينا من عدم الثقة باقوال هاركابي عن مبنى الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية كما رفض التصديق بأنه توجد للاستخبارات العسكرية وحدة جمع معلومات حتى في خارج اسرائيل.

غير ان هذا الجمود تحطم دفعة واحدة وبصورة مفاجئة عندما ذكر هاركابي عن طريق الصدفة اسم رئيس احدى البعثات الاستخبارية الفرنسية في احدى الدول الافريقية، ومنذ الان فصاعدا تغير الجو كليا وفي غداة اليوم التالي تناول هاركابي وجبة غداء فرنسية على مائدة رؤساء المخابرات الفرنسية، ونسجت الصلات العملية الاولى بين المنظمتين، وازدادت هذه الصلات متانة فيما بعد،

عندما ارسل مندوب شعبة الاستخبارات الاسرائيلية الى باريس.

وهنـا اعتـرض رئيس «المـوسـاد» الاسرائيلي انذاك اليسر هرئيل الذي اقام حتى تلك الفتـرة علاقـات مع خدمـات الامن الفرنسية فقط، امام رئيس الحكومة ووزيـر الدفـاع دافيـد بن غوريـون، على العـلاقات التي اقيمت بين الاستخبارات العسكـريـة والمخـابـرات الفـرنسيـة، وطلب مهـددا بالاستقالة نقل مواصلة هذه العـلاقـات اليـه، غير ان بن غوريـون رفض اقتـراح اليسر هرئيـل بحجـة ان التحضيرات لحملة قادش تتطلب اقامة علاقات بين استخبارات الجيش الاسرائيلي «والمـوسـاد» الفرنسي الذي يركز بيديه التحضيرات الفرنسية للعملية ولكن في وقت لاحق تم التـوصـل الى تسوية هدفت الى ارضاء رئيس «الموساد» الاسرائيلي سمح للاخـير بمـوجبهـا بالاطلاع على جميـع المـواد المتعلقـة بالتعـاون بين شعبـة الاستخبارات الاسرائيلية والمخابرات (الموساد) الفرنسية.

وسرعـان ما طرأ اتصـال ايضـا مع الاستخبارات الامريكية رغم انه لم يتم وضـع المخـابـرات الامـريكية في صورة «الهجوم الثلاثي» على سيناء، فقبل حملة سينـاء بشهـر واحـد زار هاركـابي الولايات المتحدة الامريكية واجتمع مع رؤساء الاستخبـارات الامـريكيـة، وطور الامـريكيـون علاقـات احتـرام وتقـديـر نحـو الاستخبـارات الاسرائيليـة التي كانت قد اثبتت نفسهـا في النصف الاول لسني الخمسينات في مجال المعلومات والتقييمات الخاصة بالساحة الشرق اوسطية، فقد اكتشف واشنـطن ان ساحـة الشرق الاوسـط غير مغطاة من قبلها، ولهذا السبب وجـدت نفسها مضطرة للاعتماد على تقارير الاستخبارات الاسرائيلية، هذه النظرة الامـريكيـة الوديـة ازاء الاستخبـارات الاسرائيلية تزايدت بعد حملة قادش بعام، عنـدمـا لاحظت الاستخبارات الاسرائيلية التطورات الداخلية في لبنان قبل الحرب الاهليـة هناك في عام ١٩٥٨، وفي تلك الفترة قرر الامريكيون انزال «قوات بحرية» على الشواطىء اللبنانية.

لقـد تطلب التعاون الوطيد بين الاستخبارات الاسرائيلية وبين الاستخبارات الغـربيـة اقـامة هيئة خاصة داخل الاستخبارات الاسرائيلية مهمتها معالجة هذه الاتصالات. وقد اقيمت هذه الهيئة في عهد هاركابي.

وبمقابل العلاقات مع الاستخبارات الغربية طرأ في نفس الوقت اتصال اول مع خدمات استخبارات في انحاء مختلفة من المعمورة.

تمريـــن دعــوة الاحتيـــاط

في عام ١٩٥٩ اقتـرح قائد سلاح الجو، العميد عيزر وايزمان ورئيس شعبة الاستخبـارات، العميـد يهود شفاط هاركابي، اجراء تمرين لدعوة قوات الاحتياط وعرض رئيس الاركان الجنرال حاييم لسكوب هذا الاقتراح على وزير الدفاع دافيد بن غوريـون الذي قرر ان يقوم رئيس شعبة العمليات باعداد خطة ويقدمها رئيس الاركان للمصادقة عليها.

ومن اجـل الحيلولة دون وقـوع حالة من الذعـر والخـوف بين الشعب، امر رئيس شعبـة العمليـات، العميـد مئير زورياع بنشر بيان حول دعوة الاحتياط عبر الاذاعـة والصحف قبـل موعـد بدايتـه بـ ٤٨ ساعة، وتقرر موعد بدء التمرين في الاول من نيســان وقـد ادى خلاف وقع بين شعبة الاركان / العمليات وبين وحدة امن الميـدان في الاستخبـارات الى عدم نشر البيـانـات المشعبـة عن التمرين عبر الاذاعـة والصحف، ونسبت جميـع الترتيبات التي وضعت للتأكيد للشعب وللعالم اجمع بأن المقصود هو تمرين فقط وليس تعبئة حقيقية.

وقـد انـطلقت الاصـوات الدراماتيكية في اليوم الاول من نيسان من اجهزة الراديـو وفي جميع اللغات حول استدعاء قوات الاحتياط للجيش الاسرائيلي، وكأن المقصود هو وضـع طوارىء حقيقي، وتوقفت انفاس اسرائيل والعالم كله، وفي غداة اليـوم التالي سئل العميد زروبابل من قبل دافيد بن غوريون فيما اذا قدم لرئيس الاركان خطة خطية لاجراء التمرين فاجاب زروبابل انه ابلغ رئيس الاركان شفويا للحفـاظ على سرية التمرين، واضاف ان التابعين له لم ينفذوا الاوامر ولكنه اوضح بأنه يعتبر نفسه مسؤولا عما حدث.

وقــررت لجنـة التحقيق التي عينهـا بن غوريـون برئـاسـة الوزيـر يعقـوب شمشون شبيرا بأنه كان على العميد زروبابل ان يقدم خطة خطية الى رئيس الاركان.

يقـول «زرو»: لقـد قلت لبن غوريون انه من واجبي ان اتحمل مسؤولية ما حدث ولكن ربما يجدون في هذه الحالة بأن الاسماك الصغيرة قد افشلت الحيتان.

وبعـد ذلك اتصـل بي رئيس الاركـان حاييم لسكوب وقال: يجب عليك انت ورئيس شعبة الاستخبارات ان تقدما استقالتيكما صباح غد، ولكنني رفضت. وفي غداة اليوم التالي تم استدعائي والعميد هاركابي لمقابلة بن غوريون فزعمت ان النتائج التي توصلت اليها لجنة التحقيق كاذبة ولو نفذت اوامري نصا وروحا لما حدثت اخطاء.

فاستـدعـانا بن غوريون لحضور جلسة الحكومة التي قال هاركابي خلالها ان شعبـة الاركـان كانت مسـؤولة عن التنفيـذ، امـا انـا فشرحت امـام اعضاء الحكومة سير الامور وتمالكهم الغضب.

وقلت انه من الواضح لي ان شخصا ما في سلاح الاستخبارات او في سلاح الجو لم يهتم باصدار بيان مسبق عن تمرين دعوة الاحتياط.

وبمـوافقـة رئيس الاركان قررت الحكومة نقل رئيسي الشعبتين ذات العلاقة وهما رئيس شعبة الاركان العميد مئير زروبابل ورئيس شعبة الاستخبارات العميد يهـود شفاط هاركابي، فعين «زرو» قائدا للقيادة الشمالية واما هاركابي فقد سافر للدراسـة في جامعـة هارفـارد بعـد ان رفض اقتـراحا للخروج باجازة لمدة بضعة اشهر وبعد ذلك يعود لمزاولة مهام منصبه.

وكـان رئيس شعبة الاستخبارات سابقا حاييم هرتسوغ في ذلك الوقت يقوم بنـزهة في منطقة مسادة فاستدعاه رئيس الاركان حاييم لسكوب للحضور فورا الى رئاسة الاركان في تل ابيب ليتسلم للمرة الثانية رئاسة شعبة الاستخبارات العسكرية.

لقـد شهـدت فترة عمل هرتسوغ الثانية كرئيس شعبة الاستخبارات والتي اسـتـمـرت حتى الاول من كانـون ثان عام ١٩٦٢ تطور «الاسـاس العلمي» في الاستخبـارات كمـا تم التـأكيـد على توسيـع نشـاطات الاستخبـارات العسكرية الاسرائيليـة في دول المنـطقـة وعلى اقامة صلات وعلاقات مع استخبارات عسكرية اجنبيـة، وخلال عمله كرئيس لشعبة الاستخبارات اهتم هرتسوغ بأن لا تتأثر تقارير الابحاث من سياسة «الدولة»، وانما تكون مستقلة وحقيقية بقدر الامكان.

عمليــة روتـــم

ان احـدى المهام الرئيسة الملقاة على عاتق الاستخبارات العسكرية هي منع وقوع مفاجأة من جانب العدو، ولهذا السبب يتوجب عليها ان تتعقب الدلائل التي تشـير الى وجـود اعـداد للحـرب من قبـل الجـانب المضـاد، او الى هجـوم اخـذ بالاقتـراب، ويجب على الاستخبارات ان تطور جهاز انذار مسبق، فالانذار ـ يعني احباط المفاجأة.

ان الكتب المهنية مليئة بالامثلة من التاريخ العسكري الذي فشلت فيه خدمات استخبـاريـة كبـيرة في اعـطاء انـذار مسبق حول عمليـة عسكرية متوقعة من قبل الخصم، ومن بين اسباب الفشل صعوبة كشف الدلائل التي تشير الى ذلك (Indications) او فهم هذه الدلائل.

ان هذه الدلائـل هي على سبيل المثال زيادة الاستعداد الحربي لدى العدو او تصعيد اللهجة الاعلامية.

وعمليـات تحضـير معينـة تتم في الخطوط الخلفية وادخال تغيير على مرابطة القوات المعادية وتصاعد الاتصالات اللاسلكية، وكما هو مفهوم تحرك قوات العدو الى ما رواء الحدود او نحو الاهداف.

لقد كانت حملة قادش مثالا على فشل الاستخبارات المصرية في اعطاء انذار مسبق حول الهجوم الثلاثي لاسرائيل وفرنسا وبريطانيا، فالاستخبارات المصرية لم تعتقـد بأن اسرائيل قادرة من الناحية السياسية ـ الداخلية على شن حرب بل ولم تفكـر بامكـانيـة خلق تعـاون بين اسرائيـل وفـرنسـا وبـريـطانيا، فحركة القوات الاسرائيليــة التي كان يمكن ان تشكـل انـذارا جيـدا فسرت من قبـل المصريـين (بفضـل عمليـة التضليـل الاسرائيليـة) على انها حشد للجهد الحربي الاسرائيلي ضد الاردن.

بالاضـــافــة الى ذلك يبــدو ان المصريـين واجهـوا مشكلة نقص المعلومـات الاستخبارية عن قوة الجيش الاسرائيلي، ونظام قواته.

«موسى» يعد دبابات:

ففي ليلة ٣١ كانون ثان ١٩٦٠ قام الجيش الاسرائيلي بعملية تطهير في قرية التوافيق التحتا، في اعقاب النشاطات السورية المتكررة في المنطقة المجردة من السلاح، وكانت تلك اكبر عملية من ناحية الحجم ينفذها الجيش الاسرائيلي بعد حرب قادش وساد بعدها التوتر على الحدود السورية الاسرائيلية، وزادت قوات القيادة الشمالية التابعة للجيش الاسرائيلي من استعدادها، وهذا الاستعداد لم يغب عن انظار سوريا التي كانت انذاك جزءا من الجمهورية العربية المتحدة التي ضمت مصر ايضا.

وقد ساد الجمهورية العربية المتحدة الخوف من ان تكون اسرائيل تخطط لهجوم على سوريا، او لتحويل مياه نهر الاردن، وفي اواسط شهر شباط من ذلك العام، زار الرئيس المصري جمال عبدالناصر سوريا ودرس الوضع مع الزعامة المحلية، وازدادت مخاوف العرب بعد ان نقل الاتحاد السوفياتي الى الجمهورية العربية المتحدة معلومات موثوقة تفيد بأن اسرائيل تحشد قوات كبيرة في منطقة الجليل لشن حرب شاملة ضد سوريا، (هذا السيناريو كرر نفسه في حرب الايام الستة) وقد نظر الرئيس المصري بجدية الى المعلومات الروسية وقرر القيام بعملية عسكرية ذات مغزى سياسي تعزز من مكانة مصر كأقوى دولة في العالم العربي وتؤكد حيوية الوحدة بين سوريا ومصر، فاعلنت حالة الطوارىء القصوى في جيش الجمهورية العربية المتحدة، ونقل جمال عبدالناصر الى قوات الامم المتحدة خبرا حول امكانية وقوع عملية عسكرية، وفي ١٨ شباط ١٩٦٠ بدأت قوات مصرية كبيرة بدخول سيناء سرا مع صمت لاسلكي، ففي المرحلة الاولى دخلت قوات المشاة اللواء الثاني واللواء الخامس واللواء السابع وبعدها تحركت قوات الدروع الرابعة، وخلال وقت قصير كانت معظم القوات المصرية داخل سيناء.

منذ عملية «التوافيق» في الجبهة السورية، تلقت الاستخبارات الاسرائيلية معلومات من مصادر مختلفة تفيد انه من المحتمل ان يقوم السوريون بعملية استعراضية كتحذير لاسرائيل ولكنهم لن يذهبوا الى ما هو ابعد من استعراض القوى، ومنذ اواسط شهر شباط بدأت ترد معلومات متقطعة وتلميحات خطيرة الى

احتمال دخول قوات مصرية الى سيناء، ولكن هذه الانباء لم تشعل لسبب ما النور الاحمر في الاستخبارات العسكرية.

لقد اضيء الضوء الاحمر في اسرائيل فقط عندما ورد خبر حول تحرك الفرقة المدرعة الرابعة (التي كانت مرابطة غربي القناة) وبعد ان اكملت الوية المشاة المصرية تمركزها بالقرب من الحدود، ففي ذلك الوقت تقرر ارسال طائرة لتقوم بالتصوير.

في ٢٣ شباط اي بعد ثلاثة ايام من دخول القوات المصرية سيناء، جرت طلعة التصوير الاولى (التي كانت معقدة ومركبة جدا) فوق القناة، وقد كشفت هذه الطلعة ان الفرقة الرابعة المدرعة التي رابطت كما قلنا في منطقة القناة قد اختفت، وقد اثار هذا الامر استغراب رجال الاستخبارات الاسرائيلية وكشف طلعة اخرى نفذت بعد مرور بضع ساعات ان قوة الدروع المصرية انتشرت امام الحدود الاسرائيلية في واجهة ـ جبل لبني ـ العريش.

فطيلة الليل جلس «موسى» محلل الصور واخذ يحسب الدبابات التي ظهرت في الصورة الجوية ١٠٠ ـ ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ـ ٤٠٠ ـ ٥٠٠ وكانت هذه القوة المدرعة قوة ضخمة حسب معطيات تلك الايام. وكشفت دراسة اخرى للصورة ان فرقتين من المشاة تمركزتا في منطقة ام كتف ـ العريش وفي المناطق القريبة من رفح.

ومن اجل عدم المساس بتوزيع قوات الامم المتحدة وبقصد الامتناع عن مجابهة معها امتنع المصريون عن ادخال قوات الى رفح نفسها والى قطاع غزة، وقد رابط جزء آخر من قواتهم في منطقة بئر جفجفه، ولم تبق في منطقة القناة وفي مصر نفسها سوى قوة عسكرية صغيرة.

الجيوش مستعدة

لقد كانت تحركات الجيش المصري مفاجأة بالنسبة لاسرائيل ففي منطقة القناة الجنوبية لم تكن في ذلك الوقت سوى حوالي ٢٠ـ٣٠ دبابة وفي ٢٤ شباط وفي ساعات المساء عقد اجتماع في مكتب رئيس الاركان تحدث فيه رئيس شعبة الاستخبارات حاييم لسكوف عن الصور الجوية وعن ما اكتشف فيها، وكتب اسحق رابين الذي كان في ذلك الوقت رئيسا لشعبة الاركان ورقة صغيرة الى عيزر

وايزمن الذي كان قائدا لسلاح الجو قال فيها: لقد مسكونا ونحن عراة.

ان كل شيء معلق على سلاح الجو خلال الاربع والعشرين ساعة القادمة واعلنت حالة الطوارىء القصوى في الجيش الاسرائيلي وتم تجنيد جانب من قوات الاحتياط ومن المنطقة الشمالية تم سحب لواءي الدروع السابع، والسابع والثلاثين وكذلك لواء جولاني، وامر رئيس الحكومة ووزير الدفاع دافيد بن غوريون الجيش الاسرائيلي بالمحافظة على عدم تصعيد التوتر.

ان الحرب لم تندلع هذه المرة، فالجيشان تمركزا امام بعضهما البعض ولكن في نهاية شهر اذار عادت القوات المصرية غربا الى قواعدها عبر القناة، غير ان عبدالناصر جنى ثمار النصر في السادس من اذار، فقد اعلنت وسائل الاعلام المصرية ان العملية الجريئة التي قام بها الجيش المصري ردعت اسرائيل عن مهاجمة سوريا وان هذا الدليل قاطع على الفائدة المتوخاة في التعاون السوري - المصري وتأكيد على الثقة المتوفرة بسبب ارتباط سوريا بحلف مع مصر.

ولكن في زعامة الجيش الاسرائيلي وعلى الاخص في سلاح الاستخبارات كانت قضية «روتم» وهو الاسم الذي اطلق على عملية دعوة قوات الاحتياط بسبب انتشار القوات المصرية بمثابة كآبة كبرى تركت اثارها حتى حرب الايام الستة، وكانت هنالك ضرورة للتعجيل في دراسة اسباب الفشل في اصدار الانذار المبكر، وفي اعقاب هذه الدراسة تحسين جهاز الانذار والكشف.

لقد صدرت مبررات كثيرة لفشل الاستخبارات الاسرائيلية واحد هذه المبررات كان عدم الجدية التي اوليت للانباء التي قالت ان عبدالناصر قد يرد في عملية استعراضية على الحوادث التي وقعت على الجبهة السورية وهناك تبرير آخر وهو محاولة التساهل مع الضغوط الداخلية والخارجية التي وجهت الى الاستخبارات والتقليل من الطلعات الجوية التصويرية وذلك لاسباب سياسية ومالية واخرى، وكان هذا هو سبب تأجيل عملية التصوير الاولى حتى الثالث والعشرين من شباط، ومبرر ثالث هو عدم تجاوب الاستخبارات الاسرائيلية في مجابهة عمليات مفاجأة والخداع التي تتخذ من جانب العدو.

في اعقاب دراسة اسباب الفشل اتخذت اجراءات مختلفة لتحسين جهاز الانذار وقد رفع موضوع الانذار الى رأس سلم تصنيف الانباء الحيوية التي يلقيها رئيس الاستخبارات على جهاز الجمع، كما استثمرت جهود جبارة لتطوير

عناصر جمع معلومات وخاصة في سيناء تستطيع اعطاء الانذار المبكر حتى من غربي القناة.

كما بني سلم (دلائل مشيرة) تستطيع ان تشير الى احتمال وقوع مفاجأة من جانب العدو واتخذت اجراءات اخرى.

لقد ادت قضية روتم الى شحذ الهمم في مجال الانذار المبكر داخل الاستخبارات العسكرية ولكن ادت ايضا الى تدهور العلاقات بين رئيس شعبة الاستخبارات انذاك العميد حاييم هرستوغ وبين رئيس الاركان حاييم لسكوف، فقد زعم رئيس الاركان انذاك انه علم بدخول القوات المصرية عن طريق الصدفة عندما ذهب لمعرفة الانباء لدى المقعد المصري وان رئيس شعبة الاستخبارات لم يبلغه بهذا الامر مطلقا. ومقابل ذلك زعم هرتسوغ انه كان يرسل بتقرير يومي الى وزير الدفاع ورئيس الاركان وان التقرير المفصل تضمن طلبا لاجراء صور جوية وتوصيات بالنسبة لاعلان حالة الطوارىء قد ارسلت بواسطة دائرة الابحاث الى رئيس شعبة الاركان.

وعلى أي حال فإن ظل روتم استمر يغطي على العلاقات بين الاثنين حتى نهاية فترة عمل هرتسوغ كرئيس لشعبة الاستخبارات عام ١٩٦١.

مفاجأة الصواريخ المصرية

في صيف ١٩٦١ بعث رئيس الاركان الجنرال تسفي تسور «تشاره» برسالة الى العميد مئير عميت الذي كان يقيم في الولايات المتحدة الامريكية وطلب منه تسلم منصب رئاسة الاستخبارات وكانت هذه هي اول مرة يعرض فيها هذا المنصب على ضابط لم يترعرع في صفوف الاستخبارات.

بعد تسلمه المنصب في الاول من كانون ثان عام ١٩٦٢ وجد عميت على حد قوله مجموعة من العلاقات المقوضة كان من الضروري اصلاحها فورا، لكي يكون بالامكان التفرغ لبناء السلاح، وهذه العلاقات هي:

العلاقات داخل الاستخبارات العسكرية، والعلاقات بشعبة الاستخبارات والجيش الاسرائيلي والعلاقات داخل المجموعة الاستخبارية التي تعتبر الاستخبارات العسكرية احد عناصرها الرئيسة.

ان تأثيرات العملية المخجلة التي نفذت عام ١٩٥٤ لم تمح بعد من اذهان المسؤولين في الاستخبارات العسكرية، فهذه الفضيحة ساهمت في خلق علاقات عكرة بين القادة في السلاح او كما قال عميت: لقد كانت الاستخبارات العسكرية تطبخ وقتا طويلا في شوربتها هي، وكان حل ذلك يكمن في طريق انعاش الصفوف، واستبدال بعض القادة.

لقد كان من الضروري العمل بجد وارهاق من اجل اصلاح هيبة الاستخبارات العسكرية في نظر الزعامة العسكرية الاسرائيلية فهذه الفضيحة تركت في الجيش الاسرائيلي نظرة استهانة وتنكر ازاء شعبة الاستخبارات العسكرية فليل الاوز لم يضف للسلاح هيبة.

استقالة اليسر

هناك مشكلة اخرى كانت متعلقة بالتوتر الذي طرأ على مر السنين داخل مجموعة الاستخبارات والذي تصعد في سني الستينات، فبحكم منصبه كرئيس لشعبة الاستخبارات اثار عميت مزاعم جارحة ضد رئيس الموساد انذاك اليسر هرئيل قال فيها انه يهمل معالجة الجوهر ويهتم بمواضيع لا تتعلق مباشرة بأمن «دولة» اسرائيل فعلى سبيل المثال قال عميت ان عمليات البحث عن الطفل يوسلا شوخمخار والجهود التي بذلت من اجل اختطاف ادولف ايخمان اضافت فعلا هيبة للاستخبارات الاسرائيلية ولكنها استنزفت قواها واضعفت طاقاتها وحولت انظارها واهتمامها عن الجهد الرئيس وتسببت في ضعف تدفق المعلومات وقد اثار عميت هذه المزاعم كلها امام رئيس الاركان.

كما نشبت خلافات بين شعبة الاستخبارات وبين الموساد حول قضية العلماء الالمان وانتاج الصواريخ في مصر.

ففي ٢١ تموز ١٩٦٢ فوجئت اسرائيل عندما اطلقت مصر بمناسبة عيد الثورة المصرية اربعة صواريخ ارض ـ ارض من نوع «الظافر» والقاهر.

واعلن الرئيس المصري جمال عبدالناصر ان هذه الصواريخ تستطيع تغطية جميع المدن الاسرائيلية.

وكانت مجموعة الاستخبارات الاسرائيلية قد علمت في عام ١٩٦١ بوجود

سبعة انواع من الصواريخ المصرية يتم فحصها في انفاق الهواء في سويسرا، وكانت التقديرات تشير الى ان هذه الصواريخ هي بدائية وذات مرحلة واحدة ويتراوح مداها بين ٦٠ـ١٢٠ كم وهي ما زالت تجتاز مراحل تطوير اولية، ولهذا فوجئت اسرائيل من اطلاق هذه الصواريخ بالذات في تموز ١٩٦٢ ومن حقيقة وصول المصريين الى هذه المرحلة في مجال انتاج الصواريخ لقد اصبح هذا الموضوع حجر خلاف داخل مجموعة الاستخبارات الاسرائيلية.

فقد زعم رئيس الموساد بما انه كانت اسرائيل تعلم بالتطوير المصري بما في ذلك تجربة الصواريخ في سويسرا فان الخطأ كان ناجما فقط عن تقييم هذه المعلومات.

وبذلك اراد بالفعل ان يحمل مسؤولية المفاجأة للاستخبارات العسكرية التي كانت مسؤولة عن موضوع البحث والتقييم.

وقد اعتبر اليسر موضوع تطوير الصواريخ المصرية خطرا كبيرا على أمن اسرائيل وخاصة وجود الخبراء الالمان في مصر وطلب القيام بحملة علنية تتضمن هجوما على الحكومة الالمانية ولكن شعبة الاستخبارات قالت ان الضرورة تدعو فعلا الى تتبع عملية تطوير الصواريخ المصرية، وعمل الخبراء الالمان ولكن الموضوع ليس خطيرا الى هذا الحد ولا يشكل خطرا على امن اسرائيل ولهذا فانه لا يوجد مبرر لتضخيم القضية اكثر من اللازم، واعتقدوا في شعبة الاستخبارات العسكرية بأنه على الرغم من عملية اطلاق الصواريخ الاستعراضية فان تطوير الصواريخ في مصر ما زال في بدايته وانه لا يشكل خطرا فوريا.

وقد ادت هذه القضية الى استقالة اليسر هرئيل من رئاسة الموساد في ٢٥ اذار ١٩٦٣ وطلب دافيد بن غوريون من مئير عميت ان يشغل لعدة اشهر منصب رئيس الموساد بالاضافة الى منصبه كرئيس الاستخبارات.

عمل عبري

منذ الآن فصاعدا بدأ الجو داخل المجموعة الاستخبارية بالتحسن واصلحت العلاقات بين الخدمات وذلك بفضل حقيقة ان خليفة عميت في شعبة الاستخبارات العسكرية كان العميد اهارون يريف الذي خدم في السابق نائبا له،

فقــد تطورت بين عميت كرئيس للمــوساد وبين يريف كرئيس للاستخبارات علاقات عمل ممتازة.

على الرغم من فتـرة عمله القصــيرة لمئير عميت كرئيس شعبة الاستخبارات فقـط (حوالي ١٥ شهرا) فقد ترك اثره في الاستخبارات العسكرية، وذلك ليس فقط في مجــال بنــاء الاســاس وتــدفيق دم جديــد في القيــادة فحسب، بل في مجــال الاستخبــارات العمليــة وفي كل ما يتعلق بمــوضوع التطور التكنولوجي الذي كان انذاك في بدايته.

ان التجــديــد الذي جلبــه عميت كان قبل كل شيء في مجال خلق دمج وطيد بين وحــدة الاستخبــارات وبــين الاستخبــارات الفنيــة فقــد تعــاون رجال وحدات الاستخبارات وعمل الطرفان ضمن تعاون وطيد.

بالاضافة الى ذلك يبدو ان الدور الرئيس لمئير عميت في سلاح الاستخبارات كان الانتقــال لما اسمــاه «بــالعمــل العبــري» فهذا القرار الذي حظي بدعم رئيس الاركــان ادى الى ثمــار ممتــازة، وبالاضافة ساهم في تغيير نظرة القيادة العليا من شعبة الاستخبارات واصلاح هيبة السلاح داخل الجيش الاسرائيلي.

ان الاهتمــام الذي اولاه رئيس شعبــة الاستخبــارات للاستخبارات العملية والتــطويــر التكنــولوجي انــزل الى مكانة متدنية جدا في سلم الافضليات، موضوع معــالجــة الجهاز الاستخباري المقاتل فهذا الجهاز اعطي انذاك مكانة جعلت منه فقط مجموعة اتصال بين الاستخبارات والجيش.

في مطلع عام ١٩٦٣ وقبــل عدة اســابيــع على تسلم عميت رئــاسة الموساد، عرضت الاستخبارات العسكرية تقريرها الاستخباري نصف السنوي على الزعامة السيــاسية وقال هذا التقرير انه حتى نهاية العقد أي حتى نهاية سني الستينات لن تحــدث حرب شاملة بين اسرائيل والعرب غير ان هذا الاعتقاد صمد فقط حتى الخامس من حزيران ١٩٦٧.

من الشمال يبدأ السوء

في كانــون ثان ١٩٦٤ عقــد في القــاهــرة مؤتمــر القمة العربي الاول لبحث قضــايــا العالم العربي، وقد وضع هذا المؤتمر لنفسه هدفين رئيسين وهما: العمل

على تسـويـة النزاعات بين الدول العربية وتخطيط الاجراءات الكفيلة بمنع تشغيل ناقل المياه القطري الاسرائيلي الذي كان ينطوي على تحويل مياه نهر الاردن ونقلها الى النقب.

وساد الاعتقاد في اسرائيل بأن العرب سيرون بتشغيل الناقل القطري تفوقا اقتصـاديـا كبـيرا لاسرائيـل ولهذا سيبذلون كافة الجهود لتخريبه، وفي الواقع ان مؤتمـر القـاهـرة قد قرر بأن العرب غير مستعدين لشن حرب في هذه المرحلة على اسرائيـل بسبب تشغيل الناقل ولكنه اعلن بأنه يجب عليهم العمل لاحباط مشروع التحويل واتخذ هذا المؤتمر ثلاثة قرارات عملية وهي:

- اقامة قيادة عربية موحدة والاسراع بعملية تعاظم الدول العربية عسكريا.
- تنفيـذ مشروع تحـويـل عربي لمصـادر نهـر الاردن في المنـطقـة التي تقع فيها المصادر خارج المجال السياسي لاسرائيل.
- احيـاء «الكيـان الفلسـطيني» وخلق الاطارات التي تبـرز هذا الكيـان سياسيا وعسكريا اي تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني.

المشكلـــة ـ سوريـــا

لقـد استعدت مجموعة الاستخبارات الاسرائيلية ومن ضمنها الاستخبارات العسكـريـة لمواجهـة الاخـطار المتـرتبة على هذه القرارات، وقد تركزت الاهتمامات الرئيسـة على ما يجـري في الشمـال اذ ان التحضـيرات لتنفيـذ مشروع التمويل العربي بدأت تنفذ في الاراضي السورية في شهر تشرين ثان ١٩٦٤ واخذت دمشق على عاتقهـا مسـؤوليـة اقامة منظمة فتح، وقد شكلت هذه المنظمة في شهر كانون ثان ١٩٦٥ كوزن مضاد لمنظمة التحرير الفلسطينية التي اقيمت في مصر.

وسمحت سوريـا لمنـظمة التحرير الفلسطينية بتدريب رجالها تمهيدا لارسال مجموعات تخريب الى اسرائيل.

وفي مجـال الامن ايضـا كانت سوريا المشكلة الكبرى والخطيرة التي تواجه اسرائيل في ذلك الوقت، فنظرية رئيس مصر جمال عبدالناصر، السياسية القائلة انه لم يحن الوقت بعـد لمحـاربـة اسرائيل ووجود قوات الامم المتحدة كقوة فاصلة في الجانب المصري من الحدود مع اسرائيل تسببا في جعل الحدود بين مصر واسرائيل

حدوداً هادئة منذ حملة قادش باستثناء بعض عمليات زرع الالغام.

ومقابل هذا تمركز السوريون على طول حدود هضبة الجولان البالغ ٧٧ كم واستغلوا تفوقهم البارز بالنسبة لكثافة نيرانهم مقابل قوات الجيش الاسرائيلي وسيطرتهم الطوبغرافية، وحاولوا ان يمنعوا اسرائيل بالقوة من فلاحة الاراضي الزراعية في المناطق المجردة والتصدي لعمليات الملاحة في شمال شرقي بحيرة طبريا وتعطيل مجريات الحياة في المستوطنات الشمالية بواسطة عمليات القصف المدفعي.

ورد الجيش الاسرائيلي بجهد مستمر لتسوية خط الحدود عن طريق تسيير الدوريات والمراقبات والكمائن ووضع حراسة مشددة على المزارعين وبهدف تطبيق سيادة اسرائيل على الارض بذلت الجهود لفلاحة جميع الاراضي الموجودة في المجال السيادي الاسرائيلي حتى خط الحدود تماما، وتنفيذ اعمال الملاحة وصيد الاسماك في الجانب الشرقي لبحيرة طبريا بمساعدة زوارق الحراسة وفي فصل الحراثة الزراعية كانت الحوادث تقع يوميا تقريبا، واحيانا كانت عمليات اطلاق النار تقتصر على منطقة محلية ضيقة ولكن احيانا كانت الحوادث تشمل واجهة واسعة جدا وربما منطقة الحدود كلها، وعلى ضوء التحرشات السورية نفذت عمليتا انتقام في الواجهة الشمالية.

لقد باءت جميع المحاولات لتسوية مشكلة فلاحة الاراضي بالفشل واستمرت عمليات القصف السورية حتى قبيل حرب الايام الستة، واثناء الحوادث لم يوقف سائقو الجرارات الزراعية اعمالهم وكانوا يعملون تحت رماية الاسلحة السورية وقتل عدد منهم وحصل بعضهم على وسام رئيس الاركان، وفي مطلع نيسان ١٩٦٧ اطلق السوريون النار على جرارات زراعية تابعة لكيبوتس «هارون» كانت تعمل في احدى المناطق المتنازع عليها وتوقف العمل، وعندما استؤنف في ٧ نيسان اطلق السوريون النار مرة اخرى، وعندها تطور حادث كبير انتهى باسقاط سبع طائرات سورية.

إن الحرب اليومية تقريبا في الواجهة الشمالية القت بالاعباء الاستخبارية على دائرة الاستخبارات في القيادة الشمالية وعلى الجهاز العسكري «للمقعد» السوري في دائرة الابحاث الكائنة في رئاسة الاركان.

اربـــــع مهـام استخباريـــة

خلال حرب «فلاحة الاراضي» وحرب المياه في الشمال اللتين احبطت المدفعية الاسرائيليـة وسلاح الجو الاسرائيلي خلالهما عمليات التحويل في الاراضي السورية طلب من الاستخبارات العسكرية القيام باربع مهام وهي:

١ . المهمـة الروتينيـة العـامـة: معرفة وتقييم النوايا السورية والتعرف على جهاز الاستخبارات السوري في واجهة هضبة الجولان ومعرفة كل تغيير يجري على هذا الجهاز وعلى ادخال اسلحة جديدة واستبدال وحدات وهكذا....

٢ . قبيل اندلاع الحادث: كشف النوايا السورية لاطلاق النار على قواتنا.

٣ . خلال الحـادث: ادار الجـانب الاستخبـاري وتتبع الردود السورية وتحركات القوات في واجهة الجولان وكشف المصابين والقتلى لدى السوريين.

٤ . في نهـايـة الحـادث: اجمـال الحادث في تقرير شامل يبرز الخسائر السورية ويشير الى نوايا العمل المحتملة من قبلهم في المستقبل.

من اجـل تنفيـذ هذه المهـام وضعت تحت تصرف المسـؤول عن الجهـاز العسكري في دائرة الابحاث في رئاسة الاركان مختلف وسائل الجمع الاستخبارية.

اولا:

الاستخبـارات النظرية التي اشتملت على المراقبات الاستخبارية من سلسلة جبـال «بـوريـا» والدوريـات الجـويـة بواسطة طائرة فايبر التي كانت تقلع فقط في الاحـوال الجـويـة المـلائمـة ولم تكن تستـطيع الاقتراب من مدى رماية المقاومات الجـويـة السـورية وكانت الطائرة تحمل رجل استطلاع جوي مزود بمنظار قياس ٨×٣٠ او ٧×٥٠ وكـانت الصـور الجـويـة توفـر معلومـات هامة، رغم ان طلعات التصـويـر اقتصرت فقط على الايام التي تكون فيها حالة الطقس جيدة، فالطلعات

التي كانت تقوم بها طائرة سلاح الجو الاسرائيلية على ارتفاع منخفض كانت توفر صورة دقيقة عن القوات السورية في الجولان واستعداداتها للحوادث.

وكذلك استخبارات «الترصد» ساهمت في توفير المعلومات عن النشاطات التي تجري خلال الحرب اليومية على خط الحدود.

ان عمليات التتبع المستمر من قبل الاستخبارات العسكرية لما يجري في الجانب الاخر للحدود في هضبة الجولان منحت قوات الجيش الاسرائيلي تفوقا هاما في «ادارة» الحادث وفي التوجيهات للتراكتور المصفح الذي كان يقوم بفلاحة الارض، وفي ارسال الاوامر للمدفعية الاسرائيلية وفي التوجيهات لطائرة سلاح الجو.

لقد تمت عملية تزويد المعلومات الاستخبارية للجيش الاسرائيلي خلال حرب المياه والاراضي في الشمال من رئاسة الاركان في تل ابيب، ومن دائرة الاستخبارات المقاتلة في القيادة الشمالية وكان اهم هذه النشاطات تلك السرعة في ارسال التقارير التي كانت تمنع احيانا وقوع خسائر في الارواح.

كان الحادث بشكل عام يهدأ قبيل المساء ولكن دور الاستخبارات لا ينتهي مع انتهاء الحادث، فضابط الجهاز العسكري (السوري) في دائرة الابحاث كان يتوجه الى مكتبه ليعد التقرير الاجمالي، وكان هذا العمل ينتهي في ساعة متأخرة من الليل وفي غداة اليوم التالي تتكرر القصة ثانية.

لقد كانت حربا المياه والاراضي في الشمال بطبيعتها استنزافا للقوى بالنسبة للمستوطنات وللجيش الاسرائيلي، ولرجال الاستخبارات العسكرية وقد حانت لحظات الارتياح عندما طلب من دائرة الابحاث ان تقترح بسرعة اهدافا سورية لمهاجمتها من قبل سلاح الجو الاسرائيلي ردا على نيران المدافع السورية، فخلال ثوان معدودة كان رجال دائرة الابحاث قادرين على ذكر اسماء الاهداف وخلال عدة دقائق كانت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي تقوم بقصف هذه الاهداف.

لقد استمرت الحوادث في الشمال تقريبا حتى حرب الايام الستة، وتوقفت اعمال التحويل السورية لمياه نهر الاردن في عام ١٩٦٦ في اعقاب الهجوم الذي قام به سلاح الجو الاسرائيلي على المعدات الهندسية الثقيلة التي حشدها السوريون بالقرب من «عين السفيرة».

نشاطات تخريبية مناوئة

ان تعرف الاستخبارات العسكرية على النشاطات السورية في هضبة الجولان، كان اسرع واقل تعقيداً من معالجتها الاولى لظاهرة النشاطات التخريبية المناوئة التي بدأت في ليلة ٢ ـ ٣ كانون ثان ١٩٦٥ بوضع لغم في قناة الناقل القطري في وادي بيت نطوفه.

هذه العملية التي مثلت بداية النشاطات العسكرية للمنظمات، وعمليات اخرى لهذه المنظمات حتى حرب الايام الستة لم تعتبر في بدايتها من قبل الاستخبارات الاسرائيلية كظاهرة جديدة في اطار النزاع الاسرائيلي ـ العربي، وكان هناك ميل لاعتبار هذه الظاهرة كتكرار لنشاطات «الفدائيين» في اواسط الخمسينات قد ادى هذا التصرف الى عدم جعل الاستخبارات العسكرية تخصص طاقة بشرية خاصة لدراسة وتتبع ظاهرة تسلل مجموعات التخريب واعمال التخريب داخل الاراضي الاسرائيلية، وقد تمت معالجة هذا الموضوع في اطار قسم النشاطات الذي كان مسؤولا عن مواضيع الامن الدارج، وكذلك المسؤولون في القسم الفني التابع لدائرة الابحاث استهانوا بمستوى المنظمات التخريبية التكنولوجي، وزعموا بأن هذا المستوى لا يمكن ان يتعادل مع المستوى التكنولوجي (في مجال اعمال التخريب وزرع الالغام) الذي اظهره الفدائيون في سني الخمسينات.

ولكن الصورة بدأت تتضح تدريجيا، فقد تجمعت في قسم النشاطات منشورات وكتب كاملة حول اقوال ونظريات ماوتسي تونغ وتشيغيفارا المترجمة للغة العربية عثر عليها في حوزة المجموعة التي قتلت او القي القبض عليها، وكذلك مواد التخريب التي حملها افراد المجموعات كانت من انواع غير معروفة، وسرعان ما اضطر رجال قسم النشاطات الى الاعتراف بحقيقة انهم يواجهون ظاهرة جديدة، كما تأكد هذا الافتراض خلال التحقيق مع المخربين الاسرى.

فقد تحدث هؤلاء عن تشكيل وحدة تحت اشراف الحكومة السورية وعن عقيدة فلسطينية توزع في مخيمات اللاجئين، وكذلك قسم العمليات في شعبة

الاركـان ارادت التعمق في معـرفـة هذه الظاهـرة وفي نهاية الامر تقرر اقامة قسم خاص في اطار دائـرة الابحـاث لتعـالـج هذا المـوضوع، وقد اطلق على هذا القسم اسم نشاطات تخريبية مناوئة.

وقـد ساهم رئيس شعبـة الاستخبارات سابقا يهود شفاط هاركابي في فهم الظاهـرة الجـديدة عندما تطوع لترجمة كتب ومواد عقائدية اخرى عثر عليها بحوزة «المخربين» للغة العبرية، وقد اصر هاركابي الذي قام بهذا العمل كجزء من ابحاثه الاكـاديميـة في موضـوع النـزاع الاسرائيـلي ـ العربي على ان المقصود هنا ليس فدائيي الخمسينات.

منـذ كانـون ثان ١٩٦٥ وحتى حرب الايام الستة نفذ «المخربون»١٢٢عملا تخـريبيـا ومحـاولة تخـريب في اسرائيـل وقـد اسفرت هذه الحوادث عن مقتل ١٤ اسرائيليا وجرح ٦٢، وعمل المخربون على الغالب ضمن مجموعات مكونة من ٣ـ٤ افراد، وكانت عمليات التسلل العميقة جدا تنفـذ على بعد ١٠ـ١٢ كم من الحدود.

وقـد فشـل قسم كبير من هذه العمليات وتهرب«المخربون»عمدا من التماس مع قوات الجيش الاسرائيـلي وجميـع الاهداف التي اختاروها كانت مدنية تقريبا، كما ان الاضرار التي احدثوها كانت طفيفة.

ولكن على الرغم من فشلهم العملي، فقد نجح «المخربون» في خلق حالات من التـوتـر على الحـدود وارغموا الجيش الاسرائيلي على الرد بعمليات انتقامية، وكان ابرز هذه العمليات عملية «السموع» التي نفذت في ٥ تشرين ثان عام ١٩٦٦.

بعد حرب الايام الستة لم يكن هناك ادنى شك بأنه يجب على الاستخبارات العسكـريـة ان تستعـد لمجابهة مشكلة جديدة اخذة بالتصاعد وان تخصص لذلك طاقات ضخمة، ونشطت مجموعات جمع المعلومات وحصلت على معلومات كثيرة من عمليـات تحقيق مختلفة مع الاسرى، وطرأ تعاون وطيد بين الاستخبارات وخدمات الامن العـامـة افشـل قيـام خلايـا داخـل المنـاطق، وفي مرحلة متـأخـرة ظاهرة اتسـاع «النشـاطات التخريبية المناوئة» حيث شملت عمليات تخريب عميقة داخل الاراضي الاسرائيلية وعمليات تخريب خارج «البلاد».

الاستخبارات في حرب الايام الستة

الابحاث: اخطاء وحسنات

لقد كان دخول القوات المصرية الى سيناء في ١٥ ايار ١٩٦٧ مفاجأة كبرى لشعبة الاستخبارات العسكرية مثلما كان مفاجأة لقادة «الدولة» ورؤساء وزارة الدفاع وعلى الرغم من ان ذكرى عملية روتم في شباط ١٩٦٠ التي ادخل فيها الرئيس المصري جمال عبدالناصر قواته الى سيناء لردع اسرائيل عن مهاجمة سوريا لم تمح بعد من ذاكرة الكثيرين فانه لم يأخذ بالحسبان ان احتمال تصعيد اخر وخطير للتوتر العسكري بين سوريا واسرائيل (مثلما حدث خلال عامي ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧) قد يدفع الرئيس المصري الى القيام بعملية مشابهة.

ويعتقد بأن بعض جذور هذا الخطأ تكمن في الاعتقاد الذي تبلور في شعبة الاستخبارات العسكرية في اواسط الستينات، والقائل بأنه حتى نهاية عام ١٩٧٠ لن تكون مصر مستعدة لخوض حرب مع اسرائيل وخاصة بسبب تورط الجيش المصري في الحرب اليمنية.

في تشرين اول ١٩٦٤ اجرت دائرة الابحاث تقييمها الاستخباري نصف السنوي والذي قيل فيه انه حتى عام ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ لن يحدث هجوم عربي مباشر على اسرائيل وعلى الرغم من انه في هذا البحث او غيره ذكرت امكانية قيام مصر بنجدة سوريا او امكانية تدهور الوضع (نتيجة لنشاطات تخريبية او تصعيد اخر) الى حد اندلاع الحرب فان هذه الامكانية وضعت في مكان متدن من سلم المعقوليات.

ان الاعتقاد بعدم المعقولية في قيام مصر بمساعدة سوريا، ساد ايضا خلال عام ١٩٦٥ واما في العام الذي سبق حرب الايام الستة فان دائرة الابحاث لم تضع تقريرها الاستخباري السنوي بسبب ظروف ما.

عندما بدأت القوات المصرية بدخول سيناء وبعد ان خرج زعماء «الدولة» من تأثير المفاجأة الاولى سادت قيادة الجيش الاسرائيلي ميول نحو تفسير هذا الاجراء المصري على انه تكرار دقيق لعملية روتم.

طليك / حرك العجلات فوراً

بعد ان سمع رئيس الاركان الجنرل اسحق رابين (الذي خدم في عام ١٩٦٠ ـ اثناء عملية روتم رئيسا لشعبة الاركان في رئاسة الاركان) من رئيس شعبة الاستخبارات العميد اهارون يريف عن تحرك القوات المصرية الى سيناء استدعي يوم ١٩٦٧/٥/١٥ على عجل العميد يسرائيل طال (طليك) الذي كان قائدا لتشكيلة الدورع النظامية، ودار ـ بين الاثنين الحوار التالي:

رابين: هل تذكر روتم؟؟

طليك: اذكر.

رابين: اذن هناك تكرار لعملية روتم، طليك حرك العجلات فورا.

وبالفعل فخلال بضع ساعات على انتهاء هذا الحوار بدأت الدبابات تحركها جنوبا.

لعدة اسباب كان يوجد هناك شبه كبير بين دخول القوات المصرية سيناء عام ١٩٦٠ وبين دخولها في عام ١٩٦٧، اولا بسبب شعور المصريين بأنه يتوجب عليهم التظاهر بالقيام بمساعدة دولة شقيقة (سوريا) عندما تتعرض لضغط من جانب اسرائيل وثانيا بسبب ما يتعلق بالمعلومات الكاذبة التي بعث بها الاتحاد السوفياتي لمصر، ففي عام ١٩٦٧ كما هي الحال في عام ١٩٦٠ كان السوفيات هم الذين زودوا الرئيس المصري بمعلومات كاذبة عن نوايا اسرائيل بالقيام بهجوم واسع على سوريا.

ولكن يبدو ان التقييم الذي وضعته دائرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية لم يلفت انتباه قادة «الدولة» الى الاختلاف الاساس بين التطورين، ففي عام ١٩٦٠ دخل الجيش المصري سيناء سرا من خلال الصمت اللاسلكي (من خلال الاحتفاظ بامكانية الخروج بشرف من هذه الورطة) واما في ١٥ ايار ١٩٦٧ بدأ الجيش المصري بعبور القناة على اصوات الهتاف بالنصر واهازيج الجماهير في القاهرة، ولم يؤخذ بعين الاعتبار اثر هذا العنصر المعنوي واختلافه عما حدث في عام ١٩٦٠ وانه قد يجر عبدالناصر الى اتخاذ قرارات اخرى اكثر مصيرية من تلك التي اتخذها عام ١٩٦٠، ورغم ذلك فقد مالت شعبة الاستخبارات الى تأييد

الاعتقـاد الذي تبلور في مرحلة دخول القوات المصرية الى سيناء والقائل بأنه مثلما حدث في عام ١٩٦٠ فان المصريـين سيسحبـون قواتهم الى غرب القنـاة بعد مرور بعض الوقت.

في ١٦ ايار كان الهدوء النسبي ما زال يسود شعبة الاستخبارات العسكرية وسبب ذلك هو ان الفـرقـة المـدرعـة الرابعـة التي كانت دائرة الابحاث تعلق على تحـركـاتهـا اهميـة قصـوى عندما تريد تقييم النوايا المصرية، لم تتحرك بعد من مواقعها على الجانب الغربي للقناة.

فخـلال الاجتمـاع الذي عقـد في مقر رئاسة الاركان باشتراك رئيس شعبة الاستخبـارات ساد الاعتقـاد انـه لا توجـد لمصر في هذه المرحلة نوايا حربية واما رئيس شعبـة الاستخبارات الذي كان يؤيد هذا الاعتقاد فقد اشار الى عدة دلائل مثيرة للقلق مثل نقل عدد من القاذفات الخفيفة من نوع اليوشن ٢٨ الى بير تماره.

لقـد ابـرزت عملية دعوة الاحتياط المحدودة التي اجراها الجيش الاسرائيلي في ١٦ ايـار الرغبـة في تمكين عبدالناصر من التراجع اذا اراد مثلما فعل في شباط ١٩٦٠ وبناء على تقارير الاستخبارات اقتنعت حكومة اسرائيل ان الرئيس المصري يتجـه نحـو عمليـة استعراضية فقط، وانه لا يريد خوض حرب وكذلك فان مطالبة مصر العلنيـة بسحب قوات الطوارىء الدولية من الحدود وحشدها في قواعد داخل قطاع غزة فسرت من قبـل الاستخبـارات العسكرية بانها مطالبة غير جادة، وكانت الاستخبارات تعتقد بأن الرئيس يريد النزول عن الشجرة العالية التي تسلقها مع دخول القوات الى سيناء وتمكين الامم المتحدة من العمل مباشرة لاطفاء الفتيل المشتعل.

فرغم طلب مصر الرسمي اخـلاء القـوات الدوليـة حاول المندوب المصري في الامم المتحدة اقنـاع السكرتير العام للامم المتحدة «اوثانت» بأن لا يأمر باخلاء القـوات من شرم الشيـخ وفي ذلك الوقت لم يعتقد اي شخص بأن السكرتير العام للامم المتحـدة سيتصرف خلافـا لتـوقعـات عبـدالناصر ويفاجئه باستجابة سريعة للطلب المصري لسحب قوات الطوارىء الدولية بشكل كامل وبذلك تسبب في تحول دراماتيكي في احداث الايام التي تلت ذلك.

وحتى خلال الاجتمـاع الذي عقـد في رئـاسـة الاركان في اليوم التالي (١٧

ايـار) لم يتغير اعتقاد دائرة الابحاث القائل بأن مصر تريد ردع اسرائيل عن النية (المنسوبة اليهـا) وهي مهـاجمـة سوريا، والتأثير على الدول العظمى للضغط على اسرائيل ومنعها من شن هجوم في الشمال، وقال رئيس شعبة الاستخبارات العميد اهـارون يريف: ان المصريـين سيـدعـون بانهم ملتـزمـون بقـولهم وبـاتفاقهم مع السـوريين وانهم يهبون لنجدتهم عند الضرورة، وهكذا يؤكد المصريون زعامة مصر في العالم العربي.

لقـد بنى رئيس شعبـة الاستخبارات اعتقاده هذا بصورة كبيرة على طبيعة توزيـع القـوات العسكـريـة في سيناء في ذلك الوقت، واشار رجال الابحاث الى ان مرابـطة الفـرقـة الثـانيـة في خط العـريش ـ القسيمة، ما زالت في المرحلة مرابطة دفاعية فقط.

ولكن في مساء يوم ١٧ ايار وبعد وصول جواب اوثانت مالت دائرة الابحاث الى تغيـير اعتقـادهـا الاسـاس فقـالت: اذا انسحبت قوات الطوارىء الدولية من المنطقة فانه قد يطرأ وضع جديد يعطي النوايا المصرية طابعا هجوميا وليس دفاعيا فقط.

طـرد الامم المتـحدة ـ مفاجـأة

في ١٨ ايـار اتضـح بأن المصريـين قد خلعـوا القفـازات فقـد طلب وزيـر الخارجية المصري محمود رياض اخلاء القوات الدولية بشكل كامل ونهائي.

واعتقدت الاستخبارات بأن المصريين لم يقصدوا هذا التطور السريع ولكن جواب السكرتير العام للامم المتحدة «اوثانت» الزمهم بالمطالبة بسحب جميع قوات الطوارىء خوفا من ان يتهم العالم العربي مصر بالخوف من اسرائيل ومن الجيش الاسرائيلي.

وفي غداة اليـوم التـالي في ١٩ ايـار عقـد اجتمـاع اخر في رئاسة الاركان، واوضـح رئيس شعبـة الاستخبـارات بأنـه مما لا شك فيه ان الاجراءات المصرية الاخـيرة تشكـل تغيـيرا متطرفا جدا على الخط الذي انتهجه المصريون حتى الان، ولكن بمـا انـه لم يطرأ بعـد تعاون عسكري عربي فانه من الصعب الاعتقاد بأن المصريـين قد تراجعوا عن اعتقادهم الاساس بأن الوقت غير ملائم بعد لشن حرب

على اسرائيـل ومـع هذا اضـاف يريف قائلا: ان الخطوات الاخيرة تشير الى وجود استعـداد مصري للذهـاب الى ما هو ابعد من ذلك ونحو مجابهة وربما تبنّي هذه المجـابهـة. ولاول مرة اثـار رئيس الاستخبـارات العسكـريـة احتمالا قال فيه ان التحـول الذي طرأ على تصرف المصريين قد طرأ ليس فقط بسبب القلق على مصير سوريـا، وانما بسبب مخاوف مصرية من ان اسرائيل تخطط لضرب مصر، (بعد ان تضرب سوريا) في الوقت الذي يكون فيه جزء من الجيش المصري مشغولاً بالحرب اليمنية.

ان سحب القوات الدولية، رغم ان الاستخبارات العسكرية لم تتنبأ به سلفا هو الذي احـدث التحـول الاول في تقـديـرات دائرة الابحاث بالنسبة للامكانيات المفتـوحة امام مصر، لقد اعتقدت دائرة الابحاث وتأكدت صحة هذا الاعتقاد فيما بعد، بأن سحب القوة سيكون بمثابة سحب (صمام الامن) وخلق وضع جديد قد يفقد فيه المصريون بسرعة السيطرة على زمام الامور.

في ١٩ ايـار اصبـح عدد القـوات المصريـة في سينـاء اكثـر من ثلاث فرق عسكـريـة واعتقـد رئيس شعبـة الاستخبـارات بأن التعـزيزات المصرية في سيناء ستستمر، وبعد اكمالها ستواجه مصر اربعة احتمالات:

أ . عدم اتخـاذ ايـة مبـادرة اخرى، والاستفادة من ثمار النصر، وستعلن مصر انها ردعت اسرائيل عن نواياها العدوانية واكدت زعامتها في العالم العربي.

ب . المبـادرة الى تحرش لجر اسرائيل الى ردة فعل، على فرض ان الرد الاسرائيلي سيفشل وتحقق مصر مكسبا استراتيجيا كبيراً.

ج . هجـوم مصري مخـطط بدون اعمال تحرش مسبقة من خلال استغلال عامل المفاجأة واعتقدت شعبة الاستخبارات انه اذا اختارت مصر هذا الطريق فان اهدافهم ستكون المطارات العسكرية واهدافاً حيوية اخرى في اسرائيل.

د . حرب استنـزاف طويلة، من مراكـز ثابتة هدفها ارغام اسرائيل على الاحتفاظ بقوات الاحتياط فترة طويلة، من خلال الانتظار لفترة مناسبة للهجوم.

واعتقدت شعبة الاستخبارات بأنه في كل واحد من هذه الاحتمالات الأربعة يجب توقع عمل سوري مشابه كما انه من المحتمل ان تقوم سوريا بعملية مخططة ضد اهداف محددة.

يوم السبت ٢٠ ايـار احتل المصريون شرم الشيخ وفي مرحلة متأخرة كشفت

الاستخبارات العسكرية ان الثلاثة الوية مشاة المصرية اعيدت من اليمن وقالت ان المصريــين ينــوون على ما يبـدو ارسالها الى سيناء، اما الفرقة المدرعة الرابعة فلم تصل بعد الى سيناء.

واستخلص رجال الجهاز العسكري في دائرة الابحاث من التحركات المصرية نحـو سيناء التي جرت بصورة متسرعة وفوضوية، ان عبدالناصر اراد منذ البداية القيـام بعمـل محدود، لكنه انجر وراء الاحداث وانجر بسبب ضغط داخلي وعربي الى اتخـاذ قرارات لم يقصـدهـا من قبـل، وبفضـل تعـرفهم عن كثب على انظمة الجيش المصري، قال رجـال الابحـاث انــه عنـدما ينفذ المصريون عملية عسكرية مخططة سلفا فانهم يحركون قواتهم بنظام ودقة.

في ٢١ ايـار اعلنت دعوة الاحتياط العامة في الجيش المصري، ووصل رئيس الاركـان الاردني الى القـاهـرة، وفي ذلك اليـوم حاولت الاستخبـارات العسكـريـة التعرف على شخصية عبدالناصر:

شعورة: فقدان السيطرة على الوضـع.

ضائقته: انه يعتقد بأنه لا يملك القدرة الهجومية الكافية من جهة ومن جهة اخـرى انــه مقتنع بأنه نتيجة لتسلسل الاحداث فانه من المحتمل ان لا يستطيع السيطرة على الاحداث.

مشكلة: كيف يستعد للحرب غير المستبعدة، وانقاذ مصر.

في ٢٢ ايـار في الساعة السابعة صباحاً عقد اجتماع اخر في رئاسة الاركان باشتراك رئيس شعبة الاستخبارات، وفي هذا الاجتماع قال العميد يريف، ان بناء القوة المصرية في مشارف سيناء سينتهي غدا، وان القوات ستكمل انتشارها هناك، واطلع رئيس الاستخبـارات المجتمعين على نوايا مصر لتعزيز كتيبتهم التي ارسلت قبـل ذلك بيومين عن طريق الجو الى شرم الشيخ، وارسال اسراب جوية وقوة بحرية ومدفعية الى قاعدة «غردقة» على ساحل البحر الاحمر، وقد بحث الاجتماع امكانية قيـام المصريين باغلاق مضائق تيران في اعقاب اكمال انتشارهم في مشارف سيناء ولكن هذه الامكـانيـة غير مؤكدة، وفي ذلك اليوم تلقى رئيس الحكومة لفي اشكول تقـريراً استخباريا يفيد بأنه على ضوء النجاحات التي حققها المصريون حتى الان في اجـراءاتهم وعلى ضوء الزيارة القريبة لاوثانت في القاهرة فانه من غير المتوقع في هذه المرحلة ان تتم من جانبهم عملية استعراضية اخرى مثل اغلاق المضائق وفي

نفس ليلة ذلك اليوم اعلن عبدالناصر اغلاق مضائق تيران امام السفن الاسرائيلية.

الهجـــوم الـذي لـم ينفـذ

اذا كان سحـب القــوات الدوليــة من سيـنــاء قد ادى الى زيــادة خطورة الاعتقـادات الاستخبـاريـة بالنسبـة للنـوايـا المصرية فان القرار المصري باغلاق مضــائق تيران (عــلى الرغم من انــه جاء هو ايضــا كمفــاجــأة للاستخبــارات الاسرائيليـة) قد ازال كافـة الشكوك من قلب رئيس الاستخبارات العميد اهارون يريف، فدفعة واحدة اصبحت الصورة الاستخبارية واضحة وجلية، جلاء الاخطار التي تواجههــا «الدولة» فظهــور رئيس الاستخبــارات في خنــدق قيــادة الجيش الاسرائيــلي بحضــور رئيس الحكـومة لفي اشكول في الثالث والعشرين من ايار في الســاعــة الثـامنة والدقيقة العاشرة صباحا، بعد اغلاق المضائق كان ظهورا مؤثراً وحاسما جدا كما يذكر زملاؤه.

ففي هذا الاجتمـاع قال يريف: لقـد انتهت فتـرة ما بعد عملية قادش، ولم يعـد الحـديث مقصـورا فقـط على حريـة الملاحة، فاذا لم ترد اسرائيل على اغلاق المضــائق فانــه لن تبقى هنــاك هيبة لها او لقدرة الردع للجيش الاسرائيلي، اذ ان الدول ـ العربية ستفسر ضعف اسرائيل على انه فرصة مواتية للتصدي.

وقـد مثلت اقــوال يريف في ذلك الصباح شعور جميع الحاضرين في الخندق (غـرفـة العمليـات) ولاقت اصـداءهــا في ذلك المســاء خلال حديث رئيس الاركان اسحق رابـين في جلســة الحكـومة حيث قال: لقد هدد عبدالناصر مكانة اسرائيل، وفي مرحلة متأخرة سيهدد جيشها ووجوده.

بعـد ذلك بيــومين مثل رئيس شعبة الاستخبارات امام رئيس الحكومة، ومن خلال ادراك اهــارون يريف للمسؤولية الضخمة التي ألقيت على عاتقه بحكم كونه ضابـط استخبـارات «الدولة»، وتـأكـده من صدق تقديراته قال يريف: ان الوضع يتدهور باستمرار وتتبلور لدى الرئيس المصري فكرة شن هجوم على اسرائيل.

ان انتشــار العـدو يبـرهن على ان عنصر الزمن هو الحــاسم، اننا سنواجه مجــابهة ليس مع مصر فحسب وانما مع بقية الدول العربية، وكلما مر الزمن كلما

ازداد التعاون العربي وتوطد الحلف العسكري العربي وزالت كل المكاسب التي حققناها في عملية قادش.

لقد اعتمدت تقديرات رئيس الاستخبارات بالنسبة لخطورة الوضع ليس فقط على تقييم مغزى اغلاق المضائق وانما ايضا على معلومات حول ظهور الفرقة المدرعة الرابعة في الميدان، التي بدأت تحركها الى داخل سيناء قبل ذلك بيوم واحد أي في ٢٤ ايار.

على الرغم من ان الناحية الاساسية ابرزت تقارير الاستخبارات بصورة صحيحة خطورة الوضع في اعقاب اغلاق المضائق فإن دائرة الابحاث قد أخطأت مرة اخرى في الخامس والعشرين من الشهر عندما اعتقدت بأن الهجوم المصري متوقع في غداة ذلك اليوم.

وقد بني هذا الاعتقاد كما يبدو على تفسير خاطىء لعدة انباء وصلت الى الاستخبارات، فقد ساد الاعتقاد بأنه وصلت الى مصر (بواسطة الاستخبارات السوفياتية) معلومات حول خطة الجيش الاسرائيلي لمهاجمة مطاراتها العسكرية وتدمير طائراتهم وهي جاثمة على مدارجها ولهذا السبب قرروا احباط هذه الخطة عن طريق القيام بهجوم على اسرائيل في ٢٦ أيار لكن الهجوم لم ينفذ غير انه لم يكن بذلك ما يغير التقديرات الاساسية للاستخبارات الاسرائيلية والقائلة بأن انتظارا آخر من جانب اسرائيل لن يؤدي الا الى زيادة الاخطار العسكرية.

خلال اجتماع مع العمداء في الجيش الاسرائيلي في ٢٨ ايار اعترف رئيس شعبة الاستخبارات بصراحة بأن المحاولات المتتالية التي قامت بها الاستخبارات في الاسبوعين الاخيرين منذ ١٥ أيار للتحري وراء نوايا عبدالناصر، لم تسفر عن شيء وشرح يريف ان الرئيس المصري يغير نواياه بصورة سريعة وانه من الصعب بلورة نتيجة نهائية كيف ومتى سيعمل؟ واكد يريف ان عبدالناصر لم يعد ذلك الرجل الحذر الذي يريد الامتناع عن التورط مثلما عرفناه في السابق، فهو الآن مستعد للمخاطرة في حرب بل وان يكون البادىء بها.

لقد نشر شلوموغزيت رئيس دائرة الابحاث التابعة للاستخبارات العسكرية خلال حرب الايام الستة بعد الحرب بعدة سنوات مقالا تحدث فيه عن المصاعب الجمة التي واجهت دائرته عندما جاءت لتقدير تطورات «التصعيد غير الحذر» الذي حدث في النصف الثاني من أيار ١٩٦٧، واشار جزيت الى سلسلة من

التطورات في تلك الفترة ومنها تطورات ذات مغزى مصيري واكد انه لم يكن بالامكان جمع معلومات مسبقة عن هذه التطورات او ردود الفعل عليها، فعلى سبيل المثال هذا ما حدث بالنسبة للقرار المتسرع الذي اتخذه السكرتير العام للامم المتحدة اوثانت بخصوص الاستجابة لطلب مصر بسحب القوات الدولية من سيناء والذي نجم عنه ردة فعل غير متوقعة من جانب الرئيس المصري جمال عبدالناصر.

ان الخطأ الذي ارتكبته دائرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية في قراءتها المسبقة الصحيحة للنوايا المصرية لم يمس بالدور الحاسم الذي لعبته الاستخبارات في مجال احراز النصر في الحرب، فالمعلومات التي تجمعت قبل اندلاع الحرب بسنوات طويلة والتتبع المستمر لتحركات الجيش المصري منذ الرابع عشر من ايار مكنت دائرة الابحاث من انتاج استخبارات عسكرية دقيقة وصحيحة، وهذه الاستخبارات اصبحت اساسا متينا لتقييمات الوضع من قبل القيادة العسكرية الاسرائيلية والخطط العملية لرئاسة الاركان الاسرائيلية.

وبالفعل فعندما اندلعت الحرب لم تحدث اية حادثة اصطدمت بها قوات الجيش الاسرائيلي بقوات معادية دون ان يكون لديها معلومات مسبقة عنها على مستوى رئاسة الاركان، وكانت هذه المعلومات تمرر بانتظام الى القيادات رغم انها لم تصل دائما في وقتها المحدد الى القوات في المنطقة، بسبب وقوع خلل بطرق تزويد المعلومات.

جهاز جمع المعلومات في الحرب وقبلها

ان الاستخبارات العسكرية ما كانت لتحقق ما حققته في حرب الايام الستة لولا الجهود الكبيرة التي بذلت طيلة سنوات عديدة في مجال تطوير وتعميق وتحديث جهاز جمع المعلومات، فعملية روتم في مطلع سني الستينات التي فاجأ بها الرئيس المصري جمال عبدالناصر اسرائيل بادخاله قواته الى سيناء والاحداث على الحدود الشمالية والنشاطات التخريبية في اواسط الستينات كل هذه الامور خلقت دافعا للتفكير وتطوير طرق ووسائل للتحري المنتظم وراء تطور قوات العدو.

وهذه التحريات تطلبت ليس فقط عملية مشتركة ومنسقة بين جميع وكالات

جمـع المعلومـات وانمـا ادخـال تكنـولوجيـات جديدة وحديثة للعمل الاستخباري للتغلب على جهود الطرف الآخر لاخفاء نواياه وما يجري في اراضيه.

ان رئيس شعبـة الاستخبـارات في هذه الفتـرة يعتـرف بمسـاهمة العنصر الانسـاني في جهـاز جمـع المعلومـات في الفترة التي سبقت حرب حزيران ١٩٦٧ فعمـلاء الاستخبـارات العسكرية احضروا ليس فقط معلومات ممتازة، وانما ايضا صورا ذات نوعيـة جيـدة لمحطات رادار مصريـة في سينـاء ومعسكـرات للجيش وتحصنـات ومنشـآت مختلفـة ومـطارات، فالمعلومات التي وفرها الاشخاص مكنت الاستخبـارات العسكـريـة في سلاح الجـو من أن تحـدد بصـورة أكيدة ومحددة الاهداف في سيناء (الابنية، والتحصينات، والمنشآت) غير المأهولة والتي قصد بها تضليل سلاح الجو الاسرائيلي وما هي الاهداف الحقيقية المأهولة.

فصـور لواء الدروع المصري الاول الذي دخـل سينـاء قبـل حرب الايـام الستة بوقت طويل وصلت الى الاستخبارات العسكرية عن طريق أحد العملاء، كما أحضر عميل آخر عشية الحرب انذارا مبكرا عن تحرك قوات الدروع الاردنية.

الحديث الذي التقط

ان أهميـة «الفرد» في جمع المعلومات عن قوات العدو في سيناء خلال الفترة التي سبقت حرب الايـام الستـة، ارتفعت في اعقاب الحساسية الكبيرة التي كانت في ذلك الوقت بالنسبـة لطلعـات التصـويـر التي تقـوم بهـا طائـرات سلاح الجو الاسرائيلي فوق الاراضي المصرية.

ان حقيقة امتلاك الاستخبارات العسكرية طوال سني الستينات القليل فقط من الصـور الجـويـة الدقيقة لشبه جزيرة سيناء وخاصة مناطقها الغربية لم تكن عرضـة للنسيـان أو الاهمـال، وانمـا كانت نتيجـة لعـدة أسباب منها: الرغبة في الامتنـاع عن الاشتبـاك مع الطائـرات المقـاتلة المصرية، التي وضعت في المطارات الامـاميـة والمخـاوف من الاكتشاف من قبل جهاز الانذار الامامي، والاعتقاد بأن خطر الحـرب قد زال، ومـع هذا كانت تنفـذ بين الحين والآخر طلعات فوق اعماق سينـاء والصـور التي التقـطت كانت تشكـل مسـاعدة ذات اهمية بالغة لعمليات التحـري وراء حجم بناء المطارات المصرية مثل (المطار الجديد في بير تماره) ووراء

توسيع المطارات القائمة والاساس الارضي (الطرق) وشبكة التحصينات، فعلى سبيل المثال ادت الصور التي التقطت عام ١٩٦٦ الى نتيجة وهي ان مصر قد اهملت فكرة بناء الخطوط الخلفية وهي الحقيقة التي اخذت بالحسبان اثناء وضع الخطط العملية للجيش الاسرائيلي.

ولكن قبيل اندلاع الحرب في ٥ حزيران سمح لسلاح الجو بالقيام بطلعات تصوير يومية فوق قوات العدو في سيناء للحصول على صور دقيقة، وزودت عملية حل الصور التي استمرت ليلا نهارا بصورة دقيقة عن حشود القوات المصرية في سيناء وصورة انتشارها، وعندما اصر احد محللي الصور قبل يومين او ثلاثة ايام على صدور امر «بساط احمر» الذي اعلن بداية حرب الايام الستة، على انه يلاحظ في اخر الصورة الغامضة لمشارف رفح قوات مصرية ارسلت في الحال طائرة لاجراء عملية تصوير اخرى اكدت وكشفت قوات المدفعية التابعة لفرقة المشاة المصرية السابعة.

ومما لا شك فيه ان احد الادوار الهامة التي حققت النصر قد لعبه قسم الترصد فهذا الجهاز تطور بسرعة منذ حملة قادش وبلغ مستوى ممتازاً عشية حرب الايام الستة بعد ان اصبح يستخدم اكثر فأكثر تكنولوجيا حديثة لم تعرف في السابق، لقد كشف جهاز الرصد في حرب الايام الستة ما اسماه تسجيل مكالمة جرت بين زعيمين عربيين في اليوم التالي للحرب فقد جرى الحديث عبر جهاز الراديو ـ تلفون، والتقط في السادس من حزيران ١٩٦٧ فجرا من قبل فني الرصد الاسرائيلي.

وكان هدفها التنسيق حول اصدار بيان حول اشتراك الولايات المتحدة وانجلترا في الحرب الى جانب اسرائيل.

وقد عارض رئيس شعبة الاستخبارات انذاك العميد اهارون يريف نشر هذه المكالمة وكشف التقاطها من جانب الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية لكيلا يتم اكتشاف بعض طرق عمل الاستخبارات على الرغم من ان الخبراء اعتقدوا بأن الاضرار الامنية لن تكون كبيرة، وهو ما زال يعتقد حتى اليوم بأنه اخطأ عندما استسلم في هذا الامر للضغط من جانب المستويات السياسية وعلى اية حال فقد طلب في ذلك الوقت من ايلي زعيرا الذي كان يشغل انذاك منصبا كبيرا في شعبة

الاستخبارات العسكرية (كأحد مساعدي يريف) ان يبرهن بأن الصوت المذاع حقيقي، ومن اجل ذلك اقترح استخدام جهاز خاص لتشخيص الاصوات (VoicePrint) ليستخدم عادة في مختبرات التشخيص الجنائي في الشرطة.

جهـــاز التضليـــل

خلال نشاطات مكثفة استمرت سنوات ملأ العملاء ورجال الرصد واستخبارات التصوير، ملفات الاستخبارات العسكرية بالمعطيات الدقيقة والمفصلة جدا عن العدو في الجبهات المختلفة، وكان طيارو سلاح الجو الاسرائيلي الذين انطلقوا لمهاجمة المطارات المصرية في الخامس من حزيران ١٩٦٧ مزودين بقوائم تشمل اهدافا خاصة ظهرت عليها بوضوح علامات الاهداف ومدارج المطارات واماكن وقوف الطائرات والمنشآت الحقيقية التي يجب نسفها والمنشآت التضليلية التي يجب اهمالها، ويجب نسب جزء كبير من نجاح الاستخبارات في حرب الايام الستة الى جهاز التضليل الذي استخدمته شعبة الاستخبارات قبيل الحرب مباشرة، وقد عمل هذا الجهاز على صعيدين: استراتيجي وتكتيكي عملي.

في المجال الاستراتيجي تركزت عمليات التضليل التي استمرت فترة طويلة نسبيا على تضليل العدو بالنسبة لحجم القوات العسكرية الاسرائيلية وخاصة بالنسبة لحجم قواتها المدرعة، وقد ادى نجاح هذا التضليل الى جعل المصريين يعتقدون في بداية حرب حزيران ١٩٦٧ بأن الجيش الاسرائيلي سيضع امامهم عددا من الدبابات اقل من العدد الحقيقي وهو ٦٠٠ دبابة.

أما في المجال التكتيكي العملي، فقد استخدم قبيل اندلاع الحرب مباشرة مخطط تضليل كان يهدف الى دفع القيادة المصرية الى اعادة تنظيم قواتها في سيناء بشكل يتناسب مع خطة الهجوم الاسرائيلية، وهذه العملية الذكية التي نفذت بشكل مشترك بين الاستخبارات العسكرية واحدى الوحدات الهندسية اشتملت على استخدام وحدة تضليل لخلق انطباع بأن الجهد العسكري الاستخباري الاسرائيلي سيتركز ثانية على المحور الجنوبي.

وقد ابتلع المصريون هذا الطعم وغيروا انتشار قواتهم وحركوا قوات عسكرية ممتازة الى الواجهة الجنوبية بما فيها قوات «مجموعة الدروع» التي يقودها سعد

الدين الشـاذلي (الذي اصبح فيما بعد رئيسا لاركان الجيش المصري في حرب يوم الغفران) وفي اعقاب عملية التضليل بدأ المصريون يعززون المحور الجنوبي ابتداء من قلعة النخل وحتى كونتيلا، وكذلك المنطقة الواقعة بين كونتيلا والقسيمة.

خلال الايـام الخمسـة التي سبقت الحرب، نقل المصريون مجموعات دروع اخـرى الى المحور الجنوبي، ونتيجة لهذه التحركات اصبح وضع الجيش المصري خطيرا جدا حتى في بدايـة الحـرب وتعـرضت القـوات المصريـة في المـراحل الاولى للحرب الى خطر التطويق.

اذن، كان انتصـار الاستخبـارات العسكـريـة الاسرائيليـة في حرب الايـام الستـة، انتصارا مشتـركـا لجهـاز جمـع المعلومات الذي وفر عشرات الالاف من المعلومـات لدائـرة الابحـاث، وقـامت هذه الدائـرة الى جعل هذه المعلومات صورا استخبـارية واضحة ودقيقة ويوثق بها، ولكن منذ اللحظة التي صدرت فيها اشارة «بساط احمر» (سدين اروم) حان وقت الاختبار للاستخبارات المقاتلة.

الاستخبـارات المقاتلـة في الحـرب

ان تعـزيـز جهـاز جمـع المعلومـات في الاستخبارات العسكرية خلال الفترة الواقعـة بين حملة قادش وحـرب الايـام الستة، وخاصة في سني الستينات الاولى جاء بنسبـة ما على حسـاب الاستخبـارات المقاتلة، وقد تمثل هذا الامر بالوسائل الضعيفة والطاقة البشرية المقلصة التي وضعت لتطوير الجهاز المقاتل على مستوى القيـادات والمجمـوعـات غير ان جانبـا من هذا الواقع تغير فقط في العامين اللذين سبقـا الايـام الستـة، ففي تلك الفتـرة برزت جهـود لتحسين جهاز الاستخبارات المقـاتلة، في الجيش الاسرائيـلي في اعقاب الدورس التي تم استخلاصها في اعقاب حرب سينـاء عام ١٩٥٦ (حملة قادش) فقـد ارسـل الى دائـرة الاستخبـارات في القيادة الجنوبية وكذلك في القيادات الاخرى اشخاص ومعدات جديدة، كما بذلت جهود اخرى لتحسين جهاز حل الصور الجوية وزيد عدد محللي الصور.

وجرت في دوائر الاستخبارات الميدانية، تمارين مختلفة هدفها اعداد الدائرة للعمـل في ظروف القتـال، وفي مجـال التدريب على مستوى رئاسة الاركان وضعت انـظمـة خاصـة لتـطوير موضوع الاستخبارات المقاتلة، فعشية الحرب اخذ يبرز

الدور الخـاص والمميـز لجهـاز الاستخبارات المقاتلة في اعادة القوات من الناحية الاستخبـارية تزويد صور جوية حديثة وخرائط وتحليلات دقيقة للاهداف والمحاور وواجهات القتال.

هبـوط طائـرات الفايبـــر

خلافـا للقيادات المختلفة اضطرت القيادة الجنوبية في ايار ١٩٦٧ الانتقال مرة واحـدة وبسرعـة فائقـة من حالة الهـدوء التي استمرت عشر سنوات الى حالة العمـل السريـــع والمضني، (ففي القيـادة الشمـاليـة مثـلا) كانت «الالة» مزيتـه ومستعـدة بسبب الحـوادث التي خاضتهـا بالنسبـة للمياه، والمشكلة الاولى التي واجهت دائـرة الاستخبـارات في القيادة الجنوبية عندما بدأت تضع المواد اللازمة تمهيـدا للحـرب كانت ضرورة ملاءمـة نفسها بسرعة لخطط الهجوم الاسرائيلية في سيناء التي كانت تتغير باستمرار منذ ١٥ ايار.

كمـا واجهت مشكلة اخـرى وهي ضرورة اعداد مادة عن تضاريس المنطقة بكمية تكفي دوائر الاستخبارات على المستويات الاقل، أي بكمية تكفي القوات المحاربة.

والمشكلة الاخـرى كانت تتعلق بامكانية عبور المحاور تمهيدا للحرب، ويذكر رجال دوائر الاستخبارات القيادية انه في احدى المراحل طرأت في القيادة الجنوبية شكـوك فيما اذا كان محور وادي حردين ـ بيرلحفان صالحاً للعبور، وعندها تذكر ضابـط الاستخبـارات القتـالية انه في عام ١٩٥٧ اعد لنفسه مجموعة خاصة من صور الممرات الى داخل سيناء وفي ساعة متأخرة من الليل بعث بسائق سيارة الى منـزله لاحضـار الصور، وبعد ذلك قلب القيادة ظهرا على عقب الى ان وجد تقارير يعود تاريخها الى عام ١٩٥٧ اكدت ان هذا الممر صالح للحركة، فنظر قائد القيادة يشعياهوجفيش الى هذه الوثائق وصادق على قرار التحرك في هذا المحور.

مع بدايـة الحـرب وقـع معـظم العبء الاستخبـاري على كاهـل ضابـط الاستخبارات في القيادة الذي وضع مراحل لعمله:

- المـرحلة الاولى: توزيع شبكة من المراقبات القيادية وتخصيصها للقوات العاملة في الواجهات المختلفة.

ـ المـرحلة الثـانيـة: تخصيص طائـرات الاستـطلاع الخفيفـة لاغـراض العمـل الاستخبـاري للمجمـوعـات، وفي اليـوم الذي انـدلعت فيـه الحرب، في الساعة السادسة من صباح يوم الخامس من حزيران وجهت الاوامر لرجال الاستطلاع الجـوي للالتقاء بعد يومين في السابع من الشهر في جبل لبني في سيناء (اذ انه قبـل ذلك وعنـدما عمل سلاح الجو بكامل قواته في سيناء ومصر منعت طائرات الفـايبـر من الاقـلاع، وبـالفعل ففي الساعة الواحدة ظهرا من يوم ٧ حزيران هبـطت طائـرات الفـايبـر في مطار جبـل لبني ووزعت على المجمـوعـات المقاتلة لاغراض التجسس).

ـ المرحلة الثالثة: تخصيص ضباط استخبارات للاسراب الجوية.

في حرب الايـام الستـة تم لاول مرة توجيـه وارشاد الطيارين من قبل ضباط الاستخبـارات بالنسبـة للاهداف التي ينوون مهاجمتها، وفي الوقت نفسه كان الضباط على اتصال مستمر مع دائرة الاستخبارات القيادية.

فكلمـا تعمقت القـوات الاسرائيليـة في داخـل سيناء كلما ازداد حجم ووزن مصـادر جمـع المعلومات التي كانت تحت تصرف ضابط الاستخبارات القيادية وتقلصت مصـادر المعلومـات التي كانت تحت تصرف الاستخبـارات الرئيسية، فقـد انتهى (الافق الالكتـروني) وحـل محـل القـواعد الثابتة لوحدات الرصد، مجموعات رصد متحركة.

غير ان هذا العمـل الاستخبـاري لم يمر كله دون اخطاء، فقد كانت القوات المحاربة تصطدم اكثر من مرة بكمائن مصرية لم تكن تعرف عنها من قبل شيئا.

ـ المـرحلة الرابعـة: استجـواب الاسرى (والقصـد هنـا هو استجـواب الأسرى لاغـراض مواصلة الحـرب) ان تمرينا حول هذا الموضوع جرى في حرب قادش طبق عمليا في حرب الايام الستة بصورة منظمة، بعد اضافة محققي اسرى الى دوائر الاستخبارات من مستوى اللواء فما فوق.

عمليـــة كترينـــا

ان نجـاح الاستخبـارات المقـاتلة في حرب الايـام الستـة لم يعف العناصر المنـاسبـة من ضرورة استخلاص العبر من الحرب، فعندما انتهت الحرب اجتمع ضابـط الاستخبـارات على مستـوى الميدان في بيت الجنـدي في تل ابيب لاعادة تصـويـر عملهم والتـوصيـة بكل ما هو مترتب على ذلك، ومن بين هذه التوصيات: زيـادة وسـائـل جمـع المعلومات التعبـوية، تحسين اسلوب تحليل الصور الجوية، تحـديث مستمـر للمعلومـات على المستويات المختلفة، واعداد فائض من الخرائط، لتغطية كافة المتطلبات.

ان احـد الاعمـال الفـوريـة التي قامت بهـا دائرة الاستخبارات في القيادة الجنـوبية بعد الحرب كان «عملية كترينا» وهدفها مسح شبه جزيرة سيناء، فقامت طواقم من المصـورين والجغرافيين والمساحين وضباط الاستخبارات ومحللي الصور الجوية، بمسح كل منطقة في سيناء وقاموا بتصحيح الخرائط.

فقد عملوا «كالمجانين» خوفا من ان تتكرر عملية الانسحاب من سيناء عام ١٩٥٧.

لقـد كانت عمليـة كتـرينا والعمليات المشابهة التي جاءت بعدها حيوية جدا لان القيـادة الجنـوبية انهت الحرب بدون خرائط مفصلة لكل ما هو موجود خلف الخط الذي توقفت عنده القوات الاسرائيلية.

كمـا انها لم تكن تملك خرائط مطبوعة باللغة العبرية للجانب الاخر من قناة السـويس، وهنـا انتهت جميـع «ملفات المنطقة» الموجودة في القيادة وعندها اعدت بالتعـاون مع شعبـة الاستخبـارات الرئيسيـة الملفـات الثـلاثـة لمنـطقـة القناة ـ بور سعيـد والاسماعيلية، السويس، ولجميع المنطقة الواقعة خارج ملفات الحرب، وكـذلك دوائـر الاستخبـارات في القيادتين الشمالية والوسطى قامت بحملة واسعة لجمع المعلومات عن الواجهات الواقعة خلف خطوط وقف اطلاق النار الجديد.

الاستخبارات في الاستنزاف

مركز التبليغ

لقد رفعت حرب الايام الستة من هيبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الاسرائيلي وخارجه واعطت اندفاعة كبيرة لتطوير سلاح الاستخبارات، كما زيد حجم الطاقات الموضوعة تحت تصرفها من مال ومعدات وطاقة بشرية ممتازة بصورة كبيرة.

وبعد ان اثبتت قوتها في الحرب طلب من الاستخبارات العسكرية الآن اعادة تنظيمها في مجالات جمع المعلومات والابحاث، للحصول على معلومات استخبارية عن انتشار القوات العربية خلف الخطوط الجديدة وتتبع عملية الاصلاح السريعة للجيوش العربية هذه اعتمادا على المساعدات السوفياتية وحصر حجم التغلغل السوفياتي في المنطقة وتحليل طرق من العمل الممكنة المتوفرة امام الجيوش العربية بعد هزيمتها في الحرب، اذ ان الملفات عن قوات العدو في سيناء والضفة والجولان التي صنعت بجهد طوال سنوات، اصبحت عديمة الجدوى بعد الحرب وحفظت في الارشيف.

كما طلب من الاستخبارات العسكرية في نفس الوقت معالجة ظاهرة «النشاطات التخريبية المناوئة» التي تصاعدت حدتها بعد الحرب، ان الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية حرب الايام الستة وبين خريف عام ١٩٦٨ التي سادها هدوء نسبي حتى في جبهة القناة (باستثناء النشاطات التي قام بها رجال الكوماندو الفلسطينيون او البدو لاغراض زرع الالغام والقيام بأعمال التخريب وارسال المجموعات لاغراض التسلل) قلنا تلك الفترة استغلتها الاستخبارات العسكرية بقيادة العميد اهارون يريف لاعادة تنظيم سريعة تقريبا في جميع المجالات.

- في دائرة الابحاث: بالاضافة الى النشاطات الروتينية المتعلقة بتنظيم ملفات جديدة وكراسات تتعلق بالاستعدادات العسكرية في الدول العربية واجراء البحوث الاساسية حول ما يجري في هذه الدول، وتوجيه اوامر مناسبة لعناصر

جمـع المعلومـات، اكـدت الدائرة على تحسين تقييم المعلومات من خلال اضافة وظائف جديدة تتعلق بمراقبة اعمال التقييم.

هناك عملية اخرى اجريت في اطار دائرة الابحاث (وشرع بها عشية الحرب) اعـدت لتحســين طرق تدفق المـواد الاستخبـاريـة من وكـالات جمع المعلومات المختلفـة الى دائـرة الابحـاث ومنهـا الى زبـائن الاستخبـارات ولهـذا الغرض استخـدم جهـاز لارسال التقارير ونشرها والذي تم بفضله استخدام حيل خلال الحرب دون وقوع اخطاء.

تحسين مصادر المعلومات

طور القسم الفني التـابع لدائرة الابحاث عملية تحرٍ واسعة ومستمرة وراء وسائل الاسلحة والمعدات الحربية الجديدة التي ارسل بها الاتحاد السوفياتي عن طريق الجـو الى مصر منـذ اواسـط شهـر حزيران بمقابل كميات الاسلحة الكبرى الاخـرى التي نقلت اليهـا عن طريق البحر، (فبعد الحرب بوقت قصير كلف رئيس شعبــة الاستخبــارات العميـد يريف دائـرة الابحــاث بمهمــة عاجلة، وهي تقييم امكـانيـات اعـادة تنظيم الجيوش العربية والحقبة الزمنية التي تتطلبها مثل هذه العمليـة، وجـاء في الورقــة التي وضعتهـا دائـرة الابحـاث والتي لاقت ردود فعل متشككـة على المستوى العسكري ان الجيوش العربية ستعود الى وضعها السابق (وعلى الاقل من ناحية الكم) خلال عام او عام ونصف.

ان نجـاح شعبــة الاستخبــارات في المجــال العسكـري اعـطى وزنـا كبيرا لتقـديراته على الصعيد السياسي ولهذا استمعوا الى آرائها بالنسبة للاستعدادات السيـاسية للعدو، فقد كان رئيس الاستخبارات العسكرية اهارون يريف يدعى في اوقـات متقـاربـة لحضـور جلســات الحكومة لابلاغ الوزراء بما يجري في الدول العربية، واستخدمت تقديراته وتقييماته بنسبة كبيرة كقاعدة للسياسة الاسرائيلية الدارجـة، وقـد عارضت بعض الاوســاط تدخـل الاستخبارات العسكرية في المجال السيــاسي، وفيمـا بعـد كان هنــاك من زعم بأن انشغـال الاستخبارات العسكرية المتـزايد بالتقديرات السياسية جرى على حساب الانشغال بالتقديرات العسكرية، وكان ذلك احد جذور فشل الاستخبارات في التنبؤ بحرب يوم الغفران.

- في مجـال جمع المعلومات: بذلت بعد الحرب جهود مكثفة لاعادة تنظيم محطات جمـع المعلومـات وتحسـين مصـادر هذه المعلومـات وقـد جرى التركيز بصورة خاصـة على المجـال الالكتـروني والتـطويـر التكنولوجي، وقد بلغت هذه العملية ذروتهـا مع اقـامـة محـطة الانـذار المبكر والتحري الاسرائيلي في ام خشيبة في سيناء التي مكنت الاستخبارات العسكرية من تعميق تغلغلها في عمق الاراضي المصرية.
- مجـال التـدريب: خصص رئيس الاستخبـارات جانبا كبيرا من الاهتمام لتطوير مجـال التـدريب، فهـذه العمليـة التي ترتبت على زيـادة حجم وتـوسـع سلاح الاستخبارات بعد الحرب، آتت أكلها بعد الحرب بعامين مع افتتاح مدرسة الاستخبارات.

كمـا جرت انطلاقة كبيرة الى الامام بعد الحرب في مجال تطور العلاقات بين الاستخبـارات العسكـرية الاسرائيلية وبين بعض الاستخبارات الاجنبية، فاعتماد هذه الاستخبـارات على الاستخبـارات الاسرائيليـة التي برهنت عن نفسهـا اخـذ يتزايد مع مرور الايام.

الاستخبارات تحت النار

كذلك طرأ تقـدم كبـير بالنسبـة للاستخبـارات المقـاتلة، فبعد الحرب بوقت قصـير بسـطت من قبـل رجال الاستخبارات المقاتلة شبكة من المراقبات على طول قنـاة السويس، في نقاط امكن منها مراقبة كل ما يجري في الجانب الآخر للقناة او في نقـاط اعتقـدوا بأنهـا ستكون نقاط عبور محتملة للمصريين، وقد اصبحت هذه الشبكـة فيمـا بعـد اسـاسـا لبناء الاستحكامات على طول الضفة الشرقية (فعلى سبيـل المثـال) تسببت عمليـة «افـوكـا» في عام ١٩٦٧ التي قصفت فيهـا مدافع الجيش الاسرائيـلي معـامل تكرير البترول في السويس، ردا على تفجير مستودعات الذخـيرة في منطقة (الخبرى) من قبل مجموعات تسللت من مصر الى وضع مراقبة حراسـة في منـطقة الخبرى، من قبل ضابط استخبارات القوات المراقبة في سيناء، وقد اصبحت هذه المراقبة فيما بعد حجر الاساس لاستحكام الخبرى.

لقـد اشتملت عمليـات المـراقبـة التي قامت بهـا الاستخبـارات المقـاتلة

للنشاطات الروتينية اليومية للعدو على دوريات جوية يومية بواسطة طائرات خفيفة، وقد تم الحصول على الصورة الواسعة جدا لما يجري في الجانب الآخر من القناة بواسطة الصور الجوية التي التقطت بأمر من شعبة الاستخبارات في رئاسة الاركان.

غير ان الاستخبارات العسكرية لم تستطع ان تتفرغ وقتا طويلا لاعادة تنظيمها ففي أواخر عام ١٩٦٨ بعد ان تزايدت قوة الجيش المصري وتجاوزت القوة التي كانت له عشية الحرب، وصل الرئيس المصري جمال عبدالناصر الى نتيجة بأن قواته استعادت قدرتها على الصمود القوي وانها قادرة على شن حرب استنزاف ضد اسرائيل.

وقد استغل الجيش الاسرائيلي الفترة الواقعة بين تشرين ثان ١٩٦٨ ـ وبين نهاية شباط ١٩٦٩ للقيام بالاعمال الدفاعية ضد عمليات القصف المدفعي المصرية وعن طريق الاستخبارات المقاتلة لاكمال توزيع وسائل جمع المعلومات في واجهة القناة بما في ذلك اقامة قواعد رصد امامية.

وعلى الاقل حتى استخدام سلاح الجو الاسرائيلي في حرب الاستنزاف في تموز ١٩٦٩ تحملت الاستخبارات المقاتلة معظم الاعباء الاستخبارية للحرب التي كانت تدور رحاها يوميا في جبهة القناة (والتي برزت خاصة من الجانب المصري بتوجيه الرماية الى قواتنا مع مواقع ثابتة ولكن بين الفينة والاخرى عن طريق القيام بغارات ليلية على بعض الاستحكامات) واضطر رجال الاستخبارات المقاتلة للتأقلم مع ظروف العمل تحت النار، وحتى خلال عمليات القصف استمروا في العمل في اطار جمع المعلومات ابتداء من المراقبات وانتهاء بتسيير الدوريات الجوية المتتالية (وفي مرحلة متأخرة اسقطت بعض طائرات التجسس بسبب اصابتها بالصواريخ المصرية).

وكان هذا الجهد يدور ـ بشكل خاص ـ للحصول على معلومات صغيرة مثل: تحديد موقع مدفع الهاون من عيار ١٦٠ملم في الجانب المصري الذي ضايق موقع (طمبو) وكشف القناصين المصريين الذين يتسلقون الاشجار وهكذا.

التحليق فوق منزل جمال عبدالناصر..

ان احـدى المشـاكـل الرئيسـة التي واجهتـهـا الاستخبـارات في حرب الاستنـزاف كانت تتمثل في صعوبة الوقوف على نوايا المصريين بالنسبة لفتح النار، وحتى شبـاط ١٩٦٩ كانت الاستخبـارات تستعـين بالمعلومـات، الكثـيرة التي تم الحصـول عليهـا نتيجـة استجـواب الهـاربـين المصريـين الذين عبروا القناة الى اراضينا، ولكن هذه الظاهرة توقفت في الاشهر التي تلت ذلك.

لقـد كانت بدايـة (العهـد الجـوي) في حرب الاستنزاف في منطقة القناة في تمـوز ١٩٦٩ وهنـا انتقلت معـظم الاعباء من استخبارات المجموعة في سيناء الى كاهـل الاستخبـارات في رئـاسة الاركان، والاستخبارات القيادية. وفي هذه المرحلة طلب من الاستخبـارات العسكرية تحديد الاهداف لمهاجمتها من قبل سلاح الجو في عمق الاراضي المصريـة، مثـل، المـدافـع المضـادة للطائرات وبطاريات صواريخ ارض/جـو، ان حقيقـة تعـود المصريين على نقل بطاريات الصواريخ بسرعة اجبرت الاستخبارات العسكرية على التأكد من وجود الاهداف في مكانها، وفي هذه المرحلة من نشـاطات سلاح الجـو استخدمت قوائم اهداف من قبل الطيارين حيث كانت تساهم في تشخيص الاهداف على الارض.

ومقـابـل ذلك طلب من الاستخبـارات العسكـرية توفير المعلومات قبل القيام بأيـة عمليـة دقيقـة والاهـداف للغارات البرية التي قام بها الجيش الاسرائيلي في عمق الاراضي المصريـة مثـل الغارة المدرعة التي نفذت في ٩ ايلول ١٩٦٩ وسميت (بعملية رفيف).

كذلك العملية الجريئة الاخرى للاستيلاء عل الرادار السوفياتي الحديث في منـطقة (الغردقة) في ليلة ٢٥/٢٦ كانون اول ١٩٦٩ التي تسببت في احداث هزة عميقـة في القيادة المصرية، نفذت بناء على معلومات استخبارية غاية في الدقة، وفي نهـايـة الامـر اتت هذه العملية اكلها للاستخبارات كلها وخاصة للقسم الفني في دائرة الابحاث الذي عمل على دراسة الرادار السوفياتي وتوصل على ضوء دراسته تلك الى معطيات حيوية.

في محـاولة لتقليص المخـاطرة المتـرتبـة على جمـع المعلومـات عما يجري في

الجانب المصري ابان حرب الاستنزاف بقدر الامكان طرح احدهم فكرة تركيب آلة تصـويـر من نوع (روبـوت) بطائـرة بسيطة تستخدم بواجهة ذبذبات الراديو كان يقدر ثمنه آنذاك بـ١٢٠ دولار، وقد ارتاح رجال سلاح الجو الذين جاءوا لمساعدة رجـال الاستخبارات لاستخدام هذه الطائرة الصغيرة التي قامت بطلعات تصويرية فوق منـطقـة العدو واحضرت صورة واضحة عما يجري هناك، ومن الممكن القول انــه في هذه الفتـرة ولدت فعـلا (الطائـرة بدون طيـار) الاولى التي استخـدمتهـا الاستخبـارات في واجهـات مختلفة واستخدمت بشكل واسع في الجيش الاسرائيلي بعد حرب يوم الغفران.

في ٧ كانـون ثان ١٩٧٠ بدأ سلاح الجـو الاسرائيلي بقصف عمق الاراضي المصريـة وبـالنسبـة لهذا الموضوع ايضا اعطت الاستخبارات العسكرية معلومات دقيقة وصحيحة.

وفيمـا بعـد كشف رئيس الاستخبـارات آنـذاك اهـارون يريف ان عمليات قصف العمق المصري لم تكن مخـططة سلفـاً، وانما بدأت في اعقاب عملية طيران منخفض قامت به طائـرات سلاح الجـو الاسرائيــلي فوق منـزل الرئيس المصري جمـال عبـدالنـاصر في القـاهـرة فبعـد ان نجحت هذه العملية تقرر تجربة عملية اخرى في عمق الاراضي المصرية وهكذا توصل الجيش الاسرائيلي الى مرحلة قصف منطقة القاهرة.

ان استخـدام سلاح الجـو في جبهـة القناة في تموز ١٩٦٩ وبداية عمليات القصف في العمق كانتـا نقـطتي التحـول البارزتين نحو تردي الموقف المصري اذ ارغمت مصر في نهـايــة الامـر على وقف اطلاق النـار في آب ١٩٧٠، ولكن قصف الاعمــاق المصريــة احــدث تطورا آخـر بعيـد المـدى لم تتنبـأ به الاستخبـارات الاسرائيلية من قبل الا وهو التدخل السوفياتي المنقطع النظير في مصر.

تدخل سوفياتي مباشر

في ٢٤ كانــون ثان ١٩٧٠ قام الرئيس المصري جمـال عبـدالنـاصر بزيـارة مفـاجئـة لموسكو، وفي هذه المرة لم يطلب مساعدات عسكرية اخرى مثلما تعود ان يعمـل في زيـاراته السابقة، وانما طلب من السوفيات ان يقوموا بمساعدته مباشرة

على ضوء الاخطار التي تهدد استقرار نظام حكمه نتيجة لعمليات القصف التي يقوم بها سلاح الجو الاسرائيلي.

وقد لاقى الرئيس المصري استجابة كاملة، فمن خلال اللجوء الى اجراءات الحذر وبدون ان يعترف بذلك علنا ارسل الاتحاد السوفياتي الى مصر في آذار ١٩٧٠ بطاريات صواريخ ارض ـ جو (بما في ذلك بطاريات سام ٣ التي لم تشاهد حتى ذلك الوقت في المنطقة) بكامل طواقمها وفي نيسان ارسل السوفيات الى مصر عدة اسراب من الطائرات المقاتلة من نوع ميغ ٢١، ففي المرحلة الاولى نصبت بطاريات الصواريخ حول القاهرة والاسكندرية واسوان وهي المراكز الاكثر حيوية في مصر.

واعتباراً من بداية شهر أيار في ذلك العام ظهرت بطاريات صواريخ سوفياتية في الخطوط الخلفية لمنطقة القناة، واعتبارا من النصف الثاني لشهر حزيران وحتى سريان مفعول وقف اطلاق النار في شهر آب اشترك السوفيات بصورة فعالة في محاولات المصريين لتقديم شبكات صواريخهم نحو القناة، (وهكذا حدث بالنسبة للاسراب المقاتلة، ففي اواسط شهر نيسان بدأ طيارون سوفيات بالقيام بعمليات حربية في اعماق منطقة النيل، وبعد ذلك بوقت ما اقتربوا اكثر فأكثر من منطقة القناة) ومنذ بداية نيسان ١٩٧٠ اوقفت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي هجماتها في العمق المصري ولكنها زادت من هجماتها في منطقة القناة وألحقت بالجيش المصري خسائر فادحة، كما كشف الجيش الاسرائيلي كمائن الصواريخ التي استقدمها المصريون حسب مشورة السوفيات الى منطقة القناة وقام بتدميرها.

في ٢٥ حزيران لاحظت الاستخبارات العسكرية شبكة صواريخ متوسطة في منطقة فاطمية ـ تل الكبير «اشتمل ايضا على بطاريات من صواريخ سام ٣» واعتبارا من يوم ٣٠ حزيران عملت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي صورة مستمرة ضد شبكة الصواريخ هذه، ورغم الخسائر الفادحة (٥ طائرات فانتوم) فقد نجحت الطائرات الاسرائيلية في تأخير تقديم الصواريخ الى القناة الى ان سرى مفعول وقف اطلاق النار ـ في ليلة ٧ ـ ٨ آب ١٩٧٠.

ولكن يبدو ان السوفيات اعدوا خطة بديلة لمثل هذا الوضع، وتقرر في موسكو استقدام الصواريخ الى القناة في ظل وقف اطلاق النار، وقد بحثت هذه الخطة بين المصريين والسوفيات عندما وصل قادة الاسلحة المضادة للطائرات من

موسكو الى القاهرة في ٣٠ تموز بعد ان اسقط سلاح الجو الاسرائيلي اربع طائرات ميغ ٢١ كان يقودها طيارون سوفيات.

في ٣١ تموز قررت اسرائيل الاستجابة للضغط الامريكي، وقبول مبادرة روجرز (وزير الخارجية الامريكي في ذلك الوقت) لوقف اطلاق النار، وعمل الرئيس المصري جمال عبدالناصر، برده الايجابي على هذه المبادرة وبعث به في الثالث والعشرين من تموز بعد ان توصل الى نتيجة وهي ان حرب الاستنزاف قد فشلت وبعد ان قررت القاهرة تقديم بطاريات الصواريخ الى خط القناة في ظل وقف اطلاق النار.

تحريك الصواريخ نحو القناة

لقد كانت زعامة الاستخبارات العسكرية برئاسة العميد اهارون يريف مقتنعة بأن المصريين سيستغلون وقف اطلاق النار لتقديم الصواريخ، من أجل القضاء تماما على قدرة الطائرات الاسرائيلية على العمل في هذه المنطقة فذهب رئيس الاستخبارات حاملا هذا الشعور ليلة السبت السابع من شهر آب لتناول وجبة الغداء بمعية زميل له في احد مطاعم يافا بعد ان الغى خطته لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في احدى المستوطنات الشمالية.

وفي مساء ذلك اليوم رن جرس الهاتف في منزله، وابلغه الضابط المناوب بمعلومات اولية عن تحريك الصواريخ المصرية نحو القناة، وخلال تلك الليلة اتضحت الصورة.

في هذه المرحلة امر العميد يريف الضابط المناوب في الاستخبارات العسكرية بالاتصال فورا مع ايلي زعيرا، الملحق العسكري الاسرائيلي في واشنطن، وادرك زعيرا الذي خدم في السابق كرئيس لدائرة جمع المعلومات في الاستخبارات العسكرية المقصود فورا، وعلى الرغم من ان الحديث بينه وبين الضابط المناوب جرى بالرموز الا انه استوعب صورة الوضع وسارع الى ابلاغ الامريكيين بخرق مصر لوقف اطلاق النار.

وفي نفس الوقت اتصل يريف بمنزل رئيس الاركان انذاك الجنرال حاييم بارليف وابلغه بتحريك الصواريخ المصرية.

وفي الساعة ٦٫٠٠ صباحا ايقظوا وزير الدفاع انذاك موشه ديان من نومه وتقرر ارسال طائرة لاجراء عملية تصوير سريعة فأكدت الصور الانباء التي وصلت الى الاستخبارات العسكرية من مصادر معلومات اخرى.

فقد برزت الصواريخ في الصورة وكأنها على الطبيعة.

واعتبارا من الليلة التي وقع فيها خرق وقف اطلاق النار وخلال ستة اسابيع اقيمت في المنطقة المحظورة التي منع ادخال الصواريخ اليها شبكة صواريخ متماسكة وحديثة تبلغ نصف ما يملكه المصريون من صواريخ ارض - ارض.

وقبل سريان مفعول اطلاق النار كانت في المنطقة ١٦ نقطة صواريخ، كانت واحدة منها فقط على بعد ٣٠كم غربي القناة، ولكن في اواسط شهر تشرين اول ١٩٧٠ اصبحت في المنطقة حوالي ٥٠ نقطة اقيمت حوالي ٤٠ منها في مضيق يتراوح عرضه بين ١٣-٢١كم غربي القناة، وكانت ٤٢ بطارية من هذه البطاريات عملية، ومنها ١٦ بطارية سام ٣ كان يقوم بتشغيلها حوالي ٣٠٠٠ روسي، وقد غطت هذه الشبكة منطقة بلغت الى عمق ٢٠كم في اعماق سيناء وخلقت تهديدا جديدا وملموسا لنشاطات سلاح الجو الاسرائيلي.

في البداية رفضت الولايات المتحدة الامريكية تأكيد المعلومات التي توصلت اليها الاستخبارات الاسرائيلية بالنسبة لتحريك الصواريخ، ولكن طلعة تجسسية قامت بها طائرة «يو٢» في التاسع والعشرين من آب ١٩٧٠ اكدت قواعد صواريخ جديدة شرقي قاطع الصواريخ، وفي الثالث من ايلول اكدت وزارة الخارجية الامريكية علنا ان مصر انتهكت وقف اطلاق النار، واما مصر فقد زعمت يوم ٢٤ آب انه لم يحدث اي انتهاك اذ انها التزمت بعدم ادخال صواريخ اخرى الى القاطع المحظور، ولكنها لم تلتزم بعد بتغيير اماكن الصواريخ الموجودة هناك.

من غير المستبعد انه بالاضافة الى طلعة التجسس التي قامت بها الطائرة الامريكية والتي اكدت وجود قواعد للصواريخ الجديدة ان يكون الامريكيون قد اقتنعوا بالصور الجوية التي قامت بها الاستخبارات الاسرائيلية، والتي ارسلت بأمر من رئيس الاستخبارات الى الولايات المتحدة الامريكية والتي صورت قبل وبعد وقف اطلاق النار.

لقد اراد الرئيس المصري عبدالناصر من تقديمه للصواريخ المصرية الى

منطقة القناة، تحسين مركز قوته أي (التوازن مع التفوق الجوي في منطقة القناة) وتوجيه الضغط على اسرائيل من أجل ان تقدم تنازلات بالاتصالات الدبلوماسية ولكن، فان الانتهاك المصري للاتفاق بالذات، وتقديم الصواريخ في ظل وقف اطلاق النار قد خلقا ازمة سياسية، فقد ابلغت اسرائيل مبعوث الامم المتحدة غونار يارينغ انها لا تنوي استئناف المباحثات التي يشرف عليها الى ان تقوم مصر باعادة الصواريخ الى اماكنها الاصلية.

ومن اجل تعويض اسرائيل عن الانتهاك المصري واحباط هجوم اسرائيلي معاكس ومتوقع وافقت الولايات المتحدة الامريكية على الاستجابة لطلب اسرائيل بالنسبة للاسلحة الذي تم تأخير الاجابة عليه منذ اذار ١٩٧٠.

مدرسة الاستخبارات

كانت مدرسة الاستخبارات قد اقيمت في الخمسينات ولكنها لم تعمل دوما كوحدة مستقلة وفي فترة معينة توقفت نشاطاتها نهائيا لاسباب تتعلق بالتوفير.

وحتى عام ١٩٦٩ كانت اقسام التدريب التابعة لسلاح الاستخبارات موزعة ومتفرقة في اماكن متعددة ففي احد الاماكن كانوا يدرسون موضوع الاستخبارات القتالية وفي مكان آخر كانوا يعقدون دورة لمحللي الصور الجوية.

غير ان التطور المذهل الذي شهده سلاح الاستخبارات بعد حرب الايام الستة الزم «بادخال النظام» في هذا المجال وتركيز جميع اقسام التدريب في مكان واحد.

وقد القى رئيس الاستخبارات انذاك العميد يريف هذه المهمة على كاهل العقيد جدعون محنيامي، الذي بدأ بمساعدة طاقم مدرب، بالاعمال الضرورية لاقامة قاعدة التدريب في سلاح الاستخبارات.

في ٢٠ تموز ١٩٦٩ تم تدشين القاعدة بحفل رسمي، وشكلت في مرحلة البداية دورتا تدريب وهما:

دورة استخبارات مقاتلة ودورة استخبارات عامة، وفي مرحلة متأخرة جدا شكلت في القاعدة دورات خاصة لضباط جمع المعلومات وضباط البحث وضباط أمن الميدان ورجال الرقابة العسكرية وغير ذلك.

وفي هذه المدرسة تم تدريس اللغتين العربية والانجليزية، وبناء على طلب رئيس الاستخبارات عملت قاعدة التدريب ليس فقط على تعليم المهن الاستخبارية للطلبة وانما تدريس «الصهيونية» والمواضيع اليهودية ومواضيع عامة اخرى.

لقد مكن جمع جميع اقسام التدريب في سلاح الاستخبارات في قاعدة واحدة رئيس الاستخبارات من تخطيط مهام استخبارية وتحديد افضليات بالنسبة للمهن المختلفة واتباع مستوى موحد واشراف مستمر على الطلبة، كما مكن وجود القاعدة من شمل دورات جديدة في المهن الاستخبارية، وتصنيف الطاقة البشرية بشكل جيد وتحسين المستوى المهني في السلاح.

في آب ١٩٧٢ مع نهاية عمل العقيد محنيامي كقائد للقاعدة كتب له رئيس الاستخبارات اهارون يريف الذي اشرف هو الآخر على حافة انهاء خدمته يقول: انك تنهي الآن خدمة ثلاث سنوات كقائد لقاعدة التدريب في سلاح الاستخبارات، انك لم تقد القاعدة فقط، وانما كنت مسؤولا عن اقامتها ـ من العدم انني اذكر جيدا الصعوبات التي كانت مرتبطة بعملية اقامة القاعدة والفترة الصعبة التي كنا نواجهها من ناحية الجيش الاسرائيلي، ومن ناحية الاستخبارات العسكرية ومنذ ذلك الوقت فإن القاعدة لم تقم فحسب، وانما تزايدت وتعاظمت وتمكنت من تخريج العديد من الطلبة.

«لقد تعودت القول بأننا اقمنا قاعدة التدريب قبل الساعة الثانية عشرة بدقيقة واحدة، وما زلت، أومن بأنه لولا القاعدة لما كنا قادرين بأي حال من الاحوال على استغلال الوسائل التي وضعت تحت تصرفنا في سنوات ١٩٦٩/ ١٩٧١، ولما كنا قادرين نتيجة لذلك على تغطية تطلعات الجيش الاسرائيلي بالنسبة لنا ـ والاكثر من ذلك فإن القاعدة بمجرد تكوينها ساهمت مساهمة كبيرة في رفع المقاسات المهنية للاستخبارات في الجيش الاسرائيلي.

استبدال القادة

في شهر ايلول ١٩٧٢ انهى العميد اهارون يريف فترة تسع سنوات تقريبا في منصب رئيس شعبة الاستخبارات وخلال هذه الفترة التي كانت اطول فترة عمل لرئيس الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي، كبرت الشعبة واتسعت بصورة

لم يسبق لهـا مثيـل سواء بالمعـدات أو بالطاقـة البشريـة، وبـالمجـالات العمليـة والنشاطات الاستخبارية ونتيجة لذلك بتأثيرهاعلى راسمي السياسة.

وعشيـة انهاء خدمة عمل يريف كانت شعبة الاستخبارات في رئاسة الاركان ليس فقـط العنصر الاكثـر سيطرة بين عناصر المجموعات الاستخبارية في اسرائيل وانمـا الجهـاز الوحيـد والفـريد الذي عمل على رسم صورة استخبارية ـ عسكرية وسياسية ـ شاملة.

وقـد طرأ هذا الوضع بسبب الحقيقة انه على الرغم من توصيات لجنة يدين ـ شرف (١٩٦٣) لم يتم تعـزيز دائرة الابحاث في وزارة الخارجية بصورة تستطيع معهـا ان تقدم لرئيس الحكومة تقييمات سياسية مستقلة خاصة بها، واما الموساد فقد اقتصر فقط على جمع المعلومات وكانت نشاطاته الاستخبارية مقلصة جدا.

وهكـذا حدث انـه طيلة الوقت حصلت تقييمـات دائـرة الابحـاث في شعبة الاستخبـارات (السنـويـة ونصف السنوية) على اعتراف رسمي واطلق عليها اسم تقييم الوضـــع الاستـراتيجي او الوطني سواء في المجـال السيـاسي ام في المجـال العسكري وقد استمر هذا الوضع حتى حرب يوم الغفران.

في ايلول ١٩٧٢ جرت عمليـة تبـديـل في رئاسة شعبة الاستخبارات، فخلفاً للعميـد اهارون يريف الذي اكتسب شهرة ومكانة مرموقة في السلاح وخارجه عين العميد ايلي زعيرا، وزعيرا مثله مثل يريف بدأ طريقه في البالماح والى جانب الوظائف الميـدانيـة التي شغلهـا بمـا في ذلك منصب قائد لواء المظليين النظامي في الجيش الاسرائيلي خدم سنوات طويلة في مناصب مختلفة في رئاسة الاركان.

منهـا: رئيس مكتب رئيس الاركـان موشـه ديـان في حرب قادش (سينـاء ١٩٥٦) ورئيس قسم جمـع المعلومات في الاستخبارات العسكرية، وبعد ذلك خدم كمحلق عسكري للجيش الاسرائيلي في الولايات المتحدة الامريكية.

وقد اشتهر زعيرا كقائد ممتاز ذي كفاءة عالية في التفكير وكفاءة في الصياغة وكشخصية ذات قرارات حاسمة ومواقف متصلبة.

حـرب يـوم الغفـران:

هكـذا ولـد التصـور

كانت الاستخبـارات العسكـريـة، تعـرف منـذ اواخر عام ١٩٧١، الخطوط العامة لخطة الهجوم المصرية المخططة على سيناء، مثلما نفذت في حرب يوم الغفران.

ففي نهـاية ذلك العام الذي حدده الرئيس المصري انور السادات بأنه عام الحسم اجـرى الجيش المصري منـاورة كبـرى لاجمال عام التدريب، وكانت هذه المنـاورة من نوع المنـاورات التي تعـود الجيش المصري على اجـرائهـا منـذ عام ١٩٦٨، ان عمليـة المتـابعة الدقيقة التي قامت بها وكالات جمع المعلومات التابعة للاستخبـارات العسكـريـة الاسرائيلية وراء مراحل ادارة هذه المناورة، وللمناورات المشابهة التي جرت حتى حرب يوم الغفران مكنت دائرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية من رسم الخطوط العريضة للنظرية المصرية لعبور القناة.

ومن وصف فن العبـور بالتفصيـل وتـراكيب القـوات التـي ستعبر في الموجة الاولى والمـوجـة الثـانية القائمة الزمنية المقدرة، وحجم القصف المدفعي ونشاطات الاسلحة المضادة للطائرات، وما شابه ذلك.

ان التقـريـر الاستخبـاري نصف السنوي الذي وضعته دائرة الابحاث في نصف عام ١٩٧٢ كان بامكـانـه ان يؤكـد ما قيل اعلاه، ففي مقدمة التقرير وفي الجـزء المتعلق بتعـاظم القـوة العسكـرية المصرية قيل بصراحة ان القيادة المصرية تعتقـد بأن تجـديـد حرب الاستنزاف ليس عملا هادفا بالنسبة لها، ولهذا السبب فان الطريقة المفضلة بالنسبة للمصريين هي عبور القناة بقوة كاملة، بهدف احتلال منـطقة من سيناء حتى الممرات الجبلية (ومع هذا قيل في التقرير بأن عبور القناة والسيـطرة على سينـاء، مشروط برفـع مستـوى سلاح الجـو المصري) وقد عرض التقرير نصف السنوى الخطوط العريضة للنظرية المصرية الخاصة بالعبور وهي:

- عبور خمس فرق مشاة ووحدات كوماندو لاحتلال موقع، وخلق رأس جسر بعمق ١٠كم ومقابل ذلك انزال قوة على مستوى لواء من البحر في منطقة رماني.

- القيام بغارات منزلة بواسطة طائرات الهيلوكبتر وربما انزال مظليين.
- عبور فرقتي دروع ولواءي دبابات مستقلين وفرقتين آليتين من اجل السيطرة على الممرات والاستعداد لاستغلال عملية العبور.
- احتلال منطقة سليمان بعملية تقوم بها قوات من المشاة التي تسير على طول طريق رأس جسر - شرم الشيخ، وقوات مشاة معززة بالدبابات يتم انزالها من البحر ووحدات كوماندو يتم انزالها من البحر او من الجو.
- استخدام ما يصل الى ثماني كتائب كوماندو وثلاثة الوية مظليين لاحتلال رأس جسر والسيطرة على تضاريس طبيعية حيوية.

خلال الاشهر الطويلة اجريت تعديلات وتحسينات كثيرة على الخطة التي كانت معروفة للاستخبارات العسكرية، ففي النصف الاول من عام ١٩٧٣ كانت الخطة معروفة بكاملها تقريبا لجميع عناصر الاستخبارات، وكانت هذه الخطة مشابهة تماما للخطة التي نفذها المصريون في ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣ باستثناء عنصر واحد فقط لم يكن معروفا لرجال دائرة الابحاث الا وهو مرحلة التوقف العملي، للقوات المصرية التي خططت بعد مرحلة العبور للجيش واحتلال رؤوس الجسور.

لقد اعتمدت خطة العبور التي كانت معروفة للاستخبارات العسكرية على نظرية الحرب السوفياتية التي تعتبر العائق المائي مثل القناة كعائق ارضي فقط يجب التغلب عليه بعملية قتالية وادارة القتال بعد العبور كقتال متحرك ومستمر، ان تطبيق مبادىء النظرية السوفياتية في الظروف الخاصة لقناة السويس تطلب اعتبار المنطقة الواقعة بين القناة وبين الممرات الجبلية كمنطقة قتال واحدة وان يكون هدف القوات العابرة التقدم شرقا والسيطرة على الممر في اسرع وقت ممكن.

في الواقع ان المخططين المصريين تبنوا اسس النظرية السوفياتية ولكنهم ادخلوا عليها تغييرا هاما، بعد عبور القناة يقيمون رأس جسر متواصل على عمق ١٠ - ١٥ كم من القناة ويتوقفون في مكانهم لعدة ايام بهدف صد من المراكز الثابتة، الهجمات المعاكسة المتوقعة من قبل المجموعات المدرعة الاسرائيلية ان هذا التغيير الجوهري في خطة الهجوم الذي لم يكن معروفا للاستخبارات الاسرائيلية سيؤثر بصورة خطيرة على صورة الحرب للقوات الاسرائيلية في الايام الاولى لحرب يوم الغفران.

عـــام الحســـم

في الواقـع ساعـدت المناورة الكبرى التي اجراها الجيش المصري في اواخر عام الحسم، على توسيـع معـرفة الاستخبارات ودائرة الابحاث فيها لعناصر خطة الهجـوم المصريـة في سيناء ولكنها لم تساعد في معرفة مدى جدية التهديدات التي يطلقها الرئيس المصري، والتي قال فيها انه سيستخدم القوة لكسر الوضع الراهن السياسي.

ان حقيقة انتهاء عام الحسم بدون اي عمل اقنعت المسؤولين المتصلبين في دائرة الابحاث (الذين قدروا بأنه ستحدث مجابهة عسكرية بين اسرائيل ومصر في نهاية عام ١٩٧١) ان السادات نفسه توصل الى نتيجة وهي ان هيبته لن تبنى في الوضع الحالي، عن طريق الحرب.

لقـد بني هذا التقرير تدريجيا على قاعدة تحليل نشاطات، وأعمال المخلصين للرئيس السـادات كمـا اعتمـد على الشعـور بالامن الذي ساد اسرائيل بعد حرب الايام الستة.

ان التقدير القائل بأن السادات لا يقصد بجديده حلا عسكريا، للنزاع مع اسرائيـل تعـزز مرة اخـرى خلال عام ١٩٧٢ على الرغم انـه في هذا العام تكررت التهديدات من قبل الرئيس المصري، في صيف عام ١٩٧٢ طرد الخبراء السوفيات من بلاده وبـعـد حرب يوم الغـفـران عرض الرئيس المصري السـادات وبعـده النـاطقـون المصريـون تصفيـة الوجود الاستراتيجي السوفياتي في مصر على انها خطوة اولى تمهيـدا للحرب التي كانت على الابواب، ولكن الاستخبارات الاسرائيلية فسرت هذه الخـطوة على انهـا دلالة اخرى على ان الرئيس المصري قرر على الاقل مؤقتا عدم القيام بعمل حربي للقضاء على ما اسماه بـ «تصفية اثار العدوان» أي النتائج الاقليمية لحرب الايام الستة.

ان هذا التقـديـر اعتمـد على تقـارير من مصادر استخبارية كثيرة منها من كان يوصف انـذاك بأنـه مطلع جدا، وكانت الصورة التي نتجت عن هذه التقارير وكذلك المتابعة اليومية لما تنشره الصحف والاذعات العربية، ان الزعامة السياسية والعسكـريـة في مصر قد توصلت الى نتيجة وهي ان مصر لا تستطيع شن حرب في

هذه الظروف التي يسودها حظر سوفياتي على ارساليات الاسلحة والتدني البارز بالنسبة للقوات الجوية.

واعتقدت الاستخبارات العسكرية ان التقدير الذي تبلور في مصر ينص على عدم وجوب قيام مصر بشن لون جديد من حرب الاستنزاف لان اسرائيل تنتظر مثل هذه الفرصة لكي تنزل بمصر ضربة قاطعة، وفي مثل هذه الظروف فان حربا تبدأها مصر قد تنتهي الى «دمار الجيش المصري» وزيادة على ذلك فقد قالت التقديرات المصرية بأنه في هذه الظروف العالمية وفي اعقاب التقارب الذي طرأ بين الدولتين الاعظم فان ضعف مصر ليس ضعفا عابرا، وانما الخطر القائم هو ان الفجوة في ميزان التسلح بين اسرائيل ومصر ستزداد اتساعا خلال سنوات المقبلة، ولهذا فقد اوصوا السادات بأن يدرس امكانية التوصل الى حل سياسي للنزاع.

هذه التقديرات بالاضافة الى دلائل اخرى جعلت الاستخبارات العسكرية تتوصل الى نتيجة وهي ان العناصر الهامة لهذا التقدير قد وصلت الى السادات، كما خرجت الاستخبارات العسكرية بانطباع بأن الرئيس المصري قبل برأي مستشاريه العسكريين بالنسبة لميزان القوى العام وميزان التسلح بما في ذلك النتائج العملية المنبثقة عن هذا الرأي.

وقد تعزز هذا الانطباع وخاصة انه كان على رأس المنادين بعدم القيام حاليا بمبادرة حربية، وزير الحربية انذاك الجنرال محمد احمد صادق، وفعلا ففي تصريحاته العلنية التي اطلقها في خريف ١٩٧٢ اكثر السادات من اتهام السوفيات بأنهم يختارون المعدات العسكرية التي يزودن مصر بها، بالمقارنة مع المعدات التي تزودها الولايات المتحدة لاسرائيل، وزعم انذاك ان هذا العمل يؤدي الى ادامة ميزان التسلح السلبي بين اسرائيل ومصر، وهذا الامر يمنعها من تحرير المناطق التي احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧.

ولهذا فانه ابتداء من اواسط عام ١٩٧٢ بدأت تسيطر على اسرائيل وجهة نظر تقول ان طرد المستشارين السوفيات من جهة والتفوق الحاسم للجيش الاسرائيلي من جهة اخرى تقلصان بنسبة كبيرة معقولية وقوع حرب.

ووجهة النظر هذه التي سيطرت ايضا على المستوى السياسي شملت مستويات القيادة المختلفة في الجيش الاسرائيلي بما فيها زعامة الاستخبارات العسكرية.

ولكن بعد وقوع العمل اتضح انه في نهاية صيف ١٩٧٢ اتضح للسادات بأن تصفية الوجود الاستراتيجي السوفياتي من مصر لم تؤد الى النتائج التي كان يتطلع اليها، فالعلاقات مع الاتحاد السوفياتي سادها جمود عميق، واما الولايات المتحدة فانه لم تظهر اية دلائل على استعدادها لتوجيه ضغط شديد على اسرائيل يدفعها الى زيادة مرونة مواقفها وتخفيف شروطها بالنسبة للحل السياسي، وعلى هذا الاساس ومن خلال تزايد الغليان وعدم الهدوء في مصر، حتى ولو كان ميزان القوى في غير صالحه.

لقد اعتقد على ما يبدو انه حتى لو انتهت الحرب بدون نصر عسكري حاسم فيكفي انها ستظهر قوة الارادة لدى الامة المصرية لكسر وضع الجمود وهو وضع اللاسلام واللاحرب، الذي طرأ منذ توقفت الحرب على الجبهة المصرية في آب عام ١٩٧٠، والتسبب في خلق واقع سياسي عسكري جديد في المنطقة لقد اعتبر السادات الاستخدام الحكيم والذكي للقوة العسكرية الذي تمثل بتجديد هدف حربي محدد للقوات المسلحة وهو الهدف الذي تستطيع هذه القوات تحقيقه، من اجل تسوية سياسية يتم تحقيقها بفضل التحرك السياسي تحت اشراف الدول العظمى وبواسطتها، وامل في ان تغطي مثل هذه التسوية بنسبة كبيرة امال ورغبات العرب ولو بصورة غير كاملة.

تغييرات في الزعامة

اننا اذا ما القينا نظرة على الماضي نستطيع القول بأن التعبير العلني الاول لقرار السادات بشن حرب شاملة باسرع وقت ممكن كان هو التغيير الذي ادخله الرئيس المصري في اواسط شهر اكتوبر ١٩٧٢ على زعامة القيادة الكبيرة للقوات المسلحة وفي مجال هذه التغييرات تم عزل محمد احمد صادق (الذي عارض الخيار العسكري) وتعيين احمد اسماعيل علي بدلا منه، كوزير للحربية وقائد عام للقوات المسلحة اما لقب القائد الاعلى للقوات المصرية فقد احتفظ به السادات فخلافا لصادق كان اسماعيل شريكا في رأي السادات القائل انه يتحتم على مصر شن حرب حتى ولو كانت نتائجها العسكرية غير حاسمة وانه يجب القيام بذلك بواسطة المعدات الحربية الموجودة بحوزة القوات المسلحة ومنذ ذلك الوقت اختفى

من تصريحـات السادات وليس عن طريق الصدفة التذمر من هبوط مستوى ميزان القوى وخاصة في الجو وهو التذمر الذي اكثر في الماضي من ابدائه.

مقـابـل تعيـين اسمـاعيـل علي وتكليفـه بعمليات التحضير العملية للحرب، اتخذت عدة اجراءات اتضح فيما بعد انها كانت ناجمة عن قرار شن الحرب، وقد علمت الاستخبـارات العسكرية ببعض هذه الاجراءات، ولكنها لم تفهم انذاك على انها دلائل على القرار الذي اتخذ.

أ . اقـامة التحصينات السريعة في منطقة القناة، وخاصة اكمال الكثبان الرملية على طول الضفة الغربية للقناة التي قصد بها تعزيز القدرة الدفاعية للقوات المسلحة في حالة قيام اسرائيل بحرب وقائية اذا ما وقفت على النوايا الحربية لمصر، وبـالاضافة الى ذلك اجريت عملية مراجعة شاملة لخطة الهجوم، التي كانت قائمـة منـذ سنوات وانسجامها مع النظرية الجديدة للحرب واهدافها كمـا بلورهـا السـادات وقد تمت ملاءمة خطة الهجوم للقدرة العملية للقوات المسلحـة كمـا قام بتقييمهـا متخذو القرار في القاهرة، كما ان السيطرة على الممرات الجبلية وعلى حقول النفط في الشاطىء الشرقي لقناة السويس حددا كهـدف حربي للهجوم (وفي مجال مراجعة خطة الهجوم تحدد الموقف العملي الذي ذكرناه انفا).

نتيجـة لدراسـة الوثـائق الكثـيرة التي جمعتها القوات الاسرائيلية خلال الحـرب وبعدها اتضح بأن مراجعة الخطة الاساسية للهجوم حسب طبعتها الجـديـدة والتي اعـطيت اسم الشيفـرة (صـوان ٢ محسن) قد اكملت في النصف الاول من شهـر كانـون ثان ١٩٧٣ وخـلال الاشهر التي تلت ذلك ادخلت تعـديلات وتحسينات كثيرة على الخطة وبعض هذه التعديلات اجري في الايام الاولى لشهر اكتوبر ١٩٧٣ قبيل موعد شن الحرب.

ب . جرت عمليـات جس نبض اوليـة للسوريين بقصد بلورة استراتيجية مشتركة ولهـذا الغـرض ارسل الى دمشق وزير الحربية الجديد، احمد اسماعيل علي الذي كان في هذه المـرحلة احد القلائل الذين ادخلهم السادات في سر قراره. وخـلال المحـادثات التي اجراها في دمشق في النصف الثاني من عام ١٩٧٢ اوضح وزير الحربية المصري للزعامة السورية ان مصر تعتقد بأنه يجب على سوريا ان تمتنع في هذه المرحلة عن التحرش باسرائيل لانها تبحث عن حجة

لضرب سوريا، ومصر، ومقابل ذلك عرض على السوريين تنسيقا سياسيا واستراتيجيا يدور حول الخروج المشترك الى حرب شاملة في موعد متأخر جدا بعد ان تكتمل الاستعدادات المطلوبة.

وقد اعتقدت الاستخبارات العسكرية بالنسبة لنتائج زيارة احمد اسماعيل لدمشق بأن اسماعيل قد فشل في مهمته لان السوريين رفضوا النظرية العامة التي عرضها عليهم، وبعدئذ اتضح بأن الرئيس السادات لم ير موقف الرئيس السوري حافظ الاسد على انه موقف نهائي وواصل جهوده لبلورة استراتيجية مشتركة مع سوريا، وقد اتت جهوده ثمارها اخيرا، وخلال المحادثات التي اجراها الاسد والسادات في نيسان ١٩٧٣ وافق الرئيس السوري على شن الحرب مع مصر ضد اسرائيل حتى قبل نهاية عام ١٩٧٣.

ج . القيام بجهود لتسوية الخلاف مع الاتحاد السوفياتي، فقد تبين من نتائج المحادثات التي اجراها مستشار الرئيس المصري للامن القومي حافظ اسماعيل مع زعماء الاتحاد السوفياتي في كانون ثان ١٩٧٣ ان السوفيات كانوا مستعدين للتوقيع مع مصر على صفقة تسليح جديدة متعددة السنوات (اما تفاصيل الصفقة فقد بحثت بشكل اوسع خلال الزيارة التي قام بها وزير الحربية المصري الى موسكو في نهاية شباط ١٩٧٣).

قبيل نهاية عام ١٩٧٢ أي بين شهري تشرين اول وكانون اول تتبعت الاستخبارات الاسرائيلية الانباء التي اشارت الى وجود نية مصرية لشن الحرب، ففي الجبهة اجرى المصريون مناورات على مستوى المجموعة كما قاموا بعمليات لاعداد الجبهة الخلفية اما التقرير الذي وضعته دائرة الابحاث في اعقاب زيارة وزير الحربية المصري لدمشق فقد جاء فيه انه يجب عدم اعارة هذه الانباء اهمية قصوى اذ ان المصريين لم يغيروا تقديراتهم الاساسية التي تقول انهم لا يستطيعون شن الحرب في ظل ميزان القوى القائم بينهم وبين اسرائيل، او كما قالت شخصية مصرية انه من الممكن البدء بالحرب ولكننا لا نعرف كيف ستنتهي.

وعندما انقضى عام ١٩٧٢، تمسكت الاستخبارات العسكرية بأرائها اكثر حيث تلاشت الاخبار التي وصلت من مصادر مختلفة حول امكانية وقوع الحرب، كما وجد افتراض دائرة الابحاث بأن الرئيس السادات تراجع عن نية الحرب، تعبيرا له في التقرير النصف سنوي الذي وزع في مطلع عام ١٩٧٣ (وشرع في

كتابة تقرير اخر في ايلول عام ١٩٧٣ قبل اندلاع الحرب بشهر واحد، ولكنه لم يكتمل بسبب الحرب).

لكن في ايلول ١٩٧٣ فقط أي قبل اندلاع الحرب بأسبوع واحد كشف رئيس الاستخبارات العسكرية العميد ايلي زعيرا ان التقرير الاستخباري الذي وزع في مطلع ١٩٧٣ اشتمل على خطأين رئيسين وهما:

أ . المبالغة بالتوقعات بالنسبة لمبادرات امريكية جديدة خلال عام ١٩٧٣ بالنسبة لحل النزاع.

ب . التقليل من تقدير اهمية انواع الاسلحة الجديدة التي كان السوفيات يريدون ادخالها للمنطقة خلال عام ١٩٧٣.

اذ ان التقرير الاستخباري الذي وزع في النصف الاول من عام ١٩٧٣ افترض بأن السوفيات سيصرون على تمردهم ولن يزودوا مصر في عام ١٩٧٣ بالاسلحة التي طلبوا الحصول عليها لمهاجمة العمق الاسرائيلي ولكن بعد مرور بضعة اشهر اتضح للاستخبارات العسكرية، ان هذا الافتراض كان خاطئا، ففي النصف الثاني من عام ١٩٧٣ وصلت الى دائرة الابحاث انباء اولية تفيد بأن السوفيات زودوا مصر بقواعد لصواريخ ارض ـ ارض متوسطة المدى من نوع سكاد، كما تبين ان السوفيات التزموا لاول مرة بتزويد مصر في نهاية عام ١٩٧٣ بطائرات مقاتلة من نوع ميج ٢٣.

استعدادات ازرق ـ ابيض

منذ بداية نيسان ١٩٧٣ بدأت تتدفق على مجموعة الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية انباء كثيرة حول استعدادات عسكرية قصوى على الجبهة الجنوبية كما تحدثت الانباء عن وصول قوات عراقية وجزائرية الى مصر.

وتحدثت بعض هذه الانباء التي وصلت من مصادر سرية عن تاريخ الخامس عشر من ايار بأنه الموعد الذي حدده السادات لشن الحرب، ونتيجة لهذه الانباء عقدت رئاسة الاركان الاسرائيلية عدة اجتماعات لبحث الموقف ووضعت في الجيش الاسرائيلي كله خطط عملية للدفاع والهجوم واتخذت اجراءات

مختلفة لتعزيز كفاءة الجيش، وحظيت اجراءات الاستعدادات هذه باسم ـ ازرق ـ ابيض.

في ٩ ايار ١٩٧٣ تم عرض تقدير الموقف والخطوط امام رئيسة الحكومة غولدا مئير وحضر النقاش وزير الدفاع موشه ديان ورئيس الاركان الجنرال دافيد العازار (ددو) ورئيس شعبة الاستخبارات العميد ايلي زعيرا، وفي هذا النقاش عرض رئيس الاستخبارات مجموعة الانباء والدلائل التي تجمعت والتي تشير بالاضافة الى تقديرات دائرة الابحاث الى ان معقولية اندلاع حرب متدنية جدا. واضاف اننا كلما حاولنا اكثر فاننا لا نجد دلائل تشير الى رفع هذه المعقولية.

اما تقديرات رئيس الاركان فكانت مختلفة، فقد وافق على قول شعبة الاستخبارات بأن معقولية الحرب متدنية ولكنها ليست متدنية جدا، فعلى العكس فقد اعتقد (ددو) بأن معقولية وقوع حرب شاملة اصبحت اعلى من اي وقت مضى منذ عام ١٩٦٧.

لقد انقضى شهرا نيسان وايار ١٩٧٣ دون ان تطلق طلقة واحدة، وثبت هنا انتصار تقديرات دائرة الابحاث التي استبعدت وقوع الحرب، وفي اواسط شهر آب الغيت تماما حالة الطوارىء بين القوات الاسرائيلية.

اما في الجبهة الشمالية فقد اكتشفت الاستخبارات الاسرائيلية في مطلع الصيف ان السوريين بدأوا يقيمون في القسم الجنوبي من هضبة الجولان شبكة متراصة من صواريخ ارض ـ جو وغطت هذه الشبكة تدريجياً جزءاً من الاجواء الاسرائيلية وفي بداية شهر آب، وبدون أي سبب ملحوظ، بدأ السوريون يعززون جهاز الطوارىء الامامي الذي خفف قبل ذلك بعدة اشهر.

وحتى بداية شهر ايلول حشد السوريون ثلاث فرق من المشاة على الخط الامامي ومجموعة دروع من الخلف وهذه القوة تشبه القوة التي حشدت هناك خلال حوادث الشتاء ١٩٧٢/١٩٧٣.

وقد اعطت دائرة الابحاث لهذه اليقظة السورية بما في ذلك نصب شبكة الصواريخ تفسيرا بدا وكأنه منطقي: في السنوات السابقة كانت هذه النشاطات تجري فورا في بداية الصيف ولكن بما ان السوريين تأخروا هذا العام بإخراج قواتهم للتدريب واعادة التنظيم فإنهم تأخروا ايضا بإعادتها الى معسكراتها الثابتة في هضبة الجولان، اما نصب شبكات اطلاق الصواريخ التي وصلت لتوها

من الاتحاد السوفياتي فقد فسر على أنه جهد سوري لاغلاق الفجوة التي كانت قائمة انذاك في جهاز الدفاع الجوي للجبهة، ولكن رغم هذا التقدير فقد اتخذت في الجانب الاسرائيلي وسائل دفاعية وحددت الرحلات الجوية العسكرية والمدنية في أجواء هضبة الجولان.

اما على الحدود المصرية فقد واصلت المراقبات الاسرائيلية إرسال الانباء عن تدريب الجنود المصريين على افتراق الكثبان الرملية العالية الموجودة على طول خط بارليف.

وفي ايلول ١٩٧٣ بدأ المصريون باعداد طرق نزول الى المياه في الواجهة الجنوبية للقناة، وطلب المصريون من الامم المتحدة ابلاغ اسرائيل بأنهم يقومون باعمال ترابية روتينية.

في ١٣ ايلول ١٩٧٣ قام سلاح الجو الاسرائيلي بطلعة عميقة في الاراضي السورية لاغراض التقاط صور جوية، وخلال الاشتباك الذي وقع بين طائرات سورية وطائرات اسناد من سلاح الجو الاسرائيلي تم اسقاط ١٢ طائرة سورية وطائرة اسرائيلية واحدة، وفي اعقاب القتال اكتشفت الاستخبارات الاسرائيلية خطوات طوارىء ليس في سلاح الجو السوري وانما في سلاح الجو المصري، وفسرت هذه الظاهرة بأنها ناجمة عن الخوف من التعرض لعملية عسكرية محتملة من قبل اسرائيل ضد مصر.

لقد كشفت المعركة الجوية التي وقعت في ١٣ ايلول ضعف السوريين، ولهذا السبب خشي المصريون من ضربة مشابهة قد توجه لسلاحهم الجوي.

في النصف الثاني من شهر ايلول، وصلت الى الاستخبارات العسكرية معلومات تفيد برفع درجة الاستعداد بين قوات اخرى من الجيش المصري.

وفسرت هذه المعلومات على انها «خطوات دفاعية تعبر عن الخوف من هجوم اسرائيلي مفاجىء».

لقد واصلت درجة الاستعداد ارتفاعها وهبوطها بين الحين والآخر في الجيشين المصري والسوري منذ المعركة الجوية، واكتشفت دائرة الابحاث نشاطات جادة في المجموعات والوحدات التابعة للجيشين الثاني والثالث، المرابطة في منطقة القناة، ولكن التقديرات كانت أن هذه النشاطات هي نشاطات تدريب عادية لاجمال عام التدريب، الذي يقام سنويا.

في ١٧ ايلول اشترك رئيس الاستخبارات العميد ايلي زعيرا في نقاش استراتيجي جرى في رئاسة الاركان، واستمر تقدير الموقف الاستراتيجي يقول، ان العرب رغم رغباتهم غير قادرين الان على شن حرب ذات احتمالات نجاح ما، بسبب التفوق الجوي الاسرائيلي، ولكن عندما تزداد قوة العرب وقدرتهم على التغلغل في العمق الاسرائيلي بواسطة الطائرات وصواريخ ارض ـ ارض، ويطرأ تحسن كبير على انواع دباباتهم فإن هذا التقدير سيتغير، (فقد ظنوا انذاك وبحق ان لواء صواريخ سكاد الذي حصل المصريون عليه لن يكون جاهزا للعمل قبل عام ١٩٧٤) ولكن المسؤولين في الاستخبارات العسكرية اعتقدوا بأنه حتى بعد ذلك لن يكون زعماء الدول العربية قادرين على قهر الجيش الاسرائيلي، ولكن من الممكن ان يشنوا حرب استنزاف، ولكن هذا كله ليس متوقعا الا بعد عدة سنوات وعلى اقرب وقت في نهاية عام ١٩٧٥.

استقدام قوات نحو القناة

في ليلة ٢٥/٢٤ ايلول كشفت الاستخبارات لاول مرة عملية استقدام قوات مصرية اخرى الى منطقة القناة، ففي البداية وصلت معلومات حول تحرك فرقة مصحوبة بوحدة شرطة عسكرية وفي الايام التي تلت ذلك وصلت انباء حول تحرك اليات محطمة بقوارب من منطقة القاهرة الى منطقة القناة، وحول رفع درجة الاستعداد في الجيش المصري ووقف الاجازات وتأجيل فحوصات الترفيع للضباط في الجيش المصري من بداية شهر تشرين اول وحتى شهر تشرين ثان.

قبيل نهاية شهر ايلول علمت الاستخبارات بدعوة الدفعة التي احيلت الى الاحتياط في الاول من تموز ١٩٧٢، والاول من كانون ثان ١٩٧٣ لاغراض التدريب.

ومما يؤسف له ان اعتقادات دائرة الابحاث التي وضعتها في الخامس والعشرين من ايلول والقائلة بأن الهدف من حشد القوات المصرية هو المساهمة في المناورات التي جرت في منطقة القناة، تلك الاعتقادات تحققت بعد ذلك بعدة ايام عندما وصلت انباء اولية حول مناورة استراتيجية ـ عملية ينوي المصريون اجراءها في منطقة القناة بين الاول والسابع من تشرين اول عام ١٩٧٣، واعطيت

هذه المناورة اسم «تحرير ٤١» وموضوعها احتلال سيناء.

وقالت الانباء التي وصلت الى الاستخبارات العسكرية ان هذه المناورة ستدار على اعلى مستوى أي من قبل القيادة العامة للقوات المسلحة برئاسة وزير الحربية وعلم انه سيطبق في هذه المناورة التعاون بين القيادات والاسلحة ثم سيتم استخدام قوات كبيرة وستجند وحدات احتياط، وستقام اعمال تحصينات كثيرة وتعرف المسؤولون في دائرة الابحاث جيدا على نظام مناورة «تحرير» التي كان الجيش المصري يجريها كل عام في منطقة القناة، وفي هذه المرة زودت الانباء التي ترددت عن المناورة، والتي وصلت من مصادر جيدة شرطا منطقيا، على ما يبدو لجميع خطوات الاستعداد التي اتخذها الجيش المصري.

ولهذا كتب في تقدير الموقف يومي ٢٩ و٣٠ ايلول أن الجيش المصري سيبدأ اعتبارا من يوم الاثنين الاول من تشرين اول مناورة واسعة النطاق على غرار مناورة «تحرير» التي جرت في منطقة القناة في كانون اول ١٩٧١.

وفسرت العمليات المختلفة التي نفذها المصريون مثل تزويد القيادة والقيادات بطواقم جديدة، ووقف الدورات في معاهد التدريب، واعادة افراد الدورات لوحداتهم، واعداد مطارات امامية على انها عملية تحضير للمناورة او كمواضيع عمل سيتم اختيارها خلال المناورة، وكذلك فسرت المعلومات الاخرى حول رفع درجة الاستعداد في سلاح البحرية على انها ايضا جزء من المناورة الخاصة بقوات الاسطول التي ستبدأ هي الاخرى في اليوم الاول من تشرين اول.

مقابل المعلومات حول التحضيرات في الجيش المصري للبدء بمناورة «تحرير ٤١» تجمعت في دائرة الابحاث في النصف الثاني من شهر ايلول معلومات حول زيادة درجة الاستعداد في الجيش السوري ايضا، فهناك ايضا، الغيت الاجازات وجندت السيارات المدنية، واعيد القادة والجنود الاحتياط للخدمة الفعلية وكانت الاعتقادات تشير الى انه من الناحية الفنية فإن الجيش السوري قادر على شن الحرب خلال وقت قصير من اعطاء الامر، ولكن مع هذا اشارت الاعتقادات التي وضعتها دائرة الابحاث في السادس والعشرين من الشهر الى ان سوريا وحدها لا تستطيع الخروج الى الحرب، اذ ان زعماءها يفهمون حجم الثمن الباهظ الذي سيدفعون وبما ان مصر «كما اشار التقرير» لا تنوي الخروج الى الحرب، فإنه من غير المتوقع اعلان حرب شاملة، وقد قبلت رئاسة الاركان هذا الاعتقاد ولكن بما

ان ذلك كان عشية رأس السنة، فقد قررت اعلان حالة الطوارىء في الجبهة الشمالية.

وبناء على المعلومات التي تدفقت على جهاز الاستخبارات طيلة ايام رأس السنة فقد عقدت رئاسة الاركان في يوم الاحد الثلاثين من ايلول اجتماعا تم خلاله اطلاع المسؤولين في رئاسة الاركان على آخر الانباء، وفي هذا الاجتماع عرضت الصورة التالية:

في سوريا جميع قوات الجيش اصبحت في حالة طوارىء قصوى، ومستعدة للهجوم دون الحاجة الى استعدادات اخرى، وقد اصبح هذا الحشد كاملا ولم يسبق له مثيل في السابق، ولكن بما ان الاعتقادات تشير الى ان سوريا لا تستطيع الخروج الى الحرب بدون مصر فإن السؤال الذي طرح نفسه هو ماذا يجري في مصر؟؟ فعرض رئيس الاستخبارات عمليات التحضير التي تجري في الجيش المصري استعدادا للمناورة التي بات من المتوقع ان تبدأ في الاول من اكتوبر، واضاف: ان الخطاب الذي القاه السادات في الثامن والعشرين من ايلول لم يرد اي ذكر لحرب حقيقية فيه، على الرغم من ان تحرير الارض جاء في هذا الخطاب على أنه مهمة وطنية من الدرجة العليا.

لقد قال «حانوخ بارطوف» في كتابه «ددو» انه لم يجد في كل ما قيل له او قرأه اي انسان كان يتوقع في هذه المرحلة حرباً شاملة او يشك في قدرة الجيش الاسرائيلي على العلم بهذه الحرب قبل وقوعها ـ اذا اقترب موعدها.

انباء حول هجوم

في صباح يوم الاول من تشرين اول، وصلت الى الاستخبارات العسكرية انباء من مصادر معينة تقول انه سيبدأ في اليوم الاول من اكتوبر هجوم سوري/ مصري شامل ضد اسرائيل، وقالت الانباء ان مصر اتخذت قرارا لعبور القناة والوصول الى ممرات الخبرى والمتلا، وفتح قناة السويس امام الملاحة والتسبب في استئناف المفاوضات السياسية حول انسحاب اسرائيل نتيجة لتدخل الدول العظمى.

وقد انضمت هذه المعلومات كما هو مفهوم الى مجموعة المعلومات التي

وصلت عن المنـاورة الكبـرى، التي كان من المقـرر ان تبـدأ في ذلك اليـوم، والتي تجمعت حتى ذلك الوقت وواصلت التـدفق، ولم تحـدث تغيـيرا في التقدير بالنسبة لماهيـة التحـركـات في منـطقـة القناة، وخلال اليوم الاول من اكتوبر وصلت انباء اخرى حول تزايد الاتجاهات المقلقة الناجمة عن حشد قوات لم يسبق له مثيل في منـطقـة القناة، وتجنيد قوات الاحتياط وتحركات واسعة للقوات من اماكن مختلفة في مصر نحـو الجبهـة واعـلان حالة الطوارىء القصوى ليلاً في الجيش المصري، واجراءات حماية في مصر نفسها، وخاصة بين شبكة الدفاعات الجوية وسلاح الجو.

وفي اليـوم الاول من اكتـوبـر يوم الاثنـين ابلغ العميد ايلي زعيرا، اجتماعا لرئـاسـة الاركـان بوجـود وضـع عسكري خاص في الجبهتين، وذكر بداية مناورة كبـرى في الجيش المصري على مستـوى القيادة العامة «تحرير ٤١» التي تنفذ في اطارها تحركات لفرق آلية ووحدات تجسير ومظليين ووحدات محمولة جوا باحجام هائلة.

ومـع هذا قال رئيس الاستخبـارات انـه يعتقـد انه لا توجد اية نية لتحويل المنـاورة الى حرب. وقـد قبـل رئيس الاركـان ووزيـر الدفـاع الذي حضر هذا الاجتماع، هذا الرأي.

وقـد وصلت مثـل هذه المعلومـات عن الجبهـة السـورية ايضا، فالسوريون اصبحـوا يعـززون قواتهم، ولكن الاستخبـارات العسكـرية اعتقدت انهم يقومون بذلك خوفـا من قيـام اسرائيـل بضربـة مفاجئة، وليس من اجل الخروج الى حرب مخطط لها.

وفي سوريـا ولبنـان تحـدثت وسـائـل الاعلام عن اعلان حالة الطوارىء في الجيش السـوري خوفـا من هجـوم مفاجىء تقوم به اسرائيل، (الحياة ٢ اكتوبر) وقـد عززت هذه الحقـائق اعتقادات دائرة الابحاث بأن جميع القوات السورية في حالة استعداد للحرب فقط خوفا من هجوم اسرائيلي.

في الثـاني من اكتـوبـر تحـدثت وكـالة الانبـاء المصريـة عن اعـلان حالة الطوارىء في الواجهـة الشمالية والوسطى لقناة السويس، وفي هذه المرحلة شغلت في مصر مواقـع القيـادة الامـامية التابعة للقيادة العامة وقيادات الجيوش في اطار منـاورة «تحرير ٤١» وفي ليلة ما بين الاول والثاني من اكتوبر نقلت آليات ومعدات

عبـور الى الجبهـة، ولاحـظت مراقبـات الجيش الاسرائيلي على طول القناة، جنودا يحملون اسلحـة ويضعـون خوذاً فولاذيـة، وفي بعض الامـاكن لاحظوا رفع شباك التمـويـه من على المـدافـع واعمال تنفيذ على ضفة القناة، في العشرات من النقاط التي اعـدت قبـل ذلك لانـزال معـدات لعبـور القناة، ولكن جميع هذه النشاطات فسرت على انها جارية في إطار المناورة.

وبنـاء على تجـارب المناورات السابقة، تنبأ رجال الابحاث في الاستخبارات انـه سيتم في الايام القليلة القادمة استقدام الذخائر والتمويه والمعدات الهندسية الى واجهـة معينـة وانـه من المتوقع في نهاية المناورة استخدام حقيقي لقوات على مستوى فرقتين ضد بعضهما البعض.

وبلغت رئيس الاركـان ووزيـر الدفـاع ومكتب رئيس الحكومة بالاضافة الى المعلومـات حول المنـاورة معلومـات متقطعة من مصادر استخبارية اخرى اشارت بصـورة او بأخـرى الى نيـة المصريـين والسوريين مهاجمة «اسرائيل» بل ووضعت اسلوب الهجوم، ولكن حتى هذه المعلومات لم تغير تقدير الموقف الذي حدد والقائل بأن الاستعـدادات في سوريا هي دفاعية كما التحركات الضخمة للجيوش المصرية هي في اطار المناورة «تحرير ٤١».

في كلمـة القـاهـا امـام «المـجلس الامني» استعـرض مسـاعـد رئيس الاستخبـارات للابحاث العميد الثاني «آريه شليف «الانباء التي تحدثت عن رغبة مصر وسـوريـا لاستئنـاف الحـرب، وقـال انه بالنسبة للجبهة المصرية توجد انباء حقيقيـة عن المنـاورة واضـاف انه يعتقد بأن موضوع المناورة هو احتلال سيناء، وردا على سؤال وجهـه اليـه رئيس الحكـومـة اكد شليف ان السوريين والمصريين يستـطيعـون بسرعـة قلب الصـورة من الدفاع الى الهجوم، ولكنه استبعد امكانية خروج هاتـين الدولتـين الى الحرب، وردا على سؤال آخر اعترف شيلف ان الحياة في مصر غير طبيعية. في هذه المرحلة كانت تعقد اجتماعات يومية في رئاسة الاركان للوقوف على آخر التطورات.

وابتـداء من ليلة ٢/٣/ اكتـوبـر تزايـدت الانباء التي تحدثت عن مخاوف مصر من احتمـال استغـلال اسرائيـل لصـوم رمضـان او حشـد القوات في اطار المنـاورة، كحجـة لمهاجمة اهداف ومواقع امامية في مصر، وكان هذا ايضا التفسير لحـالة الطوارىء التي صدرت للقـوات المصريـة نفسها من قادتها، ولهذا اعتقدت

دائـرة الابحـاث في الاستخبارات العسكرية ان النشاطات التي يقوم بها المصريون على الطبيعة هي في الواقع ذات طابع دفاعي وناجمة عن اعلان حالة الطوارىء القصوى.

وفي يوم الاربعـاء الثـالث من اكتوبر لم تتغير الصورة، ففي مصر استمرت عمليات الاستعداد في اطار المناورة، ولكن التقارير كانت تفيد انه على الرغم من ان الجيش كله في حالة طوارىء قصوى فانه لا توجد دلائل على نشاطات عسكرية شاذة.

وفي الواقــع ابلغت مراقبـات الجيش الاسرائيــلي بوجـود تحركات غير عادية للقـوات المصريـة على الخـط (وخاصة وحدات مدرعة ومعدات عبور) وبازدياد عدد الزيــادات التي يقــوم بها الضباط المصريون الكبار لخط القناة، ولكن هذه التقارير فسرت من قبل دائرة الابحاث على انها نشاطات تتم في اطار المناورة.

وفي ظهــيرة يوم الخميس الرابع من اكتوبر وصلت من الجنوب والشمال معا انبـاء حول اوامـر صدرت للجيشـين المصري والسوري بالانتقال الى حالة التأهب القصوى والاستعداد للقتال.

وكـان تفسـير الاستخبـارات العسكـريـة لهـذه الانبـاء هو ان الاستعـداد التمهيـدي لبـدء الحـرب في الجبهة المصرية هو قمة ذلك الجزء من مناورة «تحرير ٤١» الذي طبق فيــه التعاون بين الاسلحة، تحريك قوات بصورة حقيقية، واشارت تلك الاعتقـادات الى انــه من الان فصــاعدا ستتحرك جميع القوات تمهيدا لانهاء المنــاورة يوم الســابــع من اكتــوبر، وفي هذا اليوم ايضا لم يكن هناك من يعارض وجهة نظر الاستخبارات العسكرية.

الصــــور التحــذيريـــة

في الواقـــع ان الرأي القـــاطع للاستخبـــارات بالنسبــة للمنـــاورة في مصر، والاستعـدادات الدفـاعية في سوريا لم يبرز الارتباكات والترددات التي احتلت في ذلك الاسبــوع المــلىء بالانبــاء المثيرة للقلق عقول وقلوب رجال دائرة الابحاث، لقد كانت هذه الارتباكات بنسبة كبيرة، ثمرة الانباء التي اشارت الى ان مناورة «تحرير ٤١» لا تجــري كمنــاورة وفي كل يوم تضاف دلائل تشير الى ان شيئا غريبا يجري في المنطقة.

كمـا ساهمت في الارتبـاكات والمخاوف انباء اخرى، اشارت الى ان المصريين ينوون فعلا شن الحرب.

هذه الانبـاء لم تلق في الجـواريـر، وانما اصبحت موضوع دراسة يومية في نطاق المناقشات التي اجرتها دائرة الابحاث ولكن نتيجة هذه المناقشات كلها كانت في النهـاية واحدة، إعادة تبني الاعتقادات السابقة من خلال وضع علامات سؤال فقـط بالنسبـة للانبـاء المتناقضة، وعلى اية حال فإن الارتباك والقلق اللذين تعززا كلمـا اقتـرب السادس من اكتوبر لم يلاقيا ابرازا مناسبا في التقارير الاستخبارية التي عرضت على المسـؤولين، وهم رئيس الاركـان ورئيس الحكومة، ووزير الدفاع والوزراء الاخرون.

في الرابـع من اكتـوبر اجريت طلعة تصوير جوية فوق المواقع المصرية وذلك لاول مرة منـذ نهاية ايلول (فقد فشلت محاولة تصوير سابقة، بسبب عطل اصاب كمرة الطائرة.)

وقـد تم تحليـل الصور التي التقطت خلال هذه الطلعة في ليلة الخامس من اكتوبر وظهرت في هذه الصور ان عدد المدافع المصرية ارتفع خلال بضعة ايام من ٨٠٠ الى ١١٠٠ وان فرق المشـاة الخمس التي احتلت مواقع الطوارىء تقف على اهبـة الاستعـداد للحرب. واكتشفت في جميع القواطع التي تحتلها الفرق الخمس مراكز تجميع لمعدات تجسير وعبور.

وفي هذه الطلعـة اكتشف لاول مرة ان جميـع الانفـاق الارضية المخصصة لتخـزين معـدات العبـور والتجسـير قد تم احتـلالها جزئيا، واكتشفت في ساحات معـظم مواقـع الدبـابـات فئـات كاملة من الدبابات بالمقارنة مع الدبابات المتفرقة والموزعة في هذه المواقع على طول القناة.

ان ضبـاط دائـرة الابحـاث في الاستخبـارات العسكرية الذين قضوا طيلة ساعـات الليـل في تحليل الصور يقارنون اليوم نتائج هذه الطلعة «بضربة مطرقة» نزلت على رأس الحـاضرين، فقـد قال احـدهم انه لو نفذت هذه الطلعة التصويرية قبل ذلك بعدة ايام لكانت الصورة الانذارية قد اتضحت فورا.

وعـلى ايـة حال فانه في اعقاب تحليل الصور الجوية كتب تقرير استخباري اولي في السـاعـة ٦,٥٥ صبـاحـا تحـدث عن النتائج الرئيسية دون أي تعليق او تقييم، باستثنـاء جملة واحـدة جاء فيهـا "لقـد تم في منطقة القناة احتلال مواقع

حربية بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل".

وفي الساعة ١٣,١٥ وبعد ان اعيدت دراسة الصور الجوية وبقية المعلومات التي وصلت للاستخبارات منذ منتصف ليلة الخامس من اكتوبر، كتب تقرير اخر اشتمل ثانية على النتائج الرئيسية ولكن هذا التقرير لم يكتف هذه المرة بذكر الحقائق فقط وانما اضاف تقييما مطمئنا:

أ . من المحتمل ان يكون احتلال مواقع الطوارىء احد المواضيع المطروحة للدراسة في اطار المناورة الكبرى.

ب . على الرغم من احتلال مواقع الطوارىء في جبهة القناة، يخبىء في طياته دلائل تشير الى وجود مبادرة هجومية فاننا نعتقد بأنه لم يطرأ أي تغيير بالنسبة للموقف المصري من ميزان التسلح بينهم وبين اسرائيل.

ولهذا فإن معقولية كون المصريين ينوون استئناف الحرب هي معقولية متدنية.

منذ بداية المناورة في مصر، كشفت دائرة الابحاث مجموعة كبيرة من الدلائل الشاذة على الجبهة السورية، فعلى سبيل المثال استقدمت الى الجبهة قوات لم تكن مرتبطة مطلقا بخطة الدفاع في هضبة الجولان، مثل اللواء المدرع، ومعدات تجسير وطائرات هجوم من نوع سوخوي، ولكن هنا ايضا كان الاعتقاد هو ان الجهد السوري يقصد به "الردع" بسبب المخاوف من عملية اسرائيلية.

في صباح يوم الجمعة، الخامس من اكتوبر وصل نبأ حول عودة سريعة لعائلات المستشارين السوفيات من سوريا الى الاتحاد السوفياتي، وخلال نفس اليوم اتضح بأنه تم ايضا اخلاء عائلات المستشارين العاملين في مصر، واكتشف جهاز جمع المعلومات في الاستخبارات العسكرية عملية هبوط طائرات نقل سوفياتية في المطارات السورية والمصرية لنقل عائلات المستشارين الى الاتحاد السوفياتي.

هذا الاخلاء السريع اثار قلقا كبيرا في الاستخبارات، وفي ساعات ما بعد ظهر يوم الجمعة، وصل الى دائرة الابحاث خبر اخر اشار علنا الى اتجاه حربي وانه من الصعب مقارنة هذا الخبر مع افتراضية "الانتشار الدفاعي" "والمناورة" لقد قالت لجنة اغرانات انه في صباح يوم الجمعة بدأ ايمان الاستخبارات العسكرية بصدق تقديرها ينهار. ولكن لم يستخلص بعد النتيجة الصحيحة.

وخــلال الاجتمــاع الذي عقد صباح يوم الجمعة، سئل رئيس الاستخبارات قبـل رئيس الاركـان فيمـا اذا كانت توجـد لديـه ادلة بعدم وقوع حرب؟؟ فأجاب العميد زعيرا انه لا توجد لديه ادلة، ولكنه يمتلك دلائل تشير الى هذا الاتجاه.

وجـاء في التقـريـر الاول الذي اعدته لجنة اغرانات ان رئيس الاستخبارات ابلغ وزير الدفاع انه ينتظر خبرا من مصدر آخر، سيصل يوم الجمعة وهذا الخبر سيعطي مؤشرا آخر حول نوايا العدو، وقالت لجنة اغرانات ان الخبر لم يصل يوم الجمعــة وانمــا وصــل في فجــر يوم السبت غير ان رئيس الاستخبـارات لم يكن مسؤولا عن التأخير.

وفي يوم الجمعــة بعــد الظهــر عقـد اجتمـاع آخـر في دائـرة الابحـاث في الاستخبـارات العسكـرية، ولكن هذا الاجتماع ايضا لم يتسبب في تغيير المعقولية المتـدنيـة للحـرب، وذهب المشتـركـون فيه الى منازلهم لقضاء يوم الغفران، بقلوب مثقلة، ولكن في نفس تلك الليلة تم استدعاؤهم ثانية الى مكاتبهم.

لقـد تغير رأي الاستخبارات العسكرية في السادس من اكتوبر، يوم الغفران في السـاعــة ٣٠ر٤ صباحا، بعد تسلم الخبر الواضح، ففي ذلك الوقت رن جرس الهـاتف في منـازل ضبـاط الاستخبارات وعدد آخر من كبار الضباط، وكان الخبر الذي ابلغوا به جميعا واحدا وهو: ان الجيشين المصري والسوري ينويان مهاجمة اسرائيل في الساعة ٠٠ر١٨ بعد ظهر اليوم، وسيبدأ الهجوم في آن واحد في جبهتي السويس والجولان.

اسبـــاب الفشـــل

ان التـاريـخ مليء بالانتكـاسـات الاستخبـارية، فالتطور التكنولوجي وتلون مصـادر الاستخبـارات واساليب جمع المعلومات المتقدمة، لم تحل حتى الان دون وقـوع مفـاجـآت استراتيجية، وكذلك فإن التعزيز المستمر لوكالات جمع المعلومات على اختلاف انواعها لم يضمن منع وقوع المفاجأة.

ان الكتب العلميـة والعسكـريـة مليئـة بالابحـاث التي تحاول شرح وتبرير وتحليل اسباب المفاجأة والفشل الاستخباري، ولكن في اطار دراسة هذا الفشل او ذاك اتضح اكثر من مرة ان الفشل يحدث عن اسباب عديدة.

لقـد حملت الصـدمـة العنيفـة التي احدثتها حرب يوم الغفران في اسرائيل

لمعظم المسؤولين عنها، المجموعة الاستخبارية، عامة، والاستخبارات العسكرية خاصة فلجنة اغرانات التي شكلت للتحقيق في جذور المفاجأة، التي احدثتها حرب يوم الغفران، اوصت بأدخال تغييرات في بنى المجموعة الاستخبارية، وحملت اربعة مسؤولين في الاستخبارات العسكرية المسؤولية الشخصية عن المفاجأة.

ولكن خلال الجدل الذي دار بعد الحرب على مستوى الشعب الاسرائيلي برز هؤلاء الذين اشاروا الى ان الاستخبارات العسكرية والمجموعة الاستخبارية عامة ليست وحدها المسؤولة عن المفاجأة، ففي مثال نشره في السادس من كانون ثان عام ١٩٧٤ رئيس الاستخبارات السابق، العميد الاحتياط يهوشفاط هاركابي قال: ان مفاجأة يوم الغفران تكمن في النظريات التي سادت اوساطا واسعة من الشعب الاسرائيلي وليس فقط بين السلطة واجهزتها، وبمناخ اسرائيل السياسي منذ حرب الايام الستة.

وكانت النتيجة الحتمية لهذه النظريات التي استهانت بتقلبات الصراع العربي - الاسرائيلي على حد قول هاركابي هي الفشل في تقييم قوة المقاومة العربية للتسوية مع اسرائيل، ومن هنا نجمت حالات التقليل من اهمية الاستعدادات العربية للحرب، والشكوك في جدية هذه الاستعدادات، كما تسببت هذه النظريات في تحويل الانظار عن القرار الصارم للعرب لشن الحرب وعن تقدير مدى مخاطرتهم في هذه الحرب، كما تسببت في استهانة اسرائيل بالدوافع العربية للتعلّم من اخطائهم في الماضي، وتغيير اشكال تصرفاتهم السابقة.

يقول هاركابي : لقد استطاعت هذه الميول العامة ايضا التأثير على الجيش الاسرائيلي عامة وعلى الاستخبارات خاصة، وعلى الرغم من انه يجب مطالبة الاستخبارات بالارتفاع الى مستوى المسؤولية والاشارة الى الاخطار والتحذير منها فإنه يجب ان نتذكر بأن الدافع الى التمسك بالتقاليد قد اثر أيضا على رجال الاستخبارات.

هــــزات «واشـــارات»

ان القـاسم المشترك لفشل الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في حرب يوم الغفـران، والعـدد من الامثلة التاريخية على فشل استخبارات اجنبية هو: ان هذه الانتكـاسـات لم تأت عن قلة المعلومـات او الدلائـل المـؤشرة والمحـذرة، وانما عن التقييم غير الصحيـح لهذه المعلومات، فجهاز جمع المعلومات التابع للاستخبارات العسكـريـة رغم انـه لم ينجـح في ان يعلم سلفـا باتخـاذ القرار من قبل الزعامة المصريـة للخـروج الى الحـرب، تدفق العـديد العديد من المعلومات على كل عناصر الاستخبـارات حول نشـاطات العـدو، وخـططه واعداداته للحرب، وقوته وتوزيعاته والاسلحة المتطورة التي يمتلكها، ولكن هذه المعلومات لم تفهم ولم تفسر التفسير السليم.

ان مثـل هذا الامر اتضح من بحث وضع حول اسباب المفاجأة اليابانية في خليـج برل (بـرل ـ هاربـر) في الحرب العالمية الثانية، ان الاستخبارات الامريكية فشلت في قدرتهـا على التنبـؤ بالهجـوم اليـاباني، وذلك ليس بسبب قلة المعلومات المنـاسبـة ولكن بسبب كثـرة المعلومـات غير المناسبة، وميزت كاتبة البحث روبرتا ولستـاتـر بين الاشـارات والهـزات، فقـالت ان الاشـارات هي المعلومات المناسبة المتقـطعـة التي تستـطيع توجيه المسؤول في دائرة الابحاث الوجهة الصحيحة في حين ان الهـزات هي المعلومـات المضللة والمضللة عن قصـد، او غير المنـاسبة ان احـد الاسبـاب لوجود مثل هذه الهزات يتعلق بالجهود الاستخبارية التي يقوم بها العدو لتسريب المعلومات المضللة وتوجيه العدو الوجهة غير الصحيحة.

ان لجنـة اغـرانـات التي شكلت برئـاسة قاضي المحكمة العليا انذاك التي شكلت برئـاسة قاضي المحكمة العليا انذاك شمعون اغرانات والتي قدمت في شهر نيســان ١٩٧٤ تقريرها الاول حول اسباب المفاجأة لم تتطرق مباشرة الى موضوع الهـزات، ولكن اتضـح من التحليل الذي اجرته للاشارات التي التقطت واشتملت كمـا قالت اللجنــة، على معلومـات محـذرة جدا، عن استعـدادات العدو في خطوط الجبهـة، تلك الاستعـدادات التي لم يسبق لهـا مثيل بالنسبة لحجم القوات مثل

الصور الجوية التي اشارت الى التعزيزات المهددة، ان اللجنة تعتقد بأن الاشارات كانت كثيرة وواضحة الى حد انه كان من الواجب ان تغطي على الهزات المختلفة التي وفرت الاساس للافتراض بأن المقصود هو مناورة كبيرة في مصر.

ومقابل هذا اصر عدد من الباحثين الذين درسوا فشل الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في حرب يوم الغفران على ان اعضاء اللجنة اكدوا فعلا، انه خلال توجيه الانتقادات للاستخبارات العسكرية، كانوا حذرين من الوقوع في مصيدة «الحكمة بعد العمل» ولكن مع هذا فانه لم يتضح فيما اذا اخذوا بعين الاعتبار فعلا الحقيقة القائلة بأنه بعد وقوع العمل تبرز تلقائيا ضرورة التمييز بين الهزات والاشارات وتبدو بشكل عام صورة اكثر وضوحا من الصورة التي بدت خلال العمل نفسه. وكان هنالك من تشدد اكثر وتساءل ما اذا حاولت لجنة اغرانات فعلا التمييز جيدا بين المعلومات المتقطعة التي بينت فيما بعد على انها هزات مثلما درست وحللت المعلومات التي اتضحت فيما بعد أي بعد وقوع العمل على انها اشارات؟؟

لقد عددت لجنة اغرانات في تقريرها الاول ثلاثة اسباب لفشل عناصر تقييم المعلومات:

السبب الأول :

تمسكهم الكبير بما كان يسمى بالتصور والقائل ان مصر لن تخرج الى الحرب ضد اسرائيل، الا اذا ضمنت لنفسها سلفا قدرة جوية على مهاجمة اسرائيل في العمق وخاصة المطارات الاسرائيلية الرئيسية لشل حركة سلاح الجو الاسرائيلي.

وان سوريا لن تخرج في هجوم واسع على اسرائيل الا في آن واحد مع مصر.

نتيجة لتجارب استخبارات مختلفة في العالم فانه يمكن القول بالتحديد ان تبني التصور لا ينجم عادة من لا شيء وانما يعتمد على تفكير جماعي وعلى تجارب كثيرة وغالبا ما يكون التصور هنا نظرية اثبتت نفسها في الماضي، وبعد تحليل نشاطات دائرة الابحاث في الفترة التي سبقت حرب يوم الغفران، تبين انه عندما تم تبني التصور لاول مرة، كان هذا التصور صحيحا وانه اعتمد على معلومات استخبارية ممتازة، (فقد قال احد رجال الاستخبارات، ان رجال سلاح الجو كانوا

شركاء في بلورة هذا التصور بل ووفروا له الاساس المهني ـ الفني، ان فشل دائرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية كان يكمن في انها لم تلاحظ قبل فوات الاوان التغيير الذي طرأ على نشاطات وتصرفات العدو ولم تصحح تقديراتها طبقا لذلك، وتشير احدى الروايات ان التغيير طرأ في اواخر عام ١٩٧٢ ومطلع عام ١٩٧٣ عندما بدأ المصريون يعدون للحرب، واشارت رواية اخرى الى ان هذا التغيير بدأ في آب ١٩٧٠ عندما استقدموا بطاريات صواريخ ارض ـ جو الى خط القناة.

وحول ذلك تقول لجنة اغرانات: لقد اتضح لنا بأن هذا التصور، الذي يمكن انه كان صحيحا في حينه، لم يدرس ويختبر جيدا وبالنسبة لقسمه الاول والحاسم (والمقصود هنا القسم القائل ان مصر لن تشن الحرب دون ان تضمن لنفسها تفوقا جويا لمهاجمة اسرائيل في العمق) وذلك على ضوء ضغط الظروف التي تغيرت ولهذا اصبح هذا التصور مرفوضا فعلا.

الجدل حول الانذار المسبق ـ عقيم

لسوء الحظ استطاع نجاح الاستخبارات في تقييماتها في شهر نيسان ـ ايار ١٩٧٣ ان يعزز من ايمان رجال الابحاث بصحة نظرياتهم وتصوراتهم وجعلهم يفسرون المعلومات المتراكمة في نهاية شهر ايلول وبداية شهر اكتوبر (بالنسبة للنشاطات على الجبهة المصرية) نفس التفسير الذي اعطوه للنشاطات التي جرت في نيسان ـ ايار وخاصة عندما تبين ان شكل توزيعة القوات المصرية وحجمها كان شبيها تقريبا للطابع والحجم لهذه القوات في شهر ايار.

اما عن موضوع التصور فقد تحدث في مقابلة صحيفة العميد شلومو غزيت الذي عين رئيسا لشعبة الاستخبارات العسكرية بعد اعلان التقرير الجزئي للجنة اغرانات وشغل هذا المنصب حتى مطلع عام ١٩٧٩ (وترأس دائرة الابحاث خلال حرب الايام الستة والسنوات التي سبقتها) قال غازيت: ان الاستخبارات العسكرية او أي هيئة أخرى تهتم بوضع التقارير الاستخبارية لا تستطيع ان تعمل ان لم تكن تعتمد على تصور ففي كل ناحية نقوم بدراستها وتفحصها نتوصل بسرعة الى عدة تصورات تتعلق بنفس الناحية، ام السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل اننا ملزمون بالتمسك بصورة غير مرنة؟؟؟ هذا هو الاتجاه الذي

اتهمت الاستخبارات العسكرية بالتمسك به قبل حرب يوم الغفران وليس التصور نفسه.

وفي معــرض حديثــه اكــد العـمـيــد غازيت، ان الخــطأ الذي ارتكبتــه الاستخبــارات العسكــريــة كان يكمن في تمسكهـا القـوي بالتصور، واضاف: ان الخطأ والاهمال يكمنان في عدم كونك منفتحا لاستيعاب ظواهر تتناقض مع تصوراتك.

اما السبب الثاني :

الذي عرضته لجنة اغرانات لفشل الاستخبارات فيكمن في موضوع الانذار الاستخبــاري المبكــر، فقــد وعــد رئيس الاستخبــارات الجيش الاسرائيلي بإعطائه الانــذار المبكــر حول نوايــا العــدو لشن حرب شاملة، ونقصد هنا انذارا في موعد يمكن من دعــوة منــظمــة لقــوات الاحتيــاط، وقالت لجنة اغرانات: لقد اعتبر هذا الموعد على انه الاساس لاعطاء الجيش الاسرائيلي مثل هذا الوعد، القاطع.

وفي مكــان اخــر من التقــريــر قالت لجنة اغرانات: ان رئيس الاستخبارات ومساعده الرئيسي (المسؤول عن دائرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية) فشلا في اعــطاء انذار كاف للجيش الاسرائيلي، اذ انه فقط في الساعة ٣٠ر٤ من صباح يوم الغفــران اعلن رئيس الاستخبــارات بنــاء على معلومــات جديدة تلقاها عن ان الحــرب ستبــدأ في الســاعــة ٠٠ر١٨ على الجبهتين، وهذا الانذار القصير لم يمكن من تجنيــد قوات الاحتيــاط بصــورة منــظمــة، ولم تدخل لجنة اغرانات في تقريرها الجــزئي في تحليــل مغزى الانذار الاستخباري كما لم تتطرق الى السؤال القائل: على ماذا اعتمد رئيس الاستخبارات عندما وعد باعطاء انذار مبكر، ومع هذا يمكن الاعتقاد بأن وعد رئيس الاستخبارات بالانذار الذي سيعطى قبل بداية الحرب بــ ٢٤ او ٤٨ ساعــة كان مبنيــا على نشــاطات معينة، كان يجب ان تنفذ في الجانب المعادي بما في ذلك تغييرات في استعداداته الجوية قبل بداية الحرب.

في كتــابــه (ددو٤٨ سنة و٢٠ يوما) اورد حانوخ بارطوف ما قاله بعض كبار الضبــاط العسكــريــين عن موضــوع الانــذار، فقــد قال احد الضباط المقربين من متخــذي القرارات، ان الجدل حول فيما اذا كان هناك انذار في حرب يوم الغفران ام لا؟ هو جدل عقيم، فتحــرك القــوات هو انــذار بحــد ذاته، ونقل معدات معينة

وتكـويمها واحتلال مواقع معينة كل هذه الامور تشكل انذارا مبكرا، فهل سيدعي شخص ما بأنه قد غاب عن انظارنا شيء ما في واجهة القناة؟؟ لقد كان هناك انذار ولكننا ببساطة لم نفهمه. هذا كل شيء.

وقال عميد سابق في الجيش الاسرائيلي لبارطوف: في اللحظة التي يقولون لي فيها ان هناك جيشين قد حشدا بقوة فريدة من نوعها وبمقدورهما ان يقتحمونا في كل لحـظة فإن هذا يشكل عندي انذارا، ومع هذا اضاف بارطوف يقول انه سواء هذين الجيشـــين ام غيرهمـا لم يشعـلا الضـوء الاحمـر في تلك الايام، اذ انه لم يصـدق أي شخص بأن العـرب سيجـرأون على الخروج للحرب وبالنسبة لقضية الانـذار قال العميـد (الاحتيـاط) يهـو شفاط هاركابي في مقال كتبه حول اسباب المفاجأة ان أي جهاز استخبارات يظل متعرضا لعقدة جوهرية صعبة، اذ انه عند اعطاء أي انذار، فإن الاستخبارات تخاطر في امكانية تكذيب هذا الانذار، في حالة ارتداع العدو، وعدوله عن نيته بسبب اعطاء الانذار.

فلليـابـانيـين على سبيل المثال كانت خطة لالغاء الهجوم على خليج برل، اذ اطلقـت صفـارات الانـذار في "هـاواي" فلو الغى العـدو هجـومـه لاصبحت الاستخبارات بمثابة منذر كذاب، ولأتهمت ببث الرعب والهلع، كما انه من المحتمل ان لا يكون هناك من يعرف بأن العدو قد الغى الهجوم بسبب الانذار.

وقد شرح رئيس الاستخبارات السابق اهارون يريف في مقابلة صحفية هذا المـوضـوع بقـوله: انـه قال منذ البداية انه يجب عدم بناء أمن اسرائيل فقط على الانـذار خاصـة وان معظم الجيش المصري محشود بين الدلتا والقناة، وعلى ضوء اكمال التحضيرات الارضية التي قام بها الجيش المصري لاجتياز القناة منذ عام ١٩٧١.

واضــاف ضابـط استخبارات اخر يقول: ان الثقة بقدرة الجيش الاسرائيلي على احبـاط كل مكسب عسكـري عربي قد ساهم مسـاهمـة فعـالة في التقليل من اهمية الانذار.

«لـون» المعلومات

وكـذلك تحدث العميد غازيت عن مسألة الانذار في حرب يوم الغفران فقال: ان الاستخبارات العسكرية بلغت في الوقت المناسب المعلومات التي كانت بحوزتها وعـلى أسـاس هذه المعلومـات وضـع الجيش الاسرائيلي يوم الجمعة الخامس من اكتـوبر تحت أقصى حالة تأهب شهدها من قبل، منذ حرب الأيام الستة، وقال ان فشـل الاستخبارات العسكرية لا يكمن في عدم التبليغ بالمعلومات وانما في «اللون» الذي صبـغـت به المعلومـات وانـه من المحتمـل انـه بسبب هذا اللون لم تكن الاجـراءات التي اخذها الجيش الاسرائيلي كافية، اذ انهم لو رأوا الامور على انها اشد واخطر لقالوا دعونا لا نكتفي باعلان حالة الطوارىء وان نجند جزءاً من قوات الاحتياط ولكن هذا لا يتم.

اننـا عنـدمـا نأتي الى تحليـل اسبـاب فشـل دائرة الابحاث فلا بد لنا ان نتوقف قليلا عند ماهية المعلومات التي كانت بحوزة رجال الابحاث، على الرغم من انه لأسباب واضحة لا نستطيع التوسع في الحديث عن هذا الموضوع.

لقـد قالت لجنـة اغـرانـات في تقريرها الجزئي الذي اصدرته في الثاني من نيسان ١٩٧٤ ما يلي:

«خـلال الأيـام التي سبقت حرب يوم الغفـران كانت دائـرة الابحـاث في الاستخبارات تمتلك معلومات محذرة جداً، وصلتها عن طريق دائرة جمع المعلومات داخل الاستخبارات العسكرية وعن طريق هيئات جمع معلومات أخرى في «الدولة»، ان الاستخبـارات /الابحـاث/ ورئيس الاستخبـارات لم يقيمـوا تقييمـاً صحيحاً الانـذار الذي تنـطوي عليـه هذه المعلومـات وذلك من خلال تمسكهم النـظري بالتصـور واستعدادهم لتبرير توزيعات العدو في خطوط الجبهة، مفترضين بأن كل هذا يشـير فقط الى توزيعات دفاعية في سوريا والى اجراء مناورة واسعة النطاق في مصر، على غرار المناورات التي جرت هناك في الماضي.

كمـا هو معلوم فإن البحث يستمـد معلومـاتـه من وكـالات جمـع معلومات

مختلفة وملونة بعضها سرية (رصد، وعملاء، وغيرهم) وبعضها مكشوفة (صور جوية متابعة الصحف، ووسائل الاعلام الأخرى، واتصالات دبلوماسية وغيرها، ويواجه رجال الاستخبارات بصورة دائمة المشكلة الصعبة المتعلقة بتقييم القيمة النسبية والفائدة المتوخاة من وكالات جمع المعلومات المختلفة والمصادر المختلفة في كل واحدة من هذه الوكالات.

لقد جرت عملية التقييم من خلال تأكيد حقيقة المعلومات التي وردت من احد المصادر بالمقارنة مع تلك التي وردت من مصدر آخر، ونتيجة لهذه العملية التي استمرت سنوات تكون بصورة طبيعية «سلم درجات» للوكالات والمصادر المختلفة في الواقع ان هذا ليس سلم درجات لا يمكن تغييره بل كان يختبر ويفحص في كل يوم من جديد ولكن في الواقع يوجد وزن للتجربة التي تجمعت بالنسبة لنوعية وجودة المعلومات التي مررها كل عنصر من عناصر جمع المعلومات.

يمكننا القول بأن المعلومات التي تجمعت في دائرة الابحاث حول تحرك القوات المصرية نحو منطقة القناة ابتداء من ليلة ٢٤/٢٥ ايلول، وحول المشاورة العسكرية المصرية، اعتباراً من ٢٨ ايلول وردت من وكالة جمع معلومات لم يكن هناك مكان للشك في سلامة وصحة تقاريرها، وبالاضافة الى ذلك فإن المعلومات التي وردت من هذه الوكالة كانت تسبق دوماً المعلومات التي تصل من وكالات معلومات أخرى، وكانت أكبر بكثير من المعلومات التي وردت من وكالات جمع معلومات أخرى، ولكن حدث هذه المرة ان المعلومات التي وردت من هذه الوكالة (الموثوق بها) تحدثت معظمها عن استعدادات لمناورة عسكرية كبرى.

وان عدداً من مصادر الوكالات الأخرى فقط قد تحدث فعلاً عن استعدادات حقيقية للحرب.

وبما ان المصادر الأخرى زودت في السنوات التي سبقت حرب يوم الغفران معلومات كثيرة (لم تتحقق) حول نية المصريين لشن الحرب (ومن هذه المعلومات ما حدد بالضبط مواعيد شن هذه الحرب)، فإن دائرة الابحاث قد توصلت الى نتيجة وهي انه يجب عدم تصديق هذه المصادر ولا يجب اعتبارها مصادر موثوق بها للانذار بالحرب.

مما يؤسف له، ان هذه المصادر التي رفضت هي فقط التي اشارت هذه المرة الى النوايا الحقيقية للمصريين وليس الوكالة الموثوق بها، وقد طرأ هذا الوضع

لأن عمليـات الاخفـاء والتستر والخداع التي اتخذت في اطار مناورة «تحرير ٤١» استخدمت بالنسبة للجيش المصري، لا أقل من استخدامها إزاء الاستخبارات الاسرائيلية.

ففي الأيام الستة التي سبقت الحرب، من اليوم الثالث وحتى السادس من اكتـوبـر كانت نسبـة المعلومـات الاستخبـاريـة التي وصلت من الوكالة المصدقة واشـارت بوضوح الى المناورة، اكثر بكثير من المعلومات التي وصلت منها وتحدثت بوضوح عن الحرب.

هنـاك عنصر آخـر ساهم بصـورة غير مبـاشرة في الخـطأ في التقـدير وهذا العنصر يتعلق بالصـور الجـوية. لقد اتضح بأن التقدير القائل انه توجد معقولية متـدنيـة لانـدلاع حرب من جهـة واستقدام بطاريات صواريخ ارض ـ جو سورية ومصريـة، (اعتبـاراً من صيف ١٩٧٣) من جهة أخرى ادى الى انخفاض كبير في عدد طلعـات التصـوير التي كان سلاح الجو الاسرائيلي يقوم بها لأغراض متابعة النشـاطات العسكـرية في هاتين الواجهتين (وذلك من خلال الرغبة في الامتناع عن دفـع الطيـارين الى مخاطرات هم في غنى عنها) ولهذا كانت طلعة التصوير الجوي التي نفـذت في الاجـواء المصرية في الرابع من اكتوبر هي الطلعة الاولى منذ نهاية ايلول، ويقول عدد من كبار الضباط في الاستخبارات العسكرية انه لو جرت الطلعة في موعـد سابق، لكـان بامكـانهـا ان توقف رجال الابحاث عند اخطائهم اكثر مما استطاعت ان تفعله المعلومات التي وصلت من مصادر اخرى .

لقـد خصصت لجنـة اغـرانـات جملة واحـدة فقـط في تقريرها للحديث عن الخـدعـة المصريـة في حرب يوم الغفـران. التي كانت بدون شك سببا اخر في دفع الاسـتـخبـارات الى الوقـوع في الخـطأ على الرغم من ان وزن هذا العنصر بين مجمـوعـة عنـاصر الفشـل الاستخبـاريـة ليس واضحا ومختلف عليه بين اوساط متعـددة في الزعـامـة العسكـرية والاستخبارية "لدولة" اسرائيل (الجملة واردة في الجزء الذي يتحدث عن "الخدعة المصرية").

لقـد كان بالامكـان التوصل الى نتيجة قاطعة من تحليل عناصر فشل دائرة الابحـاث في تقييم معنى التحركات التي جرت بين الجيشين المصري والسوري في الاسبـوعـين اللذين سبقـا الحـرب، فهنـاك من يعـزو الخـطأ الى التمسك القوى بالتصـور، واخـر يعـزيه الى النصر الذي حققته دائرة الابحاث في تقديراتها خلال

شهـري نيســان وايار ١٩٧٣، وثالث يعزوه الى ماهية عناصر جمع المعلومات التي زودت المعلومـات ورابـع الى عدم وجـود اجمـاع بالنسبـة للتقديرات الاستخبارية وخـامس يكفر في قدرة أي هيئة ابحاث على الوقوف بشكل صحيح على نوايا زعماء الطرف الاخر، وهكذا....

ممـا لا شك فيـه انـه يوجد وزن كبير لهذه العناصر وكل عنصر منها يتطلب دراسـة موضـوعيـة وجـادة من اجـل استخـلاص العبـر بالنسبة لطرق التفكير، واســاليب العمل واشكال التنظيم، ومع هذا يوجد مكان للاعتقاد بأن هذه العناصر هي ثمرة لعملية بطيئة ومستمرة ارتكبت دائرة الابحاث خلالها خطأين رئيسـين وهما:

أ . اندفاع البحث في الاجماع العسكري والقومي الاسرائيلي.

ب. اختبـار الحرب ومعقوليتها وطرق العمل المحتملة للعدو من قبل دائرة الابحاث طبقـا للنـظريـات الاستـراتيجيـة والعمليـة والتكتيكية التي كانت مقبولة على الجيش الاسرائيــلي واثـار هذه النـظريات على العدو، ويعتقد بأن المقصود هو الوجهان لنفس العملة.

الخدعـــة المصريـــة

في القـرار المصري، الذي اتخـذ في اكتـوبـر ١٩٧٣ حول الخروج في حرب مفاجئة ضد اسرائيل، حدوث الخدعة كعنصر حاسم في طريق تحقيق المفاجأة. وقد اتضـح من وثـائق مصريـة عثـر عليهـا في الحـرب، ان المصريين قدروا بأن خدعة ناجحـة ستضمن لهم انتصـارا اوليـا في ميـدان القتـال بقـدر الامكـان من عدد خســائـرهم البشريـة في الحـرب، وستمكن من الانتصـار خلال وقت قصـير، ومن استخدام اقل عدد ممكن من القوات والوسائل والجهد.

في عام ١٩٧٠ نشرت دائـرة الابحـاث العسكـرية في وزارة الحربية المصرية نشرة تمهيـدا لمناورة "تحرير ٤١" وهي مناورة على المستوى الاستراتيجي العملي التي بات من المتـوقـع اجـراؤها في مصر في نهاية شهر اكتوبر من ذلك العام، تلك النشرة التي كان موضوعها:

خدعة عملية في الهجوم على مستوى الجيش من خلال عبور قناة السويس،

الهدف من نشرها تعليم تطبيق الخدعة في المناورات من نوع "تحرير" التي تكررت في السنوات التي تلت ذلك، وقد طلب من شعبة التدريب في الجيش المصري ان تتعرف الوحدات والمجموعات على اساليب الخدعة.

فعقدت دورات تم فيها تعليم اساليب الخدعة والاوضاع التي تتطلب المراوغة والخداع. لقد تصدرت مناورة "تحرير ٤١" وهي المناورة الاخيرة في سلسلة مناورات تحرير التي نفذت الاولى منها عام ١٩٦٨ خطة الخدعة المصرية في حرب يوم الغفران، وكان موضوع هذه المناورة "تحرير سيناء" واستخدمت فيها قوات من جميع الانواع، وعلى مختلف المستويات من خلال التعاون مع قيادات الاسلحة.

وكان هدف مناورة تحرير تنظيم وادارة هجوم على مستوى استراتيجي - عملي الى جانب استقدام قوات نحو منطقة القناة، واجتيازها وتدمير قوات العدو، واحتلال شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، وخلال المناورات اقيمت التحصينات وفحصت استعدادات وحدات الجيش المصري وقدرتها على تحمل المهام التي كلفت بها.

وبمناسبة تنفيذ المناورات من نوع تحرير، وضعت انظمة دقيقة بالنسبة لصورة الانتقال من حالة المناورة الى حالة الحرب، فعلى سبيل المثال اشتمل الامر الذي صدر للوحدات في اطار مناورة "تحرير ٤١" على توجيه واضح جاء فيه انه يجب على القوات ان تكون مستعدة للعمل اذا اكتشفت نشاطات معادية من جانب العدو.

لقد أجري بعض المناورات /تحرير/ كمناورات قيادية او مناورات لاسلكية في حين أجري بعضها الآخر بوساطة القوات وكان وزير الحربية المصري قد ادار هذه المناورات واحيانا كان يشترك بها الرئيس نفسه لقد كانت مناورة «تحرير» التي اختتمت عام التدريب تنفيذ عادة في نهاية الصيف من كل عام وفي بداية الخريف، وفي اواسط عام التدريب كانت تنفذ «مناورات تحرير» كجزء من برنامج التدريب السنوي.

لقد تبين من الوثائق التي عثر عليها في حرب يوم الغفران ان خطة الخدعة التي تصدرتها مناورة «تحرير ٤١» قد اعدت في مطلع عام ١٩٧٣ الى جانب الخطة الرئيسية للحرب، وكانت هذه الخطة ذات وجهين هدفها من الوجه الاول،

مفاجأة اسرائيل في كل ما يتعلق بالوقت والقوة والمكان واسلوب الهجوم المصري ومن الوجه الثاني اخفاء عمليات التحضير الفعلية للحرب.

لقد وضعت خطة الخدعة بشكل يتناسب مع الخطة الحربية الحقيقية من ناحية التوقيت والخطوات التي كان على الجيش المصري اتخاذها.

وفي حوالي منتصف عام ١٩٧٣ بوشر فعلاً باستخدام خطة الخدعة على الصعيدين العسكري والسياسي، وفي المجال العسكري أصبحت هذه الخطة اجراءات تمويه واخفاء كان هدفها ضمان السرية المطلقة التي هي شرط اساسي لنجاح الخدعة.

رخصة للحج الى مكة

لقد حدد الامر الذي صدر للقوات المصرية في الثلاثين من ايلول موعد المناورة خلال الفترة بين الاول من اكتوبر ١٩٧٣ والسابع منه، وعين وزير الحربية احمد اسماعيل علي مديرا للمناورة، وجاء في الامر كما هي الحال بالنسبة للأوامر الحربية الأخرى، عند تلقي كلمة السر، بواسطة اللاسلكي يجب الانتقال فوراً الى حالة الحرب الحقيقي استعداداً لبدء مناورة تحرير ٤١، في الأول من اكتوبر قام المصريون بعدة عمليات امكن فيما بعد تفسيرها على انها جانب من خطة الخدعة وهذه العمليات هي:

- تجنيد وتسريح رجال احتياط: فبمناسبة قرب المناورة في نهاية ايلول جند المصريون جنودا على دفعتين، وقد سرح بعضهم في بداية اكتوبر قبيل اندلاع الحرب، لخلق انطباع بأن المقصود هو تجنيد روتيني وان جميع جنود الاحتياط سيسرحون تدريجيا.
- استقدام معدات التجسير والعبور الى القناة، ومن اجل منع رواج الشكوك في اسرائيل خطط قبل الحرب بوقت طويل ان تنقل معظم الجسور ومعدات العبور في محاور مختلفة نحو الشرق الى القناة، وبعد ذلك يعاد جزء منها للغرب، ويخبأ بعضها بالقرب من القناة حتى موعد العبور الحقيقي.
- نشر التوجيهات والاوامر بالنسبة لتوزيع القوات واعادة جنود الاحتياط الى اماكن عملهم مع نهاية المناورة بعد السابع من اكتوبر، فعلى سبيل المثال اعلن

ان الدراسة في الكلية العسكرية ومدرسة القيادة والاركان وكذلك في جميع دورات التدريب ستستأنف في التاسع من اكتوبر في الساعة الثامنة والنصف صباحا.

- نشر معلومات حول السماح لبعض الجنود والضباط بأداء فريضة الحج في مكة خلال فترة المناورة، وقد ارسلت هذه الاوامر عبر اجهزة اللاسلكي لتلتقط من قبل الاستخبارات الاسرائيلية كما نشرت في صحيفة «الاهرام» يوم الخامس من اكتوبر.
- بذل جهود لخلق جو من الهدوء على طول القناة وخاصة صباح يوم السادس من اكتوبر لخدعة مراقبة الجيش الاسرائيلي. ولهذا الغرض استخدمت مجموعات من الجنود سميت بمجموعات الكسالى، للتجول على طول القناة بدون سلاح او خوذ فلاذية وكان بعضهم بالملابس الرياضية وزاولوا اعمالا روتينية: مثل الاستحمام في القناة وصيد الاسماك ومص قصب السكر واكل الفواكه وهكذا.. ومن اجل نجاح خطة الخدعة ومن اجل تحقيق اكبر قدر من السرية اتخذ المصريون عددا من خطوات التستر والتمويه، لقد اتضح نتيجة لاستطلاع اجري بين الاسرى المصريين انه في يوم ٣ اكتوبر عرف واحد منهم بأن المقصود هي عمليات تحضير حقيقية للحرب، فقد قال ٩٥٪ من الجنود انهم علموا بذلك، في صباح يوم السادس من اكتوبر وان الضباط الكبار في الجيش المصري ابلغوا بأمر الحرب قبيل ساعة الصفر بقليل، وغيرهم علم بهذا القرار فقط في يوم بداية المناورة في الاول من اكتوبر وذلك خلال اجتماع للمجلس الاعلى للقوات المسلحة المصرية بحضور الرئيس السادات.

الضباط الذين عرفوا

يقول المصريون انه في نهاية شهر آب علم عدد قليل من الضباط بأمر الحرب وهم وزير الحربية، ورئيس الاركان، ورئيس العمليات، وقائد شعبة العمليات في القيادة المصرية ـ السورية المشتركة، وقادة الاستخبارات وسلاح الجو، والمقاومات الجوية وسلاح البحرية وفي هذا التاريخ علم اصحاب الوظائف المشابهة بسوريا بذلك. وقبل ذلك علم بالسر في مصر (بالاضافة الى السادات

نفســه) فقط وزير الحربية ورئيس الاركان، ورئيس العمليات، وربما ايضا قائد شعبـة العمليـات في القيـادة المشتركة الجنرال بهاءالدين نوفل، واذا كان فعلا هذا هو عدد الذين علمـوا بهـذا السر فإنه يتضح هنا بأن الخدعة موجهة ليس فقط للاستخبارات الاسرائيلية وللجيش الاسرائيلي وانما ايضا لمعظم الجيش المصري.

الى جانب الخدعة العسكرية نفذ المصريون في الاشهر التي سبقت الحرب اعمـال خدعـة في المجـال السيـاسي، وقـد تمثلت هذه الاعمـال بشكـل بارز في الخـطابـات والاعمـال التي قام بها الرئيس السادات نفسه، التي ساعدت على دعم «التصور» الاسرائيلي بالنسبة لعدم قدرة المصريين على القيام بشن الحرب، ففي الخـطاب الذي ألقـاه في الثـامن والعشرين من ايلول ١٩٧٣ قبـل انـدلاع الحـرب بأسبـوع واحـد، لم يتحـدث السادات مطلقا عن الحرب مع اسرائيل، ولكنـه فقـط وعـد في نهـايـة الخـطاب بأن تحرير الارض هو المهمة الاولى التي نواجهها الآن وستحقق ان شاء الله.

وكان السادات قد ألقى هذا الخطاب بعد ان انتهت جميع اعمال التحضير للحرب وجاء في الصحف المصرية التي صدرت بعد الحرب، انه قبل اندلاع الحرب بخمسة اشهر شكل في مصر طاقم وزاري هدفه تنسيق عمليات الخدعة.

وضم هذا الطاقم منـدوبين عن وزارات الحربية والخارجية والاعلام، وخول هذا الطاقم مهمـة تسريب المعلومات الى الصحف المصرية والعالمية حول النقص في الاسلحـة في مصر، وعلى تدني مستوى الصيانة للمعدات، وحول خلافات بين مصر وسوريا والهدف من وراء ذلك ترسيخ الانطباع القائل بأن مصر قد تخلت عن فكرة الحرب.

لقـد ساعـدت خطة الخدعة المصرية والتي تصدرتها مناورة تحرير ٤١ مصر على استقـدام قوات كبـيرة من الجيش المصري الى نقـاط حشـد قريبة من القناة، دون ان تثـير الشبهـات بالنسبة لنواياها الحقيقية، كما وفرت خطة الخدعة مبرراً منطقيا لتجنيد الطاقة البشرية من وحدات التدريب وقوات الاحتياط.

وفي يوم الخميس الرابع من اكتوبر، اذاع راديو دمشق نبأ خادعا قال فيه: انـه في العـاشر من هذا الشهـر سيقـوم الرئيس السـوري حافظ الاسد بجولة في المنـاطق الشرقيـة من الدولة تستغرق تسعة ايام، ويعتقد ايضا بأن الهجوم الذي

قامت به مجموعة من منظمة موالية لسوريا على قطار المهاجرين في النمسا قبل الحرب بأسبوع قد قصد به تحويل الانظار عن التحضيرات السورية لحرب يوم الغفران.

لقد لعبت الخدعة المصرية دورا هاما في مجال شبكة الاشارات المضللة التي ارسلتها الاستخبارات المصرية للاستخبارات الاسرائيلية ولكن كما قال ضابط كبير في الجيش الاسرائيلي ان هذه الخدعة ما كانت لتنجح لولا اصابة الاستخبارات الاسرائيلية بل والمجتمع الاسرائيلي كله بالانخداع الذاتي.

اخطاء في الاستخبارات المقاتلة

لقد أوصت لجنة اغرانات في تقريرها الجزئي الذي قدمته في شهر نيسان ١٩٧٤ باعادة تنظيم استخبارات الميدان (الاستخبارات المقاتلة) وتعيين مندوب لها في رئاسة الاركان.

وفي التقرير الختامي الذي نشر في ٣٠ كانون ثان ١٩٧٥ اشارت اللجنة الى اخطاء في عمل استخبارات الميدان خلال الحرب حيث قالت: لقد وجدنا ان جانبا من العبر وطرق عمل الاستخبارات العسكرية عشية الحرب، ينطبق على نشاطاتها وطرق عملها ابان الحرب نفسها، فبشكل خاص قالت اللجنة انه في الايام الاولى للحرب كانت استخبارات الميدان مشلولة تقريبا عن العمل، كما اشارت اللجنة الى تمسك الاستخبارات بأفكارها بالنسبة «للتصور» الى حد الاستعباد.

وقد وصفت اللجنة الاخطاء التي حدثت في نشاطات ضابط الاستخبارات في القيادة الجنوبية المقدم دافيد جداليا خلال الايام الاولى التي سبقت الحرب بقولها:

في الاول من اكتوبر ١٩٧٣ قدم له احد ضباطه الملازم بنيامين سيمان طوف وثيقة عنوانها: تحركات في الجيش المصري، امكانية تجدد الحرب/ الاول من اكتوبر ١٩٧٣ وفي ذلك الوقت كانت القيادة في حالة تأهب قصوى، وقد اجملت هذه الوثيقة وحللت المعلومات الخاصة بالقوات المصرية واستعدادات العدو، وفي الثالث من اكتوبر قدم الملازم سيمان طوف وثيقة اخرى عنوانها: اجمال الموقف في الجيش المصري من ١٣ ايلول الى ٢ اكتوبر، وكانت هذه الوثيقة

تشتمل على تفاصيل اكثر من الوثيقة التي قدمت في الاول من اكتوبر، وفي هاتين الوثيقتين اشار الضابط الى عدة حقائق هامة لم تتمش مع تفسير التقديرات والاستعدادات المصرية على انها مناورة فقط، وقال ان تلك الحقائق تعطي الدليل الواضح على ان المناورة ما هي الا تمويه لعملية حقيقية يخطط لها من قبل المصريين.

وقال المقدم جداليا ان التقرير النهائي لوضع القوات المصرية كان مخصصا للتوزيع على وحدة الاستخبارات التي يقودها وعلى وحدات القيادة وقادتها وللاستخبارات العسكرية في رئاسة الاركان للعلم.

وجاء في تقرير اللجنة انه بدلا من ان تثير هذه الوثائق الشكوك لدى المقدم جداليا بالنسبة للتقديرات السابقة للاستعدادات المصرية على انها مناورة فقط، مثلما كان يجب ان يحدث، وبدلا من ان يعرض شكوكه هذه على قائد القيادة الجنوبية وعلى شعبة الاستخبارات قام المقدم جداليا بشطب ما يثير تلك الشكوك.

واستمر التقرير يقول: لقد شرح المقدم جداليا للجنة ان اعتقادات ضابطه كانت متناقضة مع تقديرات الاستخبارات، والقائلة انه تجري في مصر مناورة، وان هذه التقديرات مقبولة عليه وعلى قائد القيادة.

وعلى سؤال لماذا لم تقبل بتقديرات ضابطك اجاب:

هذا ناجم عن التقدير النهائي والقائل بأن مصر لن تشن الحرب، ولهذا كنا مقتنعين بأن ما يجري في مصر هو مناورة فقط، وهكذا ادخل افكاره في دائرة سحرية اذن فإنه لم يقم بواجبه كضابط استخبارات، لم يقم بمقارنة هذه التقديرات بتقديرات شعبة الاستخبارات وبالتالي يتوصل الى العبر المترتبة على ذلك، لقد اعتبرت تصرفات المقدم جداليا هذه بأنها خطيرة جداً، وذلك لأن نتائج الصور الجوية التي التقطت يوم الرابع من اكتوبر والتي استمر تحليلها طيلة ساعات الليل والتي اثبتت تعزيز القوات المصرية بصورة خطيرة جداً كان يجب ان تحمل معنى خاصاً في ضوء تفسيرات الملازم سيمان بن طوف.

اننا نعتقد بأن المقدم جداليا لم يقم بواجبه الخاص كضابط استخبارات في الجبهة الرئيسية في الايام التي كان فيها من الحيوي جداً الوقوف على نوايا العدو المصري ولهذا يجب عدم استخدامه في اية وظيفة استخبارية.

لقد اشارت لجنة اغرانات الى انه خلال قيامها بالتحقيق في معارك الصد في

الجنوب وجدت ان حدود الاستخبارات كالحدود التي اثرت فيها الاخطاء على سير الحرب.

ان اللجنة لم تدخل في تفاصيل الاخطاء التي قصدتها ولكن يبدو انها قد المحت فيما المحت اليه الى نقص في المعلومات الاستخبارية لدى القوات المحاربة في الميدان وهو النقص الذي كان بنسبة كبيرة نتيجة للصدمة المفاجئة التي احدثتها الحرب، ونتيجة لعدم قراءة ما يجري في الجبهة قراءة سليمة، لقد احتاج ضباط الاستخبارات في المجموعات المحاربة الى القيام بنشاطات فورية من انواع مختلفة للحصول بأنفسهم على معلومات عن العدو.

بعد الحرب

دروس حرب يوم الغفران وتطبيقها

جاء في التقرير الحربي للجنة اغرانات المنشور في نيسان ١٩٧٣ ما يلي:

«ادخال تغييرات جوهرية واساسية على مبنى الاستخبارات وسلاح الاستخبارات لضمان ابقاء نقاط الثقل بالنسبة للابحاث والتقديرات في مجال الاستخبارات العسكرية / الاستراتيجية والعملية والتكتيكية بما في ذلك اعادة تنظيم استخبارات الميدان وتمثيلها على مستوى رئاسة الاركان ووضع طاقة بشرية مناسبة وخاصة مدنية في دائرة الابحاث طبقا للانظمة الترفيعية والتبديل داخل الدائرة وخارجها وضمان مراقبة مستمرة على التقييمات الاستخبارية.

لقد تركت حرب يوم الغفران جروحا عميقة في جسم الاستخبارات العسكرية فقد اعتبرت الاستخبارات العسكرية المسؤولة الاولى عن الفشل في التنبؤ بوقوع الحرب، رغم انه كان هناك من زعم بأنها ليست هي المسؤولة وانما:

The whipping boy to blame for incorrect decisions

ومما لا شك فيه ان هذه كانت اكبر صدمة تصيب الاستخبارات العسكرية منذ اواسط الخمسينات، وبدت اثارها على الجميع، لقد برز احد اثار الازمة التي طرأت في الاستخبارات في المجال الشخصي، فترميج اربعة من كبار ضباط الاستخبارات في اعقاب مقررات لجنة اغرانات وهم: رئيس الاستخبارات ومساعد

رئيس الاستخبارات لشؤون التقييم، ورئيس المقعد المصري في دائرة الابحاث وضابط الاستخبارات في القيادة الجنوبية، كل ذلك ابرز الحاجة الى ملء المناصب التي اصبحت شاغرة بأسرع وقت ممكن.

وكان التعيينان الرئيسان اللذان جريا في عام ١٩٧٤، هما تعيين العميد شلومو غازيت (الذي خدم كرئيس لدائرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية خلال فترة حرب الايام الستة) رئيسا للاستخبارات العسكرية خلفا للعميد ايلي زعيرا، والعقيد يهوشع سجي رئيس الاستخبارات المقاتلة (الذي خدم كضابط استخبارات في القيادة الجنوبية وقائد مدرسة الاستخبارات) تم تعيينه في منصب رئيس دائرة الابحاث، وقد كلف هذان الشخصان بأعباء اعادة تنظيم الاستخبارات.

لقد صعّدت التغيرات في زعامة سلاح الاستخبارات من حدة الازمة النفسية التي يعاني منها ضباط الاستخبارات بسبب حرب يوم الغفران، وكان موقف وداع العميد زعيرا موقفا صعبا جدا، فقد قال احد الضباط لرئيس الاستخبارات المستقيل، اننا لم نجد قائدا مثلك في الاحوال الصعبة.

لقد ساد شعبة الاستخبارات وسلاح الاستخبارات جو صعب بعد الحرب، فقد شعر الكثيرون منهم بعقدة الذنب، ومنهم من اصيب بعدم الثقة التامة، فقد اخذوا يتهمون بعضهم البعض، وتعكر الجو واصبح شبيهاً بالجو الذي ساد السلاح بعد انفجار "الفضيحة" في سني الخمسينات.

وقد اصيب بعض المسؤولين بالعقدة المسماة "بعقدة خليج بيرل" ذلك التطور الناجم عن الفشل الذريع في تقييم المعلومات والذي خلق شعورا بعدم الثقة الذي يؤدي الى التشويش على التقارير الاستخبارية، وقد بدا كل شيء فجأة بأنه خطير وانه لا يمكن سلفا التنبؤ بما يجري، كما قال احدهم، لقد كان احد الاجراءات الاولى لرئيس الاستخبارات الجديد، العميد شلومو غازيت، هو عقد اجتماع لمأموريه والتأكيد لهم بأن اصطلاح (معقولية متدنية) ليس تعبيرا قويا وحاول اشعارهم بالثقة بالنفس من جديد.

دورس في دائـرة الابحـاث

بطبيعـة الحـال كانت دائـرة الابحاث في الاستخبارات العسكرية، المسؤولة عن بلورة وصيـاغـة التقدير الاستخباري هي المتضررة الاولى من جميع النواحي، ولهذا السبب تركزت فيها نشاطات الاصلاح واستخلاص العبر التي اوصت لجنة اغرانات ببعضها وبعضها الاخر نفذ في اطار اعادة التنظيم الداخلي.

فأول الاعمـال التي جرت في دائـرة الابحـاث، بنـاء على عبر دورس الحرب كان "تـوزين" جهـاز الابحـاث حسب نص وروح توصيـات لجنة اغرانات، ونقل نقطة التنقل من الجانب السياسي (الذي كان مسيطرا قبل الحرب) الى الجانب العسكري.

وقـد تمثل التغيير بزيادة عدد الباحثين المختصين بتحليل الجهاز العسكري للعدو، بالمقارنة مع هؤلاء المختصين بتحليل تقييماته ونشاطاته السياسية.

هنـاك تغيير اخر أجري في نطاق التنظيم، فقد تم تقسيم الدائرة الى دوائر جغـرافية، يكون كل رئيس قسم مسؤولا عن وحدات البحث الاقليمية، والسياسية والعسكـرية، وقصد بهذا النظام اجراء تقييم استخباري استراتيجي في كل مجال بحيث يقوم كل مسؤول في مجاله، بخلق نقطة الالتقاء بين المعلومات والتقييمات في المجـال العسكري وبين المعلومات والتقييمات في المجالات السياسية، والاقتصادية والاجتمـاعيـة، والتكنـولوجية، لقد كان هذا العمل في الواقع تحقيقا لفكرة سابقة، عرضت لاول مرة عام ١٩٧١، ولكن لم تطبق انـذاك، وكـان هدفهـا ضمـان تعدد انواع البحث وخلق تقدير استخباري موثوق.

كمـا قامت الاستخبـارات العسكـريـة بمبـادرة لزيـادة "الانفتـاح" وحرية الاعـراب عن الرأي لدى المحققين الصغار، وقد شجعوهم على ابداء اراء تتعارض مع اراء المســؤولين عنهم، وكانت هذه المبادرة تنطوي على خلق الشعور بأنه حتى للضـابـط الصغير يوجد مجال ما للتعبير عن الرأي من خلاله، ولا يجب ان يخشى الاعراب عن رأيه، حتى لو كان غير مقبول على الجميع.

وكـذلك جرت منـاقشـات اشترك فيها احيانا محققون من رتبة ملازم وحتى

رئيس الاستخبارات، وكذلك اقيمت هيئات متعددة من اجل تقييم المعلومات.

ومن اجل زيادة الانفتاح الفكري ومنع خلق "انغلاق" فكري، او تصور على غرار حرب يوم الغفران، ادخلت في دائرة الابحاث هيئة جديدة اطلق عليها اسم "الهيئة المتشككة"، وهي هيئة كلفت بدراسة دائمة للامكانيات التي تبدو غير معقولة وتحاول تقويض نظريات مقبولة في دائرة الابحاث واثارة اراء معاكسة.

كما جرت عملية هامة اخرى في مجال الانذار الاستخباري، فقد اقيمت في دائرة الابحاث ودائرة جمع المعلومات اجهزة خاصة بشرية وفنية، امرت بأن تدرس في كل يوم ليس فقط (الاشارات)، وانما ايضا (الهزات) الواردة في المعلومات الاستخبارية، وتم اعداد مجموعة من دلائل الانذار التي تشير الى الحرب، كما عزز موضوع الانذار بشكل عام بالاشخاص والمعدات.

وفي مجال التقييم، ادخلت تغييرات على صورة وفحوى المنتوج التقييمي المتكامل والموزع بين مستهلكي المعلومات الاستخبارية (ومن ضمنهم، رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورئيس الاركان وغيرهم) واصبح التقييم الذي تتوصل اليه الاستخبارت العسكرية الان ذا انفتاح كبير واصبحت التقارير الاستخبارية تشتمل على اراء مختلفة ومتناقضة داخل دائرة الابحاث.

كما جرى تأكيد خاص على فصل المعطيات والمعلومات الاستخبارية عن التقييم، لكي يستطيع مستلم التقرير الوصول الى تقييم مستقل وخاص به.

عبر في جهاز جمع المعلومات

كذلك في جهاز جمع المعلومات اجريت تغييرات مختلفة، في اعقاب دروس الحرب:

- ففي مجال الاستخبارات التكنولوجية ادخلت تحسينات وتطويرات عديدة، في المجال الالكتروني، والمجالات الاخرى، وكانت الانطلاقة الكبرى الى الامام في هذا المجال، نتيجة حتمية للتغيرات التي طرأت على مرابطة الجيش الاسرائيلي في سيناء، في اعقاب اتفاقات فصل القوات والتخلي عن محطة الانذار والمراقبة الاستخبارية في ام خشيبة.
- وفي مجال (الاستخبارات البشرية) بذلت جهود لتحسين نوعية العملاء العاملين

في خدمة الاستخبارت العسكرية.

- وفي مجال الاستخبارات المنظورة، ادخلت تحسينات على كل ما يتعلق بالصور الجوية، والمراقبات، بقصد زيادة معرفة محققي الاستخبارات للمنطقة اولئك المراقبين الذين تذكر بعضهم اثار الصور الجوية التي التقطت يوم الرابع من اكتوبر للقوات المصرية في الضفة الغربية لقناة السويس، واشتملت التحسينات في هذا المجال على استخلاص عبر اساسية وتطبيقها في مجال الاستخبارات المقاتلة، التي استبدل اسمها بعد الحرب باسم (استخبارات الميدان) وقد سجل هذا الجهاز انطلاقة كبرى الى الامام بعد الحرب.
- فقد اقيمت وحدة مراقبة، كانت قد تمت خلال حرب الاستنزاف التي تلت حرب يوم الغفران.
- فقد كبرت هذه الوحدة وحسنت معداتها، ويتعلق التحسين الرئيسي في مجال المراقبات، بتطوير وسائل الكترونية بصرية بما في ذلك ادخال استخدام المراقبة التلفزيونية ذات الدوائر المغلقة.
- وكذلك تم تعزيز ودعم دوائر الاستخبارات القيادية بالمعدات والطاقة البشرية لكي تستطيع منافسة شعبة الاستخبارات الرئيسية (ونتيجة لذلك بدأت العمل وحدة استخبارات عسكرية على مستوى الاستخبارات القيادية كهيئة منافسة وحيدة لوحدة الابحاث في رئاسة الاركان في المجال العسكري. لقد ساهم تخصيص وسائل معززة لضابط الاستخبارات القيادية في زيادة ثقته الذاتية عندما يأتي للاعتراض على التقييم الاستخباري على مستوى رئاسة الاركان.
- كما زاد تدفق الاشخاص المتبادل بين رئاسة الاركان والاستخبارات المقاتلة والذي قصد به من جهة تمكين المحققين في (المقاعد) المختلفة من التعرف عن كثب على المنطقة، ومن جهة اخرى ضمان زيادة نجاعة الفكر عن طريق دمج رجال استخبارات مقاتلين في دائرة الابحاث.

الفصل بين شعبة الاستخبارات وسلاح الاستخبارات

لقد تمثل التغيير البارز جدا في مبنى الاستخبارات العسكرية بعد حرب يوم الغفران، بالفصل المعني الذي جرى بين امان (شعبة الاستخبارات في رئاسة

الاركـان) وحمـان (سـلاح الاستخبـارات)، بعـد تعيين ضابط سلاح رئيسي تابع لرئيس شعبـة الاستخبـارات، لقـد كان الهـدف من وراء ذلك مزدوجـا، فمن جهة تمكـين رئيس الاستخبارات من التفرغ لجانب الابحاث وتقييم المعلومات وموضوع الانـذار واعفـاء نفسـه من الاهتمـام اليومي بالمسائل التنظيمية والادارية لسلاح الاستخبـارات ومن جهة اخرى، استبدال الوظيفة التي كانت قائمة في الماضي وهي وظيفـة مسـاعـد رئيس الاستخبارات لشؤون سلاح الاستخبارات، بضابط يكون مسؤولا وحيدا عن معالجة الشؤون الكثيرة للسلاح ويستعين بقيادة قوية ومعززة، وكـان العميـد الثـاني "دوف تماري" ذا الماضي التليد في سلاح المظليين والدورع اول من عين في منصب ضابط سلاح الاستخبارات الرئيسي.

ففي عام ١٩٧٨ حل محـل العميـد الثـاني حاييم بنيـاميني وخلفه في هذا المنصب العميد الثاني تسفي شيلر.

معرفـــة العـــدو

اتضـح للاستخبـارات العسكـريـة بعد الحرب، ان احدى نقاط الضعف في الحـرب كانت تتعلق بعـدم تعـرف الجنـود، على المستـويـات المختلفـة، للاسلحة والوسـائل الحربية التي يمتلكها العدو، وعلى كفاءتها في العمل، ومدى فعاليتها وقد تبـين انه قبل الحرب وزعت بين وحدات الميدان منشورات كثيرة من الاستخبارات العسكـريـة حول الاسلحـة والوسـائل الحربية التي يمتلكها العدو، مثل النشرات التي كتبت عن صواريـخ "سـاغـر" المضـادة للدبابات، ولكن معلوماتها لم تدرس جيدا، وبصورة كافية من قبل الجنود والقادة.

ولهـذا الغـرض اقيم الان جهـاز منفصل لتعريف الجنود والقادة على العدو واسلحتـه عن طريق توزيـع نشرات مختلفـة، وخـلال ظهور امام الجنود اكد رجال الاستخبارات على انه توجد اهمية ليس فقط لنوع السلاح الموجود في حوزة العدو، وانمـا ايضا لنسبة تأثير هذا السلاح على اساليب الحرب، والدروع الحربية التي يتمتع بها هذا السلاح.

الاستخبارات العسكرية في مجموعة الاستخبارات

في اعقاب توصيات لجنة اغرانات، فإن التقييمات الاستخبارية اصبحت توضع منذ ١٩٧٤ داخل دائرة الابحاث وداخل "الموساد للاستخبارات والوظائف الخاصة" ان اقامة دوائر البحث داخل وزارة الخارجية "الموساد" قد قصد بها منذ البداية خلق اجماع بالنسبة للتقديرات الاستخبارية واسماع عدة اصوات في المواضيع ذات الاهمية الحاسمة للامن.

ولكن حقيقة ترك المسؤولية عن المجالين العسكري والسياسي بأيدي الاستخبارات العسكرية، جعلت الاستخبارات العسكرية تظل في المقدمة.

هناك توصية للجنة اغرانات حول تعيين مستشار لرئيس الحكومة للشؤون الاستخبارية وقد نفذت هذه التوصية خلال وقت قصير، الا ان المنصب الغي فيما بعد.

فهل ان اصلاح الاستخبارات العسكرية يضمن نجاحها في جميع الحالات؟؟ ان الجواب ليس قاطعا، فالكثيرون مقتنعون بأن العبر التي استخلصتها الاستخبارات العسكرية، في المجالات المختلفة، تستطيع الحيلولة دون وقوع مفاجأة اخرى على غرار مفاجأة حرب يوم الغفران، ولكن ما زال هناك جدل فيما اذا كانت المجموعة الاستخبارية عامة، والاستخبارات العسكرية خاصة مستعدة لمواجهة مفاجأت من هذا النوع، قد تنفذ بأساليب مختلفة وفي مجالات اخرى تختلف عن مفاجأة حرب يوم الغفران.

السلام الذي لم يحظ بتنبؤ مسبق

انقضت ثلاث سنوات بعد الحرب، والاستخبارات العسكرية ما زالت مرتبكة بالنسبة للنظرية الاساسية التي قالت ان العرب يتجهون الى تدمير اسرائيل وليس الى احلال السلام معها، وقد نجمت هذه الارتباكات عن الانطباعات التي حملها الزوار الذين وصلوا اسرائيل من الدول العربية، وخاصة من مصر، فقد زعم هؤلاء

انه قد طرأ تحول في العالم العربي بالنسبة للسلام مع اسرائيل.

في شهر ايلول ١٩٧٦ بدأت الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية في معالجة هذه القضية بصورة جديدة من اجل وضع تقييم جديد للوضع، وعندها اتضح للباحثين انهم يقفون امام حاجز عال جدا، فحرب يوم الغفران دفعت الاستخبارات العسكرية الى تطوير أساليب ووسائل جديدة للكشف مسبقا عن الدلائل التي تشير الى حرب محتملة، ولكن في كل ما يتعلق بالدلائل التي تشير الى السلام فقد وقفت الاستخبارات العسكرية على ساق مكسورة.

لقد احسن رئيس الاستخبارات في هذه الفترة العميد شلومو غازيت صنعا عندما وصف هذا بقوله: عندما بدأنا في ايلول ١٩٧٦ نتخبط بهذه المسألة بصورة جدية اتضح لنا بأننا نعرف كيف ندرس خطر الحرب، واتضح لنا ماذا يجب على الشعب والجيش عمله من اجل الاستعداد للحرب.

ولكننا في الواقع لا نمتلك الوسائل التي تمكنا من دراسة «خط السلام» بعد مشاورات مع عناصر استخبارية اجنبية ومع خبراء «معهد شيلواح» الخاص بأبحاث الشرق الاوسط، التابع لجامعة تل ابيب، حددت الاستخبارات العسكرية مقياسين لاختبار الاحتمالات للسلام...

أ - هل طرأ تغيير بالتصريحات التي تنطلق في العالم العربي وتوجه الى «اسرائيل»؟

ب - هل طرأ تغيير ذا قيمة بالنسبة للموقف العربي من السلام او من «دولة» اسرائيل؟؟

لقد استمرت عملية الدراسة في دائرة الابحاث حوالي عام، ولكنها لم تؤد الى نتائج جديدة، وفي شهر ايلول وتشرين اول ١٩٧٧ اثناء بلورة تقييم الوضع وقبل زيارة السادات المفاجئة للقدس بشهرين فقط، كان الاعتقاد العام السائد في الاستخبارات العسكرية هو انه لم يطرأ أي تغيير هام على الموقف العربي، وانه لا يوجد لدى العرب اتجاه سليم، وحقيقي، وأساسي، نحو السلام.

اما بالنسبة لمصر، فقد ورد في تقييم الوضع، ان هذه الدولة قد وصلت الى ممر مسدود لانها من جهة لا تستطيع الاستمرار في اتفاقات فصل القوات ومن جهة اخرى لا تستطيع الدخول في اوضاع حرب على غرار حرب الاستنزاف، وانها تقترب من مفترق طرق يشتمل على اتجاهين متعاكسين، فإما ان تتجه نحو السلام

او نحـو الحرب، ولكن الباحثين اعتقدوا بأن مصر ستسلك الاتجاه الحربي، وكان اســاس هذا التقييم، انــه عشيــه قدوم الســادات لاسرائيـل، وقبـل اعـلانـه عن استعداده للقدوم، اكتشفت دائرة الابحاث وجود دلائل تشير الى زيادة الاستعداد في الجيش المصري، وزيـادة التـدريبات، ولكن لم تصل الدائرة اية تلميحات حول الاتجاه عن السلام، وقد ابعدت هذه الدلائل الباحثين في الاستخبارات عن التفكير بأن المقصود هو التحضير لرحلة السلام التي سيقوم بها الرئيس المصري.

هذا التقـديـر الذي اشـار الى ان الاستخبـارات العسكرية في شهر اكتوبر ١٩٧٧، لم تتخلص بعد من الكآبة التي اصيبت بها في يوم الغفران، كان موضوعا امـام انـظار رئيس الاركان الجنرال مردخاي غور، عندما اعلن الرئيس المصري في خطابـه المشهـور يوم التـاسـع من تشرين ثان، عن استعـداده للقدوم الى القدس والقـاء خطاب في الكنيست، وقد سادت دائرة الابحاث شكوك كثيرة بالنسبة لنوايا السـادات، ومن هنـا كان الطريق قصـيرا الى التحذير الذي اصدره رئيس الاركان من ان المقصود قد يكون خدعة جديدة من جانب مصر.

فقـد زعم رئيس الاركان انذاك، الجنرال مردخاي غور، ان استجابة حكومة اسرائيل لاستعداد الرئيس المصري للقدوم الى القدس قد تمت دون ان يجري اي بحث حول ابعاد هذه الزيارة على تقديراتنا الامنية ـ العسكرية، واضاف: انني لم اعلم بل ولم اعتقـد بأن رئيس حكـومـة اسرائيـل قد وافق على العودة الى الحدود الدوليـة بدون اجراء اي نقاش مسبق مع وزير الدفاع ومع رئيس الاركان، وبهذه المنـاسبـة قررت التـوجـه الى الجمهـور عن طريق مقـابلة صحفية وان احذر من امكانية كون زيارة السادات لاسرائيل هي بمثابة خدعة جديدة ليس الا.

ان هذه النـاحيـة المتعلقـة بنسبـة اشراك الاستخبـارات العسكرية خاصة والمجمـوعـات الاستخبارية عامة، في سر نوايا المستوى السياسي (متخذ القرارات) هي ناحيـة عالمية وموضوع لمجابهة مستمرة بين الاستخبارات وبين الزعيم، اذ ان الزعيم حتى ولو انـه يولي ثقتـه للاستخبـارات فهـو ليس مجبـرا دوما على كشف نواياه السياسية امام الاستخبارات، على الرغم من انه يعرف لو فعل ذلك فإنه من الممكن ان يحصل على تقدير استخباري اكثر دقة وسلامة.

عمــلاء فــي خدمــة الاستخبــارات

ان اهميــة الاستخبــارات البشريــة (العملاء) لم تقل بعد حرب يوم الغفران ففي عدة مجــالات استطاع عملاء الاستخبارات الاسرائيلية التوصل الى معلومات حيوية لم يكن بالامكان التوصل اليها من اية وكالة جمع معلومات اخرى.

ان احــد المـبــادىء الذي كان دومــا يضيء طريــق مســتــخــدمي عمــلاء الاستخبــارات الاسرائيلية، والذي ربما ميزهم عن الاستخبارات الاجنبية الاخرى في العالم، هو وجوب الاهتمام بمصير العملاء وانقاذهم اذا ما وقعوا في مأزق، على الرغم من ان عمــلا كهذا، كان ينطوي احيانا على اعتراف صريح بأن العميل كان يعمل في صفوف الاستخبارات الاسرائيلية.

فقـصــة "شيكـد" هي قصــة عميــل اسرائيــلي، ففي جنــح الظلام دق رجــلان على باب منــزل "شيكـد" الذي كان يقــع على احـدى التـلال المطلة على "عمــان" وكــان هذان الرجلان من المباحث الاردنية. وبعيدا عن ذلك المكان. كان مايك يغط في نومه في شقته الكائنة المتواضعة في احد احياء القدس، وعندما نهض من نومــه في تلك الليلة، لم يفكر، بأن قصة النجاح التي استمرت ثلاث سنوات قد وصلت نهــايتها الدراماتيكية، ولكن في غداة اليوم التالي بدأت الشكوك تراود مايك فصــوت "شيكـد" لم يسمع خلال فترة الاتصال اللاسلكي المحددة، ولا في الوقت الذي تلا ذلك، وانقضت عدة ايــام دون ان تصــل منــه اية اشارة، واخيرا اتضح بأن شيكد قد القي القبض عليه.

لقـد كانت بداية "شيكد" و "مايك" في عام ١٩٧٣ قبل اندلاع حرب "يوم الغفران" بعدة اشهر، وانتهت في عام ١٩٧٦، وكان شيكد جاسوسا عمل في خدمة المخابرات الاسرائيلية.

وشيكد عميل عربي وهو واحد من مجموعة شبان في العشرينات من اعمارهم يؤدون ادوارهم بهــدوء وصمت وبصــورة سريــة، ويطلب منهم ليس فقط تعلم اللغة العــربيــة، وانمــا ايضــا ابــداء المرونة والشجاعة والذكاء، وفهم الاخرين والتمتع بذاكرة جيدة والقدرة على التحليل، وذلك من اجل تجنيد العميل وارساله الى هدفه،

والاهتمـام بأن يقوم بالمهمة المكلف بها على اكمل وجه، وان يحاول عدم الوقوع في الاسر، واخـيرا، وربمـا هذا ما تتميـز به الاستخبارات الاسرائيلية، انقاذه من كل مأزق يقع فيه، ولو من السجن واعادته بسلام.

بطبيعـة الحـال، فإننـا لا نستـطيع ان نبسط هنا كامل قصة مايك وشيكد، وبـالامكـان كشف البسيـط فقـط مع تمـويـه الاسمـاء الحقيقيـة وتغيير معين في الحقائق، اما ما تبقى فسيظل سرا ومكتوما لفترة طويلة.

سمكــة سمينـــة

كان ذلك في احـد الايـام الباردة من شهر كانون ثان عام ١٩٧٣ اراد مايك اصـطيـاد "سمكـة سمينـة" في الشبكة، فأخذ الملف الشخصي لشيكد وركز على المعلومات الواردة فيه:

شاب عربي يبلغ من العمـر حوالي ٣٠ سنـة، من قضـاء رام الله، متـوسط القامة، ذو شعر اسود متجعد، وعينين عسليتين وشنب حليق، وثقافة تسع او عشر سنـوات، وكلمـة "شيكـد" هي اللقب الذي اعـطي له في الاستخبارات، وهو ابن مطيـع لوالده في اعمـاله الزراعيـة، وعنـدمـا انـدلعت حرب الايام الستة رحل الى الاردن، فأقـام عائلة وبحث عن مصـدر عمـل، وسرعـان ما تم تشغيله في سفـارة عربية، ووظيفته هي الخادم الشخصي للسفير.

لم يتعـرف مايك بعد على شيكد بصورة شخصية، ولكنه عرف من الملف ان "س" يقـوم بزيارة عائلته في الضفة الغربية بين الحين والاخر، والعودة الى عمان، هناك ميزتان هامتان وضع تحتهما خط احمر غليظ جعلنا من "س" هدفا كمرشح منـاسب وهـام للتجنيـد في المخـابرات، وهاتان الميزتان هما: انه تحول بسرعة من خادم للسـفــير الى رجـل اسراره وسـاعـده الايـمن، وان ابن عمــه هو عضـــو في احـدى المنـظمـات الفلسـطينيـة في سوريـا، وبدأت الشبكة تبسط تحت اقدام "س" وبعـد مرور وقت قصير وصل خبر يفيد ان والد "س" قد توفي وانه حصل على تصريـح للمجيء الى الضفـة للمشـاركـة في تشييـع الجنازة، فوصل مايك هو الاخـر للمشـاركة في الجنازة وراقبها عن كثب، فقد كانت هذه هي اول مهمة يقوم بها في مجال تجنيد العملاء، وكان منفعلا جدا.

وهكـذا بدأت عمليـة تحـويـل شيكـد من مواطن بسيط الى عميل للخدمات الاسرائيلية السرية.

واشتـركت في العملية عناصر اخرى، واحد هذه العناصر كان الوسيط الذي اتصـل مع "س" وتحـدث له عن اصدقاء اسرائيليين يستطيع ان يثق بهم وربما ان يستعـين بهم، ولكنـه لم يذكـر ولو كلمة واحدة عن ماهية المهمة واعتقد "س" بأن المقصـود هو تهـريب ذهب، ولكن سرعـان ما اخذ يشك في الموضوع وان هذا ليس هو المقصود.

تقـرر عقـد الاجتمـاع الاول مساء يوم الخميس اي ليلة العطلة الاسلامية وكـان "س" في هذا المـوعـد غير مشغـول، وكان بامكانه ان يجد حجة لغيابه عن البيت، فانتـظره مايـك في زاويـة احد شوارع القدس، وكان يدخن سيجارة ويضع تحت ابـطه صحيفة مطوية، وفجأة شاهد "س" يخطو نحوه برفقة الوسيط، فغمز الى الوسيط، وانضم اليهما، ودخل الثلاثة الى مقهى قريب.

شقـــة سريـــة

لقـد بدا التـوتـر الشـديد على وجه "س" عندما جلسوا بجانب الطاولة فلو كان يعلم بأن مايـك اكثـر انفعـالا منـه لهدأ قليلا، فأخذ مايك المبادرة اليه فبعد تبادل عبارات التحية، ونكتة قصيرة وحديث ساذج عن السياسـة وحالة الطقس سأل:

هل توجد مشاكل؟؟

س : نعم.

مايك : هل هي صعبة؟؟

س : صعبة جدا، فقد توفي والدي واريد العودة الى هنا مع كامل عائلتي.

مايك : ستعود.

س : ان شاء الله.

مايك: المساعدة ممكنة

س : اعتقد ذلك.

مايك : عن طريق جمع الشمل؟؟

س : هز رأسه وقال لقد قدمت طلبا الى الحكم العسكري من اجل جمع شملي أهلي ولكنني لم اتسلم جوابا.

مايك: انني اعتقد بأنه من الممكن مساعدتك، قال ذلك وهو يبتسم.

س : وانا اعتقد انني استطيع مساعدتكم.

فتصافح الاثنان، وتبادلا التحية وذهب كل منهما الى طريقه، وفهم كل واحد منهما النية من وراء هذا الاجتماع، وبعد مرور يومين عقد اجتماع ثان، وفي هذه المرة، ليس في المقهى وانما في شقة سرية تقع في بناية سكن في احد الاحياء المشهورة في القدس وكانت توجد على بوابة الشقة لافتة صغيرة كتب عليها: عائلة حسون، ولكن احدا من النزلاء الآخرين في المنزل لم يعرف العائلة الغامضة ولم يفكر بما يجري داخل هذه الشقة.

وفي هذه المرة بكر مايك في الوصول الى مكان اللقاء المتفق عليه في زاوية الشارع القريب، وعندما شاهد «س» يسير نحوه ببطء من بعيد في الشارع المظلم وهو يرتدي بذلة بنية، بدأ يسير نحو بناية السكن، وسار «س» وراءه، ولم يكن مايك بحاجة الا لنظرة واحدة ليلاحظ ان الشاب العربي ما زال منفعلا ولكنه اقل توترا.

فقال مايك لـ«س» ان حل مشكلتك على رأسي وذلك عندما دخل الاثنان غرفة الدرج، فحرك «س» رأسه كإشارة على ارتياحه، وسرعان ما اتضحت لـ«س» نية مايك.

لم يكن في الشقة اي شخص، فقام مايك بتحضير فنجانين من القهوة وبعد ذلك وبدون مقدمات بدأ الاثنان حديثهما الموضوعي، وسرعان ما بدأ الاثنان بدراسة نظام عمل «س» في السفارة.

تقع السفارة في احد الاحياء الفخمة، وبدأ مايك وشيكد يصوران معاً نشاطات ونظام حياة السفير، واتضح ان شيكد اعتاد على الوصول الى السفارة في الساعة السابعة والنصف صباحا، وحتى الساعة العاشرة صباحا ينتهي من اعداد المكتب والوثائق الضرورية وبعد ذلك يقوم بمرافقة السفير طيلة اليوم، ما عدا المرات القليلة التي يخرج فيها السفير لاجتماعاته السرية، وهنا يبقى شيكد لوحده، وتحدث شيكد عن الوثائق التي تصل الى السفير، والوثائق التي يمكن الوصول اليها بسهولة، وما يحفظ داخل الادراج

ومـا يحفـظ في الخـزانة الحديدية، كما تحدث عن الذين يزورون السفارة واوقات الزيارة وهكذا.

وكـان مايـك يستمـع بصبر منقطع النظير الى أقوال شيكد ويربت على كتفه وتـوصــلا معاً الى اكتشاف نقطة الضعف في جهاز الامن في السفارة، اما النتيجة فهي طبيعيـة، فقـد شرح مايـك لشيكـد بلغة واضحة وقاطعة كيف يقومون بجمع المعلومات وعدد امامه المواضيع التي تعني الاستخبارات الاسرائيلية وسلم الافضليات.

واستـوعب شيكد ما قيل له بسرعة، ويبدو ان عالم التجسس السري اصبح يثـير اعجـابه، وفي غداة اليوم التالي، وفي نفس المكان تسلم من مايك كمرة تصوير سريـة وحبـرا سريـا وعنـوان «تغطية» في اوروبا ليرسل اليه الوثائق التي يكتب بين سطورهـا الواضحة التقرير الاستخباري بخط غير مرئي، وامر شيكد بتخبئة افلام التصوير في مكان سرى حيث سيتم اخذها من هناك من قبل شخص آخر.

لمبـة كهـرباء عـادية

وفي نهـايـة الحديث وجه شيكد سؤالا وابتسامة ماكرة مطبوعة على شفتيه: ماذاالآن؟ وبـدلا من ان يجيبـه وضـع مايـك في يده مئـة وخمسين دينارا اردنيا، وغمـزه قائـلا: اذا ارضانا عملك فإن هذه ستكون البداية فقط، ولم يكتشف مايك اي نوع من المـخـاوف في عيني شيكـد، فقـد اصبـح هذا مليئـاً بالثقـة وحب الاستـطلاع بالنسبـة للمستقبـل. بعـد مرور وقت قصير خرج شيكد من الشقة، وغدا سيجتاز الجسر الى الاردن.

عاد شيكدالى عائـلتـه ، ولم يمض وقـت طويـل حتـى اتـضـح انـه يقـدم عمـلا جيدا، فرسالة تليها رسالة، وتقرير يليه تقرير، وحتى افلام التصوير المختلفة تأخـذ طريقهـا الى الضفـة الغربية، فارتاح مايك كثيرا، فقد تدفقت اليه من شيكد معلومـات حيـويـة، وهـامـة، ورسـائـل ولقاءات، وهذه المعلومات لم يكن بالامكان الوصـول اليها حتى بواسطة قمر تجسس او بواسطة افضل المعدات التكنولوجية في سني الثمانينات.

وحـظي «مـايـك» بالمـدح والثناء من قبل المسؤولين عنه، ولكن الطلبات من

شيكد اخذت تتزايد، فخدمات الاستخبارات الاسرائيلية بحاجة الى تفاصيل اخرى، عسكرية وغيرها، فكتبوا الى شيكد بحبر سري وارسلوا له توجيهات مفصلة حول المهمات التي يجب القيام بها.

وقبل حرب «يوم الغفران» بشهرين وصل شيكد لعقد اجتماع آخر في الشقة السرية، فاجتمع بمايك وكأنه صديق قديم، فأخذه مايك لقضاء عطلة مدتها ثلاثة ايام في تل ابيب، وبعد ذلك عرض عليه مرسل جديد، مسجل راديو، ومعدات حديثة لتحويل الرسائل الى شيفرة، واخذت عينا شيكد تلمعان حيث ان العمل بدأ الآن يكون جديا، فتخيل بينه وبين نفسه ان قيمة الجزاء كقيمة العمل وان جيبه سينتفخ بسرعة وكان بحاجة الى اربعة ايام من التدريب لكسب السيطرة الكاملة على استخدام الجهاز الحديث، وقضى شيكد عدة ايام في مجال وضع المعدات في اماكن سرية في شقته ، ولم تفكر زوجته بأن لمبة الكهرباء العادية تتحول في ساعة متأخرة من الليل الى محطة ارسال قوية، موجهة الى مركز الاستخبارات في اسرائيل، واحيانا عندما يتوجب الامر القيام بعملية ارسال في ساعات النهار، يقوم شيكد بارسال زوجته وأولاده بأي حجة كانت خارج البيت وينزوي في غرفة جانبية ويضم بسرعة حرفا الى حرف، وخلال ثوان معدودة تتحول الاحرف الالكترونية الى صورة استخبارية كاملة، يتم بثها في الفضاء.

الأخ ينضـــم

ان «دولة» اسرائيل مدينة حقاً لشيكد، وحتى اليوم لا تستطيع الاستطراد بالحديث عن تقاريره ولم يحن الوقت للكشف عن رسائله، لقد عمل شيكد في مبنى السفارة بحذر شديد، ولكن دون ازعاج، فمنذ اللحظة التي حصل فيها على ثقة السفير، لم يعد أي شخص يشك فيه، والشيء الوحيد الذي كان يضايقه هو الوثائق المخصصة للتصوير والتي تزداد من يوم الى يوم، وعدد الاجتماعات التي يعقدها السفير والتي لا يستطيع التبليغ بها كلها. فأرسل شيكد رسالة سرية قال فيها انه بحاجة للمساعدة، وفي رسالة اخرى قال، ان هناك وظيفة شاغرة (خدام في السفارة).

وفي تل ابيب جرت مناقشات سريعة عشر في نهايتها على حل، فتم تجنيد

شقيق شيكد وارسل الى عمان لمساعدة اخيه، واعطي لقب «براك» اي «البرق» الى الاخ الذي سيعمل كرجل ارتباط ويعود بالصور والوثائق في حين يظل شيكد متفرغا كله لعمل السفارة.

وفي عام ١٩٧٥ اقال السفير «براك» بدون سبب، وبقي شيكد وحده، وفي احد الايام ارسل برقية قال فيها «سأسافر الى سوريا برفقة السفير».

وفجــاة ـ صــمـت

وهكذا كل اسبوع، يستمر تدفق المعلومات الحيوية، وبالمقابل يضاعف راتب شيكد، وترسل اليه برقيات تشجيع، وكان شيكد طيلة الوقت يظهر تفاؤلا وثقة تامة.

في نيسان ١٩٧٣ على سبيل المثال بعد ان نفذ الجيش الاسرائيلي «غارة بيروت» ارسل شيكد كلمة واحدة ووحيدة وهي «تهاني».

وفجأة، في اواسط عام ١٩٧٦ وفي احد ايام الصيف الحارة، ساد الصمت وكان اول من شك في الامر هو رجل اللاسلكي الذي يتسمع دائما الى البث الذي كان يقوم به شيكد، فمنذ عدة ايام لم تصل اشارات منه، فجهاز اللاسلكي صمت وتوقف سيل الرسائل، فماذا حدث لشيكد؟ وبدأوا بعمليات استيضاح جادة لدى اصدقاء مختلفين في العاصمة الاردنية، وكان الشعور الذي ينذر بالسوء اخذ يتمالك الجميع.

لقد انقضت عدة ايام حتى ان اتضح ما حدث:

فقد اقتحم رجلان من المخابرات الاردنية خلال ساعات الليل منزل شيكد، بعد ان دقوا على الباب، الا انهم لم ينتظروه ان يفتح لهم وامراه: تعال معنا، وبدون ان يعطياه الفرصة لفهم ما يجري كبلا يديه بالقيد وغطوا وجهه.

وبعد مرور بضعة اسابيع اي في ٨ تموز ١٩٧٦ نشرت صحيفة «الشعب» الاردنية اول خبر عن القاء القبض على جاسوس اسرائيلي وجاء في الخبر:

«منذ عام ١٩٧٢ عمل د.ع. كطباخ في سفارة عربية، وفي عام ١٩٧٣ قام هذا الشخص بزيارة الضفة الغربية للاشتراك في تشييع جنازة والده، وعندها عرضت عليه المخابرات الاسرائيلية التي علمت انه يعمل في السفارة ان يعمل لصالحها. وقد وافق د.ع بعد ان وعدته المخابرات الاسرائيلية

بمنحـه تصريحـا لجمـع شمله مع اهله، كمـا وعـدتـه بتزويده بكل ما يحتاجه في المستقبل من اجل زوجته واولاده.

كمـا ذكـرت صحيفـة الشعب، ان شيكـد استلم من المخابرات الاسرائيلية مبلغ ١٠٠ دينـار شهـريا وبعد ذلك انخفض راتبه الى ٢٠ دينارا فقط، وطلب منه تزويـدهـا بالمعلومـات عن تحـركـات الجيش الاردني، وعن الوضع في سوريا وعن المقاومة الفلسطينية، والجاسوس متزوج وأب لأربعة أولاد ويقيم في جبل الهاشمي في عمـان واضافت صحيفة الشعب الاردنية تقول ان الجاسوس اتصل مع العدو الصهيـوني خلال زيـاراتـه للضفـة الغربية، وبواسطة رسائل كان يكتبها بواسطة الحبر السري، كانت ترسل الى عناوين في الخارج وكذلك بواسطة آلة «تلبرنتر» الكترونية.

وفيمـا بعـد زود د.ع براديـو ناشيـونـال، كان يلتقـط رسـائـل الاستخبـارات الاسرائيلية على موجة خاصة وبذبذبة ٣٥٠، وقد تم تفكيك المعدات الآنفة الى قطع صغيرة ثم اعيد تركيبها.

وفي مكـان آخـر من مقـال الشعب جاء ان الجـاسـوس اتصـل مع ضباط الاستخبـارات العسكـريـة الاسرائيليـة بصورة شخصية، كما اقام اتصالا هاتفيا معهم خلال زيـاراتـه للضفـة، بالاضافة الى الرسائل التي بعث بها الى عناوين في الخارج، وقد تتبعت السلطات الاردنية تحركات الجاسوس منذ بداية نشاطاته الى ان تم القـاء القبض عليـه في الوقت الذي كان يقوم فيه ببث برقية سرية الى العدو الاسرائيلي، وعثر لديه على اجهزة بث الكترونية حديثة جدا.

«وفي عام ١٩٧٤ سافـر الجـاسـوس الى سوريـا، لمقـابلة بعض اقاربه، من اعضـاء المقـاومة الفلسطينية، وعاد من هناك حاملا معلومات سلمها فيما بعد الى المخـابـرات الاسرائيلية عن طريق عميل في الخارج، وفي ذلك العام بعث بتقرير عن عمال السفارة وعن زوار السفارة، بواسطة جهاز راديو زوده به الاسرائيليون».

كمـا قالت صحيفـة الشعب انه في عام ١٩٧٥، طلب الاسرائيليون من د.ع البقـاء في عمـان لارسـال تقـاريـر عن الوضـع الداخلي، رغم انه اراد التخلي عن العمل، وقالت الصحيفة ان محكمة امن الدولة قد حكمت على د.ع بالاعدام شنقا، ووافقت الحكومة الاردنية على قرار الحكم.

عيـــــون الدولـــــــــة

بعد حرب الايام الستة بوقت قصير تجولت مجموعة من رجال الاستخبارات الذين كانـوا يثيرون الاستغراب بالنسبة لعداتهم وتشكيلهم في مناطق شبه جزيرة سيناء، وبحثت هذه المجموعة عن مكان للاقامة فيه، وكانت هذه المجموعة غالبا ما تستقـل السيـارة في رحـلاتها، او مشياً على الاقدام واحيانا كانت تستعين بطائرة هيلوكبتر تابعة لسلاح الجو، وقد جرت عمليات الدورية التي قامت بها في نطاق من السرية التامة.

وكـانت الامـاكن التي تبدو مناسبة من أول نظرة، ترفض بعد الدراسة وفي احـد الايـام وصلت المجمـوعة بعد عملية تسلق مضنية، الى قمة جبال ام خشيبة التي ترتفـع ٦٤٢ متـرا عن سطح البحـر، الى الشمال من ممر الخبرى، وعلى بعد حوالي ٣٧كم من قناة السويس.

وفهم رجـال المجمـوعـة انهم عثـروا على المكـان المثـالي، واستـطاع رجـال المجمـوعـة من على هذه القمة مشاهدة مناطق واسعة في منطقة القناة وغربيها، اذ انه لا يوجد أي عائق او حاجز يعيق مسار النظر، وكانت تنزل من القمة منحدرات سحيقة ارتفعت فوق الحوض المنبسط والرملي لمنطقة جنوب القناة.

واكـدت الفحـوصـات التي جرت بواسطة الاجهزة، ما افترضه المهنيون من قبـل ومـا شاهـدوه بأم أعينهم، ففي تلك اللحـظة تقرر فعلا اقامة محطة المراقبة والانذار الاسرائيلية في سيناء هناك.

حصن من الباطون والفولاذ

لقـد كانت البـدايـة متواضعة وغير مريحة، فقد ضم المكان عددا من رجال الاستخبـارات في عدد من الكـارفـانـات والخيـام، وفي الايام الاولى كانت الوحدة الاستخبـاريـة التي اجتمعت على احـدى القمم الشمالية لجبل ام خشيبة، تتلقى التمـوين والارزاق من الجـو، الى ان تم شق طريق الى الجبل، ولكن الوحدة أخذت

تزداد وتكبر بصورة سريعة، ففي كل مرة كان يظهر هوائي جديد، وصحن رادار او سارية جديدة، لم يعرف عن امرها اي شخص آخر سوى رجال الاستخبارات وبعد ذلك وضعت في زوايا مختلفة من الجبل لافتات كتب عليها «ممنوع الدخول».

بعد حرب الاستنزاف وفي اطار الاستعدادات للحرب الشاملة اصبح هذا المكان الغرفة الحربية للقيادة الجنوبية، اذ انه كان حصنا قويا من الاسمنت والحديد ومحفورا في اعماق الجبل في عمق خمس طبقات تحت الارض.

انه لم تتسرب حتى اليوم اية معلومات عن نشاطات محطة المراقبة والانذار الاسرائيلية في ام خشيبة.

ويمكننا الافتراض بأن هذه المحطة لا تختلف من ناحية الاساس والاهداف الاساسية عن محطات المراقبة التابعة لجيوش كثيرة في العالم.

ان المتفق عليه في العالم هو ان هدف محطات المراقبة والانذار يدور حول الحصول بقدر الامكان على المعلومات عن العدو دون ان تدعو الحاجة الى ارسال عملاء سريين وطائرات تجسس الى اراضيه، فالمحطة تحاول تسجيل الاشارات التي تصدر وتنطلق عن سبق عمد واصرار، او الاشارات التي لا بد منها في أي نشاط عسكري يتم لدى العدو.

ان احدى الوظائف الرئيسية لمحطة الانذار هي رصد مكالمات الراديو للعدو، وخاصة المحادثات التي تجري بواسطة اجهزة الاتصال المختلفة بين الوحدات والقيادات وبين رئاسة الاركان، وكلما كانت نقاط الاتصال قريبة من الجبهة كلمات ضعفت قوتها واصبح من غير الممكن تسجيلها من مسافات بعيدة ولهذا يجب على محطة الانذار والمراقبة ان تكون قريبة بقدر الامكان من الخطوط او ان تكون مزودة بأجهزة التقاط حديثة وحساسة جدا، ومن الافضل ان تتمتع بالميزتين معاً، وهكذا كانت محطة الانذار والمراقبة الاسرائيلية في ام خشيبة.

نتيجة لرصد اتصالات العدو، كان بالامكان استخلاص معلومات كثيرة حول مواضيع مختلفة بما في ذلك تركيب وحدات العدو وصورة انتشارها وانظمة الاتصال بين عناصر القيادة، وتحرك الوحدات وغير ذلك من الامور، بما ان

عمليـات الاتصــال تجري على موجات مختلفة الطول والذبذبات، فإنه من الواضح ان جهـاز اتصــال واحداً لا يستـطيـع تسجيل والتقاط جميع الاتصالات كما ان هوائيـا واحدا لا يكفي لذلك. ولهذا فإن الرصد ولو كان لجهاز اتصال واحد يجب ان يستعين بهوائيات متباعدة وموجهة الى اتجاهات مختلفة، فهذا العمل يمكن من تحديد المحطة المرسلة بصورة دقيقة واحيانا تكون الدقة ضمن امتار فقط.

اطـــــــلال .....

هنـاك مجال عمل آخر لمحطة المراقبة ألا وهو التقاط اشارات الرادار للعدو، وهـذا الالتقـاط يمكن من استخلاص العبر بالنسبة لانواع الرادار المستخدمة من قبـل العـدو، وطرق عملهـا، وبـالنسبـة لانـواع الشيفـرة التي يستخـدمها العدو ولتضليـل الخصم، كمـا يمكن بواسـطتهـا معـرفة انظمة العمل لمحطات رادارات العـدو، وسرعـة ردهـا ونسبة دقتها في تحديد الاهداف المشبوهة من متابعة اشعة رادارات العـدو تمكن من معـرفة المناطق الميتة أي المناطق التي لا يستطيع رادار العدو الوصول اليها.

لقـد وقف المصريـون في مرحلة متقـدمـة جدا على اهميـة غابـة الهـوائيات ومـداخن التهوية التي برزت من قمة ام خشيبة، ووصفوا المحطة الاسرائيلية بأنها مركـز تجسس الكتروني، ولهذا فإننا لا نستغرب انه خلال حرب يوم الغفران التي لعبت فيهـا محـطة الانذار دوراً هاماً جداً، حاول المصريون تدمير المنشأة، والحاق الضرر بهـا، فقـد قامـوا بذلك عن طريق ارسال صواريخ من الطائرات وعن طريق صواريـخ فروغ وسكـاد التي الحقت اضرارا بسيـطة فقـط، كمـا قامـوا بواسطة وحـدات كومـاندو انزلت من طائرات الهيلوكبتر بمحاولة للسيطرة على الحصن الذي اقيم تحت الارض.

اذا كنـا قد اطلقنا على موقع جبل الشيخ، الذي استخدم في حينه كمحطة متـابعـة للاستخبـارات الاسرائيليـة، اسم «عيـون الدولة» فإن هذا الاسم ينطبق ايضـا بل واكثـر من ذلك على محطة المتابعة في ام خشيبة، ولكن خلافا لموقع جبل

الشيــخ الذي سقـط بأيـدي السوريين، فإن ام خشيبة لم تسقط بأيدي المصريين، وواصلت عملهـا حتى بعـد حرب يوم الغفـران (يجـدر بنا ان نذكر هنا ان محطة الانـذار في ام خشيبة مثلها مثل اجهزة الانذار الاخرى التابعة للاستخبارات، قد زودت معلومات هامة عن تحركات العدو عشية الحرب).

خلال المفاوضات التي جرت حول اتفاقية فصل القوات الثانية في سيناء في عام ١٩٧٥ اعلن امـر وجـود المحـطة الاسرائيليـة في جبـل ام خشيبـة، عنـدما طالب المصريـون بشـدة اخـلاء هذه المحطة، واصبحت نشاطات هذه المحطة حجر عثرة هدد بنسف المفـاوضـات كلهـا، واخـيرا اتفق على شمـل هذه المحـطة في الشريـط الفاصل التابع للامم المتحدة، على غرار شمل ممرات الجدي والمتلا.

وقـد اتفق على اقـامـة محطة انذار مصرية بالقرب من جبل الجدي، ومحطة انذار مصرية في وسط الشريط الفاصل.

لقـد تنافست الصحف الغربية دون جدوى، على نشر اسرار منشآت الانذار في ام خشـيـبــة، ولكـن المكــاسب التي حققتهــا محــطة الانــذار هذه ورجــال الاستخبـارات الذين عملوا فيهـا ظلت في اطار احد الاسرار الغامضة جدا للجيش الاسرائيلي وللاستخبارات الاسرائيلية.

لقـد عملت محـطة الانـذار «ام خشيبـة» عدة سنوات في المنطقة الفاصلة، خلف خطوط الاتفـاقيـة المـرحليـة، وتم تحديد عدد الفنيين والجنود العاملين فيها ولكنها استمرت في تغذية الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية بمعلومات ممتازة.

غير ان اتفـاق السـلام قرّب نهاية المحطة، فعشية انسحاب الجيش الاسرائيلي الى خط العـريش ـ رأس محمـد، تقرر انه على الرغم من اقامة علاقات سلمية بين اسرائيــل ومصر يجب عدم ترك هذه المنشــأة في حيــازة الجيش المصري، وكشف اسرارها عن طريق ذلك.

ففي أواسط تشرين ثان ١٩٧٩ تصاعدت السنة من الدخان الكثيف والغبار فوق منشآت ام خشيبة، فقد تم نسف هذه المنشآت ولم يبق من «عيون الدولة» في سينـاء سوى كومـة من الاطلال، لقـد خسر الجيش الاسرائيـلي احدث جهاز كان

يراقب العمق المصري، وقد ادى خسران ام خشيبة الى دفع الجيش الاسرائيلي للبحث عن وسائل جديدة للحفاظ على الانذار الحيوي حتى في عهد السلام.

خاتمة الكتاب

لقد وضعت سني الثمانينات امام سلاح الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي وامام مجموعة الاستخبارات الاسرائيلية عامة، تحديات جديدة، فالتعاظم التكنولوجي الفريد من نوعه في الجيوش العربية (وليس فقط بمقاييسه، وانما في نوعياته) الزم الاستخبارات الاسرائيلية باستثمار طاقات ضخمة في مجال متابعة هذا التطور، من اجل تمكين الجيش الاسرائيلي من الاستعداد لتطوير وسائل مضادة في مجال الاسلحة الحربية ومنع اغلاق شرايين المعلومات في مجال الجمع الاستخباري.

ان هذه المتابعة لتعاظم الجيوش العربية تنطوي على جمع حثيث ومتعمق للمعلومات الخاصة بالوسائل المستخدمة اليوم من قبل الجيوش العربية، وبنوايا هذه الجيوش حول المعدات التي ستدفع بها الى ميادين القتال في السنوات القادمة.

ومن هذه الامور على سبيل المثال، مجال الحرب الالكترونية الذي تزداد اهميته بازدياد كمية الاسلحة الحديثة المزودة بوسائل الكترونية متطورة.

ان الدول العربية، وخاصة بسبب حرب يوم الغفران، تعيش الان مرحلة سريعة من شراء المعدات الخاصة بالحرب الالكترونية، وبالاضافة الى المعدات السوفياتية التي تمتلكها هذه الدول فإنها تقوم بشراء معدات غربية، وهذه المعدات هي اكثر تطورا، وهدفها ليس فقط التشويش على الاسلحة وانما ايضا على نشاطات جهاز الرصد الاستخباري.

ان تطوير واساليب المتابعة التكنولوجية هو فقط احد التحديات التي تواجهها الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية اليوم، وهناك تحد اخر، وقد نجم هو الاخر عن دروس وعبر حرب يوم الغفران، يتعلق بتزويد القوات المحاربة خلال

القتال، بمعلومات دقيقة وبسرعة فائقة لا تتأخر كثيراً عن وقت تسليم الخبر، ولهذا السبب فان الاستخبارات الاسرائيلية تعمل باستمرارعلى تحسين كفاءة الجمع الاستخباري وتحديث وسائل ارسال المعلومات الاستخبارية من رئاسة الاركان الى المستويات الميدانية، وتخصيص وسائل جمع معلومات متطورة للاستخبارات القيادية.

في مجال معالجتها لهذه التحديات، فانه يتحتم على الاستخبارات الاسرائيلية، ان تأخذ بعين الاعتبار التطور السريع لاستخبارات العدو، التي لا تقف مكتوفة الايدي، فاستخبارات العدو تحسن باستمرار كفاءتها ووسائل جمعها للمعلومات حول ما يجري في اسرائيل، وجيشها، وتزيد من جهودها لمنع تسرب المعلومات الى الاستخبارات الاسرائيلية وتخفي عنها كل ما يجري في اراضيها.

صحيح ان سلاح الاستخبارات الاسرائيلي قد غير وجهه كليا في سني الثمانينات بالمقارنة مع الستينات والسبعينات، ولكن فيما يتعلق بالمهمة الاولى التي تقف نصب عينيه، ليلا نهارا، كما هي الحال في الماضي، وهي تزويد شعب اسرائيلي بالانذار المبكر في الوقت الصحيح، فإن الكآبة التي احدثتها حرب يوم الغفران ما زالت مطبوعة في قلوب رجاله.

فاذا دخلت غرفة كل واحد منهم لا بد وان تجد على جدرانها من الداخل آية توراتية تقول:

ان كل من ينتظر وهو يشاهد الحربة قادمة اليه، ولم ينفخ في البوق ليحذر الشعب، فإن الحربة سوف تستل روحه، لكنه سيذهب دون ان تغفر ذنوبه وخطاياه وتذهب دماؤه هدرا.

قادة سلاح الاستخبارات الاسرائيلي
المقدم «احتياط» اليسر بئيري
رئيس الاستخبارات عام ١٩٤٨

وُلد المقدم «احتياط» اليسر بئيري عام ١٩٠١ في بولندا، وهاجر الى «اسرائيل» عام ١٩٢١، واشتغل كعامل ومتعهد بناء في حيفا والمنطقة الشمالية، وفي عام ١٩٣٨ انضم الى منظمة «الهاجناه» وشغل مناصب قيادية فيها، ومنها منصب قائد «الهاغناه» في منطقة الجليل.

بين عامي ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧، كان يدير العمل في مصنع «نعمان» في خليج حيفا، وفي عام ١٩٤٧ انضم إلى قيادة خدمة المعلومات التابعة للهاغناه، وفي عام ١٩٤٨ أصبح رئيسا لخدمة المعلومات بالوكالة.

عندما أسست الاستخبارات العسكرية ـ الاسرائيلية في ٣٠ حزيران ١٩٤٨ أصبح اليسر بئيري (اليسر الكبير) أول قائد لها، ولكن بعد مضي ٦ أشهر، أي في كانون أول عام ١٩٤٨، أوقفت خدمته بأمر من ديفيد بن غوريون بعد ان عثر على جثة مخبر عربي يدعى علي قاسم، اتهم بالخيانة والجاسوسية المزدوجة وقتل بأمر من بئيري.

وفي كانون ثان ١٩٤٩ طرد من الجيش الاسرائيلي وسحبت رتبته العسكرية منه، بعد أن ظهرت نتائج لجنة التحقيق التي شكلت لبحث موضوع وثائق مزيفة قدمها في محاولة للتشكيك في اخلاص «ابا حوشي» وفي شهر تشرين أول عام ١٩٤٩ اعتقل بسبب قضية المهندس مئير طوبيانسكي الذي اتهم بتسليم معلومات للعدو واعدم بأمر محكمة ميدانية، واتهم بئيري بقتله وحكمت عليه محكمة مدنية بالسجن ليوم واحد فقط، وبتوصية من وزير العدل اصدر رئيس «الدولة» عفوا عنه.

بعد ترميجه من الجيش الاسرائيلي عاد اليسر بئيري لمزاولة اشغاله في خليج حيفـا، وابتعد عن المجتمع وأصبح في عالم النسيان، وتضعضعت صحته واصيب بعدة نوبات قلبية كان آخرها عام ١٩٥٨ حيث قضى نحبه.

التقرير العراقي

في شبـاط عام ١٩٤٩، شكلت في العـراق لجنـة خاصـة من قبـل البـرلمـان للتحقيق في اسبـاب الفشل في حرب ١٩٤٨ وبعد عدة أشهر قدمت اللجنة للبرلمان العـراقي نتـائـج تحقيقهـا ضمن وثيقـة سريـة جدا، وقـد اهتمت الاستخبـارات الاسرائيليـة في بدايـة عهـدها بالحصول على هذه الوثيقة، السرية، واعتقد رؤساء الاستخبـارات بأنـه من الممكن ان يتعـرفـوا من خلال هذه الوثيقة ليس فقط على اسباب فشلهم في الحرب وانما على تقديراتهم لقوة الجيش الاسرائيلي ونواياهم في المستقبل.

لم تمـر سوى أسـابيـع قليلة منـذ ان اتخـذ القرار من قبل الاستخبارات الاسرائيليـة حتى وضع عميل للاستخبارات الاسرائيلية صورة عن التقرير الكامل على طاولة مستخدمه في تل ابيب.

العميد «احتياط» حاييم هرتسوغ

رئيس خدمـة الاستخبـارات ودائرة الاستخبارات من عام ١٩٤٨، وحتى عام ١٩٥٠، ورئيس الاستخبارات من عام ١٩٥٩ وحتى ١٩٦١

وُلد العميـد «احتيـاط» حاييم هرتسـوغ عام ١٩١٨ في بلفاست في ايرلندا، ودرس، في مدرسـة الخليل الدينية وأكمل دراسته في جامعتي «كامبردج» و«لندن»، هاجـر الى اسرائيـل عام ١٩٣٥ وانضم الى الهـاغنـاه، وشغل مناصب مختلفة في القـدس، في عام ١٩٣٩ التحق بالجيش البـريـطاني وخدم كضابط استخبارات في وحدات المشاة والدروع، واشترك في تحرير شمال غربي اوروبا، وسرح من الخدمة برتبة مقدم.

في عامي ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ شغل منصب قائد شعبة الامن في الوكالة اليهودية، وفي حرب عام ١٩٤٨ خدم كضابط عمليات في اللواء السابع، وبين عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ تراس خدمة الاستخبارات وبعد ذلك دائرة الاستخبارات الجديدة التي أقيمت في اطار شعبة العمليات في الجيش الاسرائيلي.

كما خدم كملحق عسكري للجيش الاسرائيلي في الولايات المتحدة وكندا، (١٩٥٠) وعين قائدا لمنطقة القدس عام ١٩٥٤، وفي ايار عام ١٩٥٩، عين رئيسا لشعبة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي وبقي في هذا المنصب حتى تسريحه من الخدمة العسكرية عام ١٩٦١.

في حرب الأيام الستة أصبح هرتسوغ معلق الاذاعة الاسرائيلية، وسجلت تعليقاته على اسطوانة نشرت ضمن كتاب، وبعد الحرب عين كأول حاكم عسكري في الضفة الغربية، وبعد تسريحه شغل مناصب عامة كثيرة منها، رئيس «فارياتي» ورئيس «اورت» اسرائيل وعضو مجلس مدراء في شركات مختلفة، كما عمل في المحاماة.

وفي حرب يوم الغفران عين من جديد معلقا للاذاعة والتلفزيون، وقد ألف كتبا كثيرة منها: «ايام كثيرة» (اليهودية ـ قانون وسلوك)، و«حرب يوم الدين» و«من المتهم»، و«ضحايا التوراة».

وعين هرتسوغ في عام ١٩٧٥ سفيرا لاسرائيل في الامم المتحدة، وبعد عودته انضم الى حزب العمل، وانتخب للكنيست العاشرة.

وهرتسوغ هو نجل الحاخام الرئيس السابق لاسرائيل الحاخام اسحق هاليفي هرتسوغ وهو متزوج وله ثلاثة أولاد وبنت.

العقيد «احتياط» بنيامين جبلي
رئيس الاستخبارات من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٥

وُلد العقيد (الاحتياط) بنيامين جبلي في اسرائيل عام ١٩١٩، وكان عضواً في الهاغناه منذ شبابه وخدم في شرطة المستوطنات اليهودية، وفي الاربعينات بدأ العمل في خدمة المعلومات التابعة للهاغناه (شاي)، وفي عام ١٩٤٨ عين ضابطا

للاستخبارات في منطقة القدس، وبحكم منصبه هذا كان أحد قضاة محكمة الميدان التي حكمت على النقيب مئير طوبيانسكي بالاعدام، بعد ادانته بالخيانة وبعد ذلك برئت ساحة طوبيانسكي.

في حزيران ١٩٤٩ عين جبلي نائبا لرئيس خدمة الاستخبارات وبعد ذلك بعام عين رئيسا لدائرة الاستخبارات في رئاسة الاركان، وبعد ذلك سافر للدراسة في انجلترا كما درس العلوم السياسية في جامعة برينستاون، في الولايات المتحدة.

بعد عودته الى «البلاد»، عام ١٩٥٤ عين رئيسا لشعبة الاستخبارات برتبة عقيد، وبحكم منصبه هذا كان شريكا في «الفضيحة» التي حدثت في مصر، وكان جبلي اكبر ضابط ارتبط اسمه «بالفضيحة» عندما اكتشف امرها، وزعم أنه تلقى من وزير الدفاع بنحاس لافون، أمراً بالقيام بعمليات تخريب في مصر، واما لافون فقد زعم ان جبلي نفذ العمليات دون ان يحصل على موافقته، وفي اعقاب اكتشاف امر «الفضيحة» رمج جبلي من منصبه كرئيس لشعبة الاستخبارات، وفي أيار ١٩٥٥ عين رئيسا لأركان القيادة الشمالية، وفي حرب سيناء ١٩٥٦، قاد لواء جولاني الذي اقتحم المواقع المصرية في منطقة رفح، وفي عام ١٩٥٩، عين بنيامين جبلي قائدا للقيادة الوسطى بالوكالة ورفض وزير الدفاع ديفيد بن غوريون ترفيعه الى رتبة عميد بسبب دوره في الفضيحة وكان آخر منصب شغله في الجيش الاسرائيلي هو ملحق عسكري في انجلترا والدول الاسكندنافية.

وبعد تحوله الى الحياة المدنية عين جبلي كمدير كبير لشركة «كيزر ـ ايلان» وفي عام ١٩٦٧ عين مديرا لمصنع «شيمن» في حيفا وبعد ذلك عين مديرا لقسم الاغذية والصناعات الخفيفة في شركة كور والزيوت الصناعية، وفي عام ١٩٧٦ انضم الى ادارة كور.

شلومو عمير

في مطلع الخمسينات من هذا القرن عمل احد العملاء في خدمة الاستخبارات الاسرائيلية ـ وكان معروفا لدى هذه الاستخبارات باسم شلومو مزراحي ـ في شمال شرقي القدس، وفي احد الايام انقطع الاتصال بينه وبين

مستخدميه في القسم الغربي من المدينة، فتجلد بالشجاعة وتوجه الى الجيب الاسرائيلي في جبل المكبر فدخل مبنى القيادة دون ان يلاحظه الحراس، وطلب مقابلة القائد.

فسأله شخص: من أنت؟

أجاب: شلومو مزراحي.

عندما أخذوه الى القائد اخذ شلومو مزراحي يصرخ في وجهه قائلا:

لماذا لم تأمر رجالك بالحراسة بشكل مناسب؟ فكيف سمحوا لي بالدخول دون أن يتفحصوا بطاقة هويتي؟ ان الاهمال سيوقعكم بكارثة.

فطلب القائد المرتبك من مزراحي الافصاح عن هويته.

فأجاب مزراحي: انني أعمل في خدمتكم، وطلب من القائد ان يتصل مع مستخدمه في غربي المدينة، وبعد مرور بضع ثوان اكدت قيادة استخدام الجواسيس ان مزراحي هو عميل للوحدة وزودته بتوجيهات عمل مناسبة.

لقد كان شلومو مزراحي من أفضل الجواسيس الذين عملوا آنذاك، في صفوف الاستخبارات الاسرائيلية، ومع مرور الوقت، توطدت علاقاته مع الاستخبارات الاسرائيلية وحول اسمه الى شلومو عمير، وعمل في صفوف الاستخبارات الاسرائيلية، حتى في خارج حدود «الدولة».

في مطلع الستينات من هذا القرن عاد عمير الى البلاد واعتنق الدين اليهودي واقام وعائلته في القدس، وبنى بيتا فيها، وكاعتراف بخدماته حصل على رخصة لاقامة محطة وقود في ابو غوش، في عام ١٩٧٧ اصيب بجلطة وتوفي في مستشفى هداسا.

العميل المزدوج..

كان للشيخ محمد، وهو أحد ابناء عشائر النقب، قريب يعمل موظفا، وفي فترة الخمسينات علمت الاستخبارات الاسرائيلية أنه يوجد لقريب الشيخ محمد علاقات ودية مع عدد من الضباط المصريين في القطاع.

وبطريقة ما، وصلت الخيوط الى وحدة الاستخبارات الاسرائيلية فجند

الشيــخ محمــد وقــريبه للعمل مع الاستخبارات الاسرائيلية، وفي نهاية فترة تدريب قصــيرة انتقــلا الى القــطاع وكــانا في كل يوم ينقلان الى مستخدميهما في اسرائيل معلومات حيوية بواسطة جهاز اتصال اعطي لهما وتم اخفاؤه داخل «بريموس»، في كل مرة يحــدث خطأ او عطل في جهــاز الاتصــال كان الاثنان يعقدان اجتماعا مع مستخدميهما، وعقدت معظم هذه اللقاءات في كيبوتس «زيكيم» القريب من القطاع.

في إحدى الليالي، ودع الاثنان مستخدميهما وعادا الى القطاع، وفي منتصف الليــل، وبعــد وقت قليــل من مغــادرتهمــا مكــان الالتقاء، انطلقت عيارات نارية في الهــواء، واعتقــد المســؤولون في قاعــدة الاستخبارات الاسرائيلية، في البداية، بأن الاثنين قد وقعا في كمين للجيش المصري وان النار اطلقت عليهما فورا.

ولهذا ساد الاعتقاد بأنه يجب التوقف عن تسلم الاشارة التي تعود الاثنان إرسالها عندما يصلان الى اماكنهما وهي «وصلنا بسلام».

ولكن بعــد مرور بضــع ساعات حدثت مفاجأة، فقد وصلت رسالة لاسلكية من العميلين تقــول: وصلنــا بسلام، وفي وقت متأخر قال محمد في رسالة لاسلكية: لقد كدنا ان نقع في كمين ولكننا استطعنا الهرب، سنحضر الى الاجتماع القادم كالعادة.

ان محمــد وقــريبه الموظف، لم يعلما بأن قائد قاعدة استخبارية في الجنوب، الرائــد يعقوب نمرودي علم في هذه الأثناء من مصادر أخرى ما حدث لهما في تلك الليلة لقــد ألقي القبض عليهما من قبل رجال الاستخبارات المصرية ونقلا باحترام الى قائد المخابرات المصرية في قطاع غزة البكباشي مصطفى حافظ.

وعنــدمــا حقق معهما اعترفا بكل شيء، وقاما بتسليم مفتاح الشيفرة وجهاز الاتصــال الذي يملكــانــه ووافقــا على التعاون مع المصريين، لقد ارتاح حافظ لهذه النتيجــة، سيواصل محمد وقريبه العمل في خدمة الاستخبارات الاسرائيلية وهكذا سيسلمــون جميــع اسرارهــا لمصــطفى حافــظ، وأخيراً سنحت للمخابرات المصرية فرصة نادرة للتغلغل في جهاز المخابرات الاسرائيلية.

في الاجتماع التالي ظهر لسبب ما الشيخ محمد فقط، وخلال الحديث أكثر من التباهي بشجاعته وحنكته اللتين مكنتاه من الهرب هو وقريبه من وجه المخابرات المصرية، وكما هو مفهوم فقط طالب زيادة اجره بسبب المخاطرة الكبيرة التي تنطوي عليها نشاطات التجسس، وقرر نمرودي بعد التشاور مع المسؤولين عنه مواصلة اللعبة، وكان نمرودي وقادته المباشرين يعرفون فقط عن العميل المزدوج.

استمرت الاتصالات مع الشيخ محمد وقريبه حوالي سنة، من خلال لقاءات الحدود بالقرب من القطاع.

وفي مرحلة معينة تقرر في اسرائيل العمل على نقل الاثنين الى مصر على فرض ان هناك فوائد كثيرة من العملاء المزدوجين، وقيل لمحمد في احد الاجتماعات انك اذا انتقلت الى القاهرة فاننا سنوكل اليك مهمة كبيرة وكذلك سنرفع أجرك.

زاد حب الاستطلاع عند ضابط المخابرات المصري في غزة مصطفى حافظ، وتساءل ماذا يريد الاسرائيليون من القاهرة؟ وما هي المهمة التي سيوكلون بها لمحمد وقريبه؟

لقد وافق مصطفى حافظ على نقل الاثنين الى القاهرة وبعد ان فحص جهاز الاتصال الذي أعطاه الاسرائيليون لمحمد، أمره بأن يطلب من الاسرائيليين اجهزة أكثر تطوراً.

وقبل سفرهما الى القاهرة استدعي محمد وقريبه الى اسرائيل للاشتراك في دورة لاسلكية سريعة، ولم يشعر الاثنان مطلقا بأن (هويتهما المزدوجة) معروفة للاستخبارات الاسرائيلية، وفي اواسط الخمسينات عندما استعدا للسفر الى القاهرة كتب محمد الى قائد الاستخبارات الاسرائيلية في الجنوب طالبه بزيادة أجره، وتمت تلبية الطلب.

وعندما انتقل الاثنان الى مصر، وضع الاثنان تحت اشراف رؤساء المخابرات المصرية، وخرجا من قبضة حافظ، وانتظر المصريون، بفارغ الصبر اليوم الذي ستكلف فيه الاستخبارات الاسرائيلية العميلين «بالمهمة الخاصة» ولم يتأخر

ذلك اليـوم، فقـد طلب من محمد وقريبه الاتصال مع «مخبر هام» في القاهرة يعمل في صفـوف الاستخبـارات الاسرائيليـة وقيل لهما ان هذا الاتصال سيكون بداية «العمليـة الكبـيرة» وحتى اليـوم لم يستـطع الكشف عن أسرار ومـاهيـة «العملية الكبيرة» التي كلف بها محمد وقريبه، وكل ما يمكن القول هو ان المخابرات المصرية وقعت في «الفـخ» في نفس اليـوم الذي اخبـر به العميلان المخابرات المصرية بهوية «المخبـر الهام» الذي يعمل مع الاسرائيليين وبدأت قوات الامن المصرية العمل وتم اعتقال المئات.

بصـورة ظاهـريـة يمكن القـول بأن نجاح المهمة التي القتها الاستخبارات الاسرائيليـة على عاتق العميلين المزدوجين قد كانت مفيدة ليس فقط لاسرائيل وانما خدمت في نهاية الامر ايضا مصالح الرئيس المصري جمال عبدالناصر.

وقـد حظي رجـال الاستخبـارات في القـاعدة الاسرائيلية في الجنوب بقيادة الرائد يعقوب نمرودي بتقدير خاص من رئيس الحكومة دافيد بن غوريون.

العميد «الاحتياط» يهوشفاط هركابي(*)
رئيس الاستخبارات من ١٩٥٥ ـ ١٩٥٩

وُلد العميـد (الاحتيـاط) يهوشفاط هركابي في حيفا عام ١٩٢١، وتخرج من مدرسة هرئيلي في حيفا، والجامعة العبرية في القدس، وجامعة هارفارد في الولايات المتحدة.

في الحـرب العـالميـة الثـانيـة التحق هركـابي بالكتيبـة الثانية التابعة للواء اليهـودي المحـارب برتبـة رقيب، وفي نهـاية الحرب عاد لمزاولة دراسته في مؤسسة التعليم التابعة للوكالة اليهودية التي اعدت المجموعة الاولى من طاقم موظفي وزارة الخارجية.

بعـد حرب عام ١٩٤٨، انـضـم هركـابي المعـروف بلقب «بـاتي» لوزارة الخـارجيـة وعـين رئيسـا لقسم الشؤون الاسيوية وعمل كضابط ارتباط بين وزارة

(*) شغل كرئيس بالوكالة من ١٩٥٣/١٢/٢٨ ـ ١٩٥٥/٥/١٠.

الخارجية والجيش الاسرائيلي برتبة رائد واشترك في الوفود الاسرائيلية لمفاوضات الهدنة مع مصر والاردن في رودس.

وعمل في منصب السكرتير السياسي ورئيس مكتب وزير الخارجية موشه شاريت، كما خدم كنائب لرئيس شعبة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي ودرس العلوم السياسية في فرنسا، وفي عام ١٩٥٥ عين رئيسا لشعبة الاستخبارات خلفا لبنيامين جبلي الذي اضطر الى اعتزال منصبه بسبب دوره في «الفضيحة».

وقد شغل هركابي هذا المنصب مدة اربع سنوات، وفي نيسان ١٩٥٩ ارغم على الاعتزال ومعه مئير زوريع الذي كان آنذاك يشغل منصب رئيس شعبة الاركان، في اعقاب اعلان خاطىء لتجنيد قوات الاحتياط.

والمعروف ان هركابي مستشرق مشهور وله اطلاع واسع في موضوع النزاع الاسرائيلي ـ العربي.

وقد ألف كتبا كثيرة منها: (حرب ذرية وسلام ذري)، (موقف اسرائيل من النزاع العربي ـ الاسرائيلي)، (وموقف العرب من النزاع الاسرائيلي ـ العربي) «وبين اسرائيل والعرب»، «وأسس في النزاع الاسرائيلي ـ العربي»، «وتقلبات في النزاع العربي ـ الاسرائيلي» و«حرب واستراتيجية».

في عام ١٩٦٤، عين مسؤولا عن الابحاث الاستراتيجية في وزارة الدفاع، وبعد ذلك بعشر سنوات عين مساعدا لوزير الدفاع للتخطيط الاستراتيجي على المدى البعيد، وفي عام ١٩٧٦ اعتزل الخدمة، وفي نفس العام استدعاه رئيس الحكومة آنذاك اسحق رابين لاشغال منصب مستشاره للشؤون الاستخبارية.

النظرية السوفياتية

كانت معرفة النظرية السوفياتية من قبل الجيش الاسرائيلي احدى المساهمات الهامة لدائرة الابحاث في شعبة الاستخبارات في الستينات من هذا القرن، فالمهمة التي كانت نصب أعين الاستخبارات في تلك الفترة كانت مهمة مزدوجة، معرفة نظرية الحرب السوفياتية التي ادخلت الى المنطقة منذ وقت قليل، وفحص الطريقة التي يطبق فيها الجيش المصري هذه النظرية.

لقد كان المحرك الرئيسي وراء النشاطات الاستخبارية في هذا المجال هو رئيس دائرة الابحاث في الاستخبارات، العقيد ديفيد كرمون (دوديك).

فقد اهتم دوديك باقامة طاقم خاص لمعالجة النظرية السوفياتية، وفي صيف ١٩٦٢، نشرت الاستخبارات الاسرائيلية كتابها الاول الشامل حول هذا الموضوع، من مجلدين ضخمين.

خصص الأول للجيش المصري وبنائه ووحداته حسب النظرية السوفياتية، واستوفى المجلد الثاني اسس النظرية السوفياتية ذاتها، وبتوصية من دوديك عقد رجال الابحاث دورات الجيش الاسرائيلي لالقاء محاضرات حول النظرية السوفياتية، ومن اجل تعميق معرفة الجيش الاسرائيلي لهذه النظرية، بنيت في النقب خطوط عسكرية ومنشآت حسب النظرية السوفياتية واستخدمت هذه الخطوط والمنشآت لتدريب الجيش الاسرائيلي وساهمت في تخطيط الهجوم الاسرائيلي على سيناء في حزيران ١٩٦٧.

والى جانب نشر النظرية السوفياتية من قبل الاستخبارات العسكرية بذلت دائرة الابحاث جهودا لتعليم الجيش الاسرائيلي على الاسلحة والمعدات السوفياتية التي ادخلت الى المنطقة.

العميد «احتياط» مئير عميت(*)

رئيس الاستخبارات من ٦١ ـ ١٩٦٣

وُلد العميد احتياط مئير عميت في طبريا عام ١٩٢١، وفي عام ١٩٣٦، انضم كطالب لمنظمة الهاغناه وعمل كناطور.

وهو متزوج وأب لثلاث بنات، وهو خريج جامعة كولومبيا ويحمل شهادة ادارة اعمال في عام ١٩٥٠ عين قائدا للواء جولاني وساهم في اعادة تنظيم اللواء بعد الهجوم الفاشل الذي قام به على تل مطيلة عام ١٩٥٠ وخسر فيه عشرات القتلى.

كما عين قائدا لقيادة التدريب ١٩٥١، ورئيسا لقسم العمليات في رئاسة

(*) شغل حاييم هيرتسوغ رئاسة الاستخبارات للمرة الثانية من عام ١٩٥٩ ـ ١٩٦١.

الاركـان، وبعـد فتـرة دراسيـة في بريـطانيا استدعي عام ١٩٥٤ لاشغال منصب رئيس شعبة العمليات، وفي هذا المنصب اعد عميت خطة الهجوم على سيناء، ومن موقع القيادة العليا أدار عميت شؤون رئاسة الاركان العامة خلال الحرب عام ١٩٥٦.

بعـد الحـرب وفي اعقاب تزايد نشاطات الفدائيين جنوب البلاد، عين عميت قائدا للقيادة الجنوبية برتبة عميد.

وفي عام ١٩٥٨ خدم عميت قائـدا للقيادة الوسطى وأصيب بجروح بالغة ـ خلال هبـوطه في مظلة، وألزمتـه جراحـه الفـراش اكثـر من عام، وبعد ذلك خرج للدراسـة في الولايـات المتحـدة الامـريكية، وبعد عودته في عام ١٩٦١ عين رئيسا لشعبة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي وبعد ذلك بعامين عين رئيسا «للموساد» خلفـا لاليسر هرئيل الذي اعتزل الخدمة، وشغل هذا المنصب مدة خمس سنوات، عمق خلالهـا النشاطات الاستخبارات في الدول العربية، في عام ١٩٦٨ عين مديرا عامـا لاتحـاد الشركـات «كور» وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٧٧، وعندها قرر اعتـزال منصبـه للاشتـراك في تأسيس «الحركة الديمقراطية للتغيير» (داش) بعد انتخـابـات عام ١٩٧٧ وبعـد انضمام (داش) للائتلاف الحاكم عين عميت وزيرا للمـواصـلات والاتصـالات في حكومة الليكود، واستقال من هذا المنصب في ايلول ١٩٧٨، وبعـد انقسام داش انضم الى حركة «شينوى» وبعد ذلك قرر العودة الى حزب العمل.

اسرائيل ترسل أوامر كاذبة للقوات المصرية

ان اخطر ما قامت به الاستخبارات الاسرائيلية خلال حرب حزيران ١٩٦٧، هو تدخلهـا في الاتصالات الرئيسية لقيادة القوات الامامية المصرية في سيناء، فقد دمـر الاسرائيليـون الاتصالات السلكية بين القيادة والقوات المصرية وارغموا بذلك القيادة على استخدام الاتصالات اللاسلكية.

وقـد مكن هذا الامـر القيـادة الاسرائيلية من استخدام الموجات والذبذبات

التي تعمل بها المحطات المصرية لارسال اوامر كاذبة للوحدات المصرية، وخلق الفوضى في صفوفها، ونتيجة لاحد هذه الاوامر انسحبت القوات المصرية من شرم الشيخ بدون قتال.

من سلسلة مقالات حول الاستخبارات الاسرائيلية كتبها ابراهيم عامر(في مجلة المصور المصرية في ١٧ كانون ثان ١٩٦٩).

العميد «احتياط» اهارون يريف
رئيس الاستخبارات العسكرية من عام ١٩٦٣ ـ ١٩٧٢

وُلد العميد (الاحتياط) اهارون يريف في موسكو عام ١٩٢٠، وانضم الى الهاغناه في عام ١٩٣٩، وخدم في الجيش البريطاني برتبة نقيب، واشترك في انقاذ بقية اليهود ومشتريات اسلحة في اوروبا.

خدم يريف في عام ١٩٤٧ مستشارا عسكريا لرئيس اركان الهاغناه يعقوب دوري، وبعد ذلك انتقل الى شعبة العمليات في المنظمة، وفي حرب عام ١٩٤٨، كان نائبا لقائد كتيبة في لواء الاسكندروني، وفي نهاية الهدنة الأولى أصبح قائد كتيبة في لواء كرميلي واشترك في معارك الشمال، وخاصة في احتلال الناصرة.

في عام ١٩٥١ عين رئيس قسم في دائرة العمليات في رئاسة الاركان وفي نفس العام ارسل الى فرنسا وكان اول طالب اسرائيلي في مدرسة الاركان الفرنسية.

وترأس الطاقم الذي أقام المدرسة العسكرية للقيادة والاركان في الجيش الاسرائيلي وفي عام ١٩٥٤ عين كأول قائد للمدرسة.

في عام ١٩٥٧، عين اهارون يريف ملحقا عسكريا في السفارة الاسرائيلية في واشنطن، وبعد عودته «للبلاد» في عام ١٩٦٠ عين قائدا للواء جولاني.

وبعد مرور حوالي عام انضم الى الاستخبارات وفي مطلع عام ١٩٦٤ عين رئيسا لشعبة الاستخبارات، وأشغل هذا المنصب مدة تسع سنوات شملت حرب الايام الستة وحرب الاستنزاف.

وفي عام ١٩٧٢ عين يريف مستشارا لرئيسة الحكومة غولدا مئير، لشؤون مقاومة الارهاب في الخارج، وبعد حرب يوم الغفران مثل اسرائيل في محادثات

الكيلومتر ١٠١، مع مصر التي اتفق فيها على شروط وقف اطلاق النار، وقد انتخب للكنيست الثامنة في قائمة التجمع، وفي حكومة اسحق رابين في أواسط عام ١٩٧٤ عين وزيرا للاعلام وفي كانون ثان ١٩٧٥ استقال من منصبه وأعرب عن رأيه بأنه لا يوجد مكان لوزارة الاعلام في الحكومة، وفي عام ١٩٧٦ عين رئيسا لمركز الابحاث الاستراتيجية، في جامعة تل ابيب، وفي عام ١٩٧٧ استقال من الكنيست وانضم الى الحركة الديمقراطية للتغيير (داش) وبعد الانقسام الذي حدث فيها انضم الى حركة شنيوى ولكنه ركز بشكل خاص على اعماله الاكاديمية، واعتزل النشاطات السياسية.

جهاز علمي صغير

أدى الجهاز العلمي الصغير الذي ادخله في خدمة الاستخبارات الاسرائيلية يوفال نئمان الى فائدة كبيرة في حرب ١٩٦٧، فالدوريات الاسرائيلية التي تعودت التسلل الى سيناء كانت توصل اجهزة استقبال صغيرة بالخطوط الهاتفية المصرية وتضع مايكروفونات موجهة ذات حساسية عالية، تستطيع استقبال المحادثات في معسكرات الجيش المصري من على بعد مئات الامتار.

من كتاب أ.ب.أ/العراق
٢٤ / حزيران / ١٩٧٠

الامريكيون يساعدون الاستخبارات الاسرائيلية

لقد اظهر الطيارون الاسرائيليون مقدرة فائقة خلال حرب حزيران ١٩٦٧، فقد تبين من الخرائط التي وجدت بحوزة الذين أسروا منهم في الدول العربية، انه تم تحديد مواقع مستودعات الذخيرة والوقود والمطارات الوهمية على هذه الخرائط، وقد قام الطيارون الاسرائيليون بشل حركة المطارات الحقيقية بينما لم يتعرضوا للمطارات الوهمية.

وفي كل مكان اطلقت عبارات المديح للاستخبارات الاسرائيلية، فقد صرح ديان من خلال الصحيفة الاسرائيلية، يديعوت احرونوت، ان الدور الذي لعبته

أجهـزة التجسس الاسرائيليـة لم يكن اقـل من الدور الذي لعبـه سلاح الجـو أو سلاح الدروع، وامـا اسحق رابـين فقـال ان انتصار الاسرائيليين في حرب الايام الستـة كان غير ممكن، لولا التجسس الشامل الذي قامت به شعبة الاستخبارات الاسرائيلية طيلة كل السنوات.

ان العـنصر الرئـيسي للمـعـلومـات التي كانت موجـودة بحـوزة القيـادة الاسرائيليـة هو ما قدمته الاستخبارات الامريكية ودول حلف الاطلسي، وحول هذا المـوضـوع قال المفـوض الامريكي في مصر لصحيفة نيويورك تايمز، خلال الاشهر التي سبقت حرب الايـام الستة اعدت مهام التجسس العسكري التي ألقيت على عاتق السفـارة الامـريكيـة في القـاهـرة وعلى عاتق هيئات التجسس العسكرية بما يتمشى مع المصالح الاسرائيلية.

من مقـالات كتـبـت عن النـشـاطات الصهيـونية الدولية والمخابرات الاسرائيلية بقلم المعلق ل. كورنيف ونشرت في صحيفـة اوغـونيـوك/ الاتحاد السوفياتي في كانون ثان وآذار ١٩٧٧.

الجاسوس الذي قتل برشاش اسرائيلي

خلال عدوان حزيران ١٩٦٧، قامت الاستخبارات الاسرائيلية بأعمال مدمرة ضد القـوات العـربيـة فقـد أرسلت سرايـا متحركة من الجواسيس يتقنون اللغة العـربيـة ويرتدون زي الجيش المصري للعمل في الخطوط الخلفية للقوات المصرية، وقـد تغلغـل عدد من هؤلاء الجـواسيس في صفـوف القـوات المصريـة، واختطفوا ضبـاطا، وحصلوا على معلومـات هامـة، وقـامـوا بهجمـات مفـاجئـة ليلية ودمروا مستودعات ذخيرة ووقود ومياه.

لقد اعترف الاسرائيليون انفسهم بأن جواسيسهم كانوا بين القوات المصرية في سينـاء فقـد قال ميخـائيـل بار زوهـر، الاسرائيـلي في كتابه انه في نهاية احدى المعـارك الضـاريـة في سينـاء انطلق شخص من داخل خندق مصري وبدأ يركض نحو الاسرائيليين، فاطلقت النار فورا على هذا الرجل من رشاش اسرائيلي وقتل على

الفور، فتقدم الاسرائيليون نحو الجثة فهزوا اكتافهم ثم ابتعدوا، ولكنهم لم يعلموا، كما قال بارزوهر ان هذا الجندي المجهول كان من أفضل الجواسيس الاسرائيليين الذين استطاعوا التسلل الى صفوف الجيش المصري.

من سلسلة مقالات عن الاستخبارات الاسرائيلية كتبها ابراهيم عمار في مجلة المصور الصادرة يوم ١٧/ كانون ثان ١٩٦٩

في اعقاب الشاذلي

في نهاية حرب الايام الستة، خرج ضباط من الاستخبارات الاسرائيلية للبحث عن قوات الشاذلي التي أقلقت الاستخبارات الاسرائيلية اثناء الاستعدادات للحرب وتبين من خلال المعارك انها نمر من ورق.

واتضح من معلومات وصلت الى الاستخبارات الاسرائيلية ان الشاذلي سارع الى الهرب واجتياز القناة عائدا الى مصر، وترك خلفه، كما قالت الانباء، سيارات كثيرة وكميات هائلة من المعدات الحديثة.

وكان الهدف هو العثور على هذه الاليات والمعدات.

واطلق على عملية البحث اسم "في اعقاب الشاذلي"، واستمر البحث طويلا دون ان يسفر عن نتيجة، وعندما كاد اليأس ان يسيطر على الباحثين اكتشف احدهم في أحد الاودية في سيناء عشر دبابات جديدة تماما و ١١ ناقلة جنود حديثة من نوع «بي. تي. ار» وكانت هذه المدرعات قد دفنت في الرمال وموهت جيدا، لا يستطيع اكتشافها الا قصاصو الاثر البدو، وبعد جهود كبيرة ومتواصلة استطاعت مجموعة البحث ان تخرج من باطن الارض المجنزرة الاولى وسحبها بعد تنظيفها الى جبل لبني، ومن هناك نقلت الى بئر السبع وعرضت أمام قائد القيادة.



اطلاق النار على الطابق الرابــع

قال أحــد اعضاء الوفد السوري في مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع العرب، الذي انعقــد في الكــويت، انــه خلال القصف الذي قام به سلاح الجــو الســوري لمنــطقــة الحمة السورية، في أيلول ١٩٧٢، حلقت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاع منخفض حتى فوق منــطقة المعرض الدولي في دمشق، اثناء مباراة كرة قدم هناك، ودب الذعر بين مشاهدي المباراة الذين خشوا ان تقوم الطائرات الاسرائيلية بالقاء قنــابلهــا على رؤوسهم ولكن المــوظفــين الســوريــين ذهلوا عنــدمــا رأوا الطائــرات الاسرائيليــة تتجــة نحــو الحمة وبدأت تطلق نيران مدافعها، على الطابق الرابع في أحــد الابنية العالية هناك، وطيلة وقت القصف لم يتوقف الموظفون السوريون عن التســاؤل: لماذا يطلق الاسرائيليــون النــار فقــط على الطابق الرابــع ولكن في نهاية القصف اكتشفــوا استنادا الى شهادة حارس المبنى أن احدى منظمات الفدائيين استأجرت قبل اسبوعين الطابق الرابع في ذلك المبنى.

ان اسرائيــل «دولة» تعتمــد على معلومــات وتستخدم اساليب مختلفة لجمع هذه المعلومــات ان استخــدام الجــواسيس ليس الاسلوب الهــام جدا، في حرب حزيــران ١٩٦٧ اتضــح ان اسرائيــل كانت تمتلك ملفا خاصا يضم قوائم بأسماء جميــع الضباط المصريين واقاربهم، وقد تم جمع هذه المعلومات من خلال اعلانات الوفــاة في الصحف العــربيــة، وهــذا هو سر تفــوق الاستخبــارات الاسرائيلية على الاستخبــارات العــربيــة، انهــا تعــرف كيف تجمــع المعلومات وتستغلها وعلى هذا الاساس تصــيغ قراراتها وتضع تقييمها للاوضاع.

من مقال محرر الحوادث/
لبنان في ٢٤/١١/١٩٧٢

عمــود تلفــون مجـــوف...

بعــد حرب يوم الغفــران، قام محــرر صحيفة «افييشن ويك» روبرت هوتس بزيارة الى مصر بناء على دعوة من حكومتها.

واطلع المصريـون هوتس على معـدات تجسس اسرائيليـة سقـطت بأيديهم، ومـمـا شاهـده هوتس عمـود تلفـون مجـوف وضع داخله جهاز ارسال خاص يتم تشغيله بواسـطة بطاريات وكان باستطاعة هذا الجهاز ان ينقل المحادثات الهاتفية التي يجـريهـا المصريون، وقيل لمحرر المجلة ان العمود المجوف وضع في مكان أحد الاعمدة العسكرية الرئيسية الممتدة نحو المواقع العسكرية على شاطىء البحر الاحمر.

من: الافييشن ويك
٣٠ / حزيران / ١٩٧٥

جنون شبتاى بريك

بقلم: اهارون يريف/ رئيس شعبة الاستخبارات

منـذ انتهـاء حرب الايام الستة والمصريون يبذلون جهودا لعرقلة قواتنا من مراقبـة اراضيهم ومعـرفة ما يجري في الضفة الغربية للقناة، ففي البداية اقاموا كثبانا رملية حجبت مجال الرؤيا، وبعد ذلك تصدوا لابراج المراقبة التي اقيمت في اراضينا..

وقـد تزايدت هذه المشكلة حدة في حرب الاستنزاف بسبب قيود معينة كانت تعتـرض نشـاطات سلاح الجـو الاسرائيـلي في غربي القنـاة، وعندما احضر احد عمـلاء الاستخبارات الاسرائيلية في أحد الايام صورة أرضية مشوهة لجسر صغير غربي القنـاة على بعـد ٢ كم فقـط من خط الميـاه ادرك شبتاى بريك، انه لا يمكن الاستمرار على هذه الصورة.

ان شبتـاى نفسـه لم يدرك لماذا تذكر في تلك اللخطة بالذات، دكان الالعاب التي زارها خلال زيارته الاخيرة للولايات المتحدة فعلى احدى المنصات الواقعة على مقربة من حديقة السكك الحديدية الكهربائية عرضت للبيع طائرات صغيرة جميلة ذات محرك يتم توجيهه لاسلكيا، وشمل جهاز التوجيه بشكل عام على اربع قنوات اعـدت اثنتـان منهـا لتشغيـل المحرك وتحريك الجناحين، واتضح أنه يوجد في كل طائـرة صغـيرة قنـاة احتيـاطية يمكن استخدامها لتشغيل كاميرا تصوير بواسطة اشارة لاسلكية من مسافة بعيدة.

فذهب شبتـاى بريـك الى رئيس دائـرة جمـع المعلومـات في الاستخبـارات العسكـريـة العقيـد ابـراهـام ارنـان واقتـرح عليـه شراء طائـرة العاب وبعشرات من الدولارات، فقـط، وتركيب كاميرا فيها، وارسالها فوق المواقع المصرية في الضفة الغربية، وأعرب بريك عن أمله في أنه بهذه الطريقة سيكون بالامكان الحصول على صور ذات نوعية جيدة لما يحدث هناك دون تعريض حياة الاشخاص للخطر.

لقـد كان رانـان متشككا اول الامر وطلب ان يطلع أولا على طائرة الالعاب، وعنـدها تذكروا ان طياراً في سلاح الجو هوايته طائرات الالعاب، وقالوا ان الطيار يخصص كل أوقـات عطلتـه ايـام السبت للتسليـة بطائرات الالعاب، فذهبوا اليه وطلبـوا منه أن يعرض عليهم لعبته.

تحمس ارنـان للفكرة، وأرسل شخصاً الى دكان الالعاب في الولايات المتحدة واشترى من هناك ثلاث العاب وخمسة محركات اضافية، بقيمة ٥٨٠ دولارا فقط، ولم تواجـه الوحـدة الفنيـة في الاستخبارات العسكرية أية مصاعب لتركيب كاميرا تحت بطن طائرة الالعاب.

وفي اليـوم الذي أبلغ فيـه شبتاي بريل رئيس دائرة جمع المعلومات بأن كل شيء أصبـح جاهـزا لارسـال الطائرة الى غربي القناة أصر ارنان على أن يرى اولا كيف ستصمـد طائرة الالعاب، اذ أنه لا فائدة مطلقا من تبذير ولو مبلغ بسيط من المال على طائرة العاب وكاميرا يتم اسقاطها فورا بنيران العدو.

ذهبـوا الى قاعـدة لسـلاح المـدفعية ونظر رجال المدفعية باستهانة الى هذه الاداة، وكـانـوا قد عرفوا مسبقا بعملية الاطلاق المرتقبة وعندما مرت الطائرة فوق رؤوسهم على ارتفـاع ٢٠٠م، اطلقـوا النـار عليهـا كالمجـانـين، ولم تصب طائـرة الالعـاب اية رصاصة اذ أن طول جناحيها يبلغ مترا وعشرين سنتمراً وظلت ترتفع الى الاعلى محدثة ازيزا مزعجا.

والان لم يبق أي شك في مقـدرة الطائـرة ـ وجـاءت الطلعـة الاولى لطائـرة الالعـاب في ذروة حرب الاستنزاف في واجهة الاسماعيلية، وعلى الجانب الاسرائيلي على الضفة الشرقية للقناة، وضعت قاعدة اطلاق وجلس بها جندي من سلاح الجو قام بتـوجيه طائرة الالعاب بواسطة اللاسلكي، واستعان بمنظار مقياس ٢٠×١٢٠ لتتبـع عمليـة طيرانها وتوجيهها حسب الضرورة، عندما حلقت طائرة الالعاب فوق

المواقع المصرية غربي القناة، واستخدمت كاميرا التصوير، ولم يرد المصريون على ذلك.

لقد اثارت صور المواقع المصرية التي حصلت عليها اللعبة الصغيرة الاعجاب في سلاح الجو فقد كانت الصور واضحة جدا، وتمت تجربة طائرة اخرى على الجبهة الشرقية وأمكن الحصول على صورة ممتازة.

وفي نهاية طلعتي التجربة قررت الاستخبارات العسكرية تشكيل طاقم ثابت مكون من ثلاثة اشخاص (احدهم هاوي طائرات العاب) من أجل تطوير هذا الاسلوب لجمع المعلومات، وكانت تلك بداية طريق دفعت بعد بضع سنوات الاستخبارات العسكرية الى استبدال الكاميرا العادية بكاميرا تلفزيونية واستبدلت الطائرة البسطية، طائرة الالعاب بطائرات بدون طيار، وهي أحدث من الاولى عدة مرات.

ولكن الخطوة الاولى الجريئة بقيت محفوظة لشبتاى بريك، ففي ٩ تموز ١٩٧٩، كتب رئيس شعبة الاستخبارات انذاك العميد اهارون يريف رسالة شخصية الى الرائد بريل قال فيها: قبل عدة أيام طارت الطائرة الصغيرة لاول مرة، فوق الضفة الغربية لقناة السويس.

هكذا بدأت تتحقق الفكرة التي بادرت انت اليها، كما هو مفهوم فاننا جميعا مسرورون للبداية وآمل ان يكون الاستمرار بها مثمرا، اننا نحيي كل من ساهم وسيساهم في اعداد المشروع وتنفيذه.

واما انت فانك تستحق تحية خاصة لهذه المبادرة ولولا مبادرات جميع الرتب، لما قام الجيش الاسرائيلي أصلا...

السر المسرب

في عام ١٩٧٥ كشف السادات في خطاب علني أنه قبل اندلاع حرب اكتوبر بأسبوعين اجتمع في القاهرة مع ابو اياد (صلاح خلف) نائب ياسر عرفات، وفي هذا الاجتماع قال له السادات، ان مصر عازمة على شن الحرب، واضاف انه طلب من ابو اياد أن يعود الى بيروت وأن يرسل الى مصر، وحدة رمزية مكونة من ٣٠

محاربا فلسطينيا لكي يكون بالامكان القول أنه حتى الفلسطينيون اشتركوا في الحرب وهكذا ستزداد مطالبهم دعما وقوة.

عاد أبو اياد الى بيروت وبعد مرور حوالي يومين نشر خبر في صحيفة النهار البيروتية جاء فيه: ان الرئيس السادات كشف لزعيم فلسطيني (ان الحرب ستشن قريبا) وعلق السادات على ذلك بقوله لقد عشت اياما عصيبة بعد نشر الخبر.

وكانت تلك الايام سوداء بالنسبة لي، لأن نشر الخبر كان من شأنه ان يحبط هجوم الجيش المصري في حرب اكتوبر لو لاحظ اليهود ذلك قبل فوات الاوان.

وفي الحقيقة ان رجال وحدة «حيتسب» المسؤولة عن جمع المعلومات من المصادر المكشوفة قد لاحظوا فعلا هذا الخبر، وترجموه، ونقلوه فورا الى المسؤولين ولكن يبدو انه لم يكن بمقدور هذا الخبر أن يغير شيئا من الصورة القائمة.

العميد "الاحتياط" الياهو زعيرا / رئيس الاستخبارات العسكرية بين ١٩٧٤/٧٢

ولد العميد «الاحتياط» الياهو زعيرا في حيفا عام ١٩٢٨ وهو خريج مدرسة هرئيلي، وفي عام ١٩٤٦ بدأ خدمته في البالماح وبعد ذلك في الهاغناه، وفي حرب عام ١٩٤٨ خدم كقائد حظيرة وفئة وسرية.

في نهاية الحرب عين قائدا لدورة قادة حظائر في القيادة الجنوبية، وفي الوقت نفسه أكمل دراسته في الجامعة العبرية في القدس وحصل على شهادة خريج من كلية الاقتصاد والرياضيات عام ١٩٥١، وفي ذلك العام تخرج من دورة قادة سرايا في بورت بننج في الولايات المتحدة، وبعد عودته بعد حوالي نصف عام عين مدربا في دورة قادة كتائب، ومن ثم عين رئيسا لقسم التخطيط الاستراتيجي في شعبة الاركان.

وعندما عين موشيه ديان رئيسا الاركان في اواخر عام ١٩٥٣ نقل الياهو زعيرا ليعمل رئيسا لمكتبه، وفي عام ١٩٥٦ كان قائدا لكتيبة في لواء جفعاتي، وبعد ذلك عين رئيسا لشعبة العمليات في رئاسة الاركان، في عام ١٩٥٧ اكمل دورة

أخـرى في الولايـات المتحـدة في مدرسـة القيـادة والاركـان في بورت لنـورفات، في كنـزاس، وبعـد عودتـه لاسرائيل بعد عام عين قائدا للواء نظامي في المظليين، ومن منصبـه كقـائـد لواء الى رئـاسـة شعبـة العمليات في الجيش الاسرائيلي، وفي عام ١٩٦٨ عين مسـاعـدا لرئيس شعبـة الاستخبـارات، وفي كانون ثان ١٩٧٠ خدم برتبـة عميـد كملحق عسكري في السفارة الاسرائيلية في واشنطن، وفي تشرين أول عام ١٩٧٢ عين رئيسـا لشعبـة الاستخبـارات شغـل هذا المنصب حتى نيسـان ١٩٧٤ ففي أعقـاب التقـريـر الاولي للجنـة اغرانات تقرر انه لا يستطيع مواصلة عمله كرئيس لشعبـة الاستخبـارات وعرضت عليه مناصب عسكرية أخرى، ولكنه فضل الدراسة في الولايات المتحدة وفي نهاية عامين من الدراسة سرح من الجيش الاسرائيلي.

حيتسـب

ابناء جيليني يعملان جنبا الى جنب في «حيتسب» وهي وحدة الاستخبارات المختصـة بجمـع المعلومات من المصادر المكشوفة: مواطنون قدامى، معظمهم من مهـاجـري الدول العـربيـة، ومدربون ومجربون في مجال الترجمة والرصد، وجيل جديـد من الجنـود الذين يرتـدون «البـريهـات» والذين تعلمـوا اللغـة العربية في المدرسة والجامعة والمعهد العربي في سلاح الاستخبارات.

إن وحدة «حيتسب» والتي طورت عن وحدة الترجمة والرصد (ش م ٥) التي شكلت عام ١٩٤٨ تستخلص معلومـاتهـا من مصـادر كثـيرة في العـالم العـربي: البـرامـج الاذاعية وتقارير وكالات الانباء والبرامج التلفزيونية، والصحف اليومية، والمجلات الاسبوعية والنشرات التي تصدر في المناسبات.

ان المسـاهمـة الرئيسيـة لوحـدة «حيتسب» هي في مجـال الاستخبـارات السيـاسيـة، والمـواضيع الرئيسية التي يتابعها رجال هذه الوحدة هي: التطورات الدبلومـاسيـة والسياسية في الدول العربية والتصريحات والخطابات التي يدلي بها الشخصيـات والزعمـاء، والمـؤتمـرات والعـلاقات بين الدول، والنزاع الاسرائيلي ـ العـربي، والنشـاطات العـربيـة ونشاطات الدول العظمى، وفي المجال الاقتصادي تقوم «حيتسب» بمتابعة الشؤون المالية ومواضيع العمل والطاقة البشرية في العالم

العربي والتربية والرفاه الاجتماعي والمشاكل السكانية.

وفي المجال العسكري ايضا، تستطيع «حيتسب» استخلاص معلومات هامة في المصادر المكشوفة المتوفرة لديها: القضايا الاستراتيجية والنظرية، وتقارير عن الجيوش العربية والمناورات العسكرية التي يتم استعراضها في وسائل اعلام الدول العربية والاخبار التي تنشر عن شراء المعدات والاسلحة الجديدة.

وكذلك يعالج رجال «حيتسب» قضايا أخرى مثل:

ترجمة الوثائق التي تقع في ايدي الجيش الاسرائيلي واعداد تقارير عن وسائل الاعلام العربية ومن المساعدات الفنية لاصدار قواميس باللغة العربية لتستخدم من قبل وحدات السلاح وتقديم المساعدات والارشادات وخاصة في مجال تعليم اللغة العربية لاعداد كوادر جديدة ممن يعرفون اللغة العربية لسلاح الاستخبارات.

ان تاريخ الاستخبارات والمخابرات في العالم مليء بالامثلة عن المعلومات كبيرة القيمة التي يتم التوصل اليها فقط عن طريق المصادر المكشوفة، ان الدور الذي يقوم به رجال «حيتسب» في النشاط الاستخباري قد مكنهم أكثر من مرة من الحصول على الاوسمة من رؤساء المخابرات ومن الاجهزة التي تستخدم المعلومات الاستخبارية. ان «حيتسب» تزود اكثر من ٨٠٪ من المواد الخام لدائرة الابحاث التي تقوم بصياغة الصورة الاستخبارية ولكن مخصصاتها المالية أقل بكثير من مخصصات وكالات جمع المعلومات الاخرى.

مشاكل الاستخبارات

بقلم: يهوشفاط هاركابي

ان كل انسان يحمل في صدره استخبارات صغيرة، اذ أنه من أجل حل المشاكل التي تعترضه فإنه بحاجة الى معلومات، وهو يبحث عن هذه المعلومات. إن الانسان يعالج المعلومات كما تعالجها المنظمات الاستخبارية، فهو يقوم بدراستها وتقييمها ومعرفة صدقها، ويحللها ويحاول ان يستخلص منها نتائج بالنسبة للاحداث في المستقبل.

وهكذا يشغل الفرد إحدى وظائف الاستخبارات أي: البحث عن المعلومات لحل المشاكل التي تواجهه في الحاضر، ولكن الفرد كالاستخبارات يهتم بالقضايا والمشاكل التي قد تبرز في المستقبل، ومن أجل حلها فإنه يخزن معلومات ليست مفيدة له في الوقت الحاضر، ولكنها قد تكون ذات قيمة كبيرة في المستقبل.

وبما أن شخصية الفرد تنطوي على الوظائف الاستخبارية الرئيسية فإنه يسهل عليه ان يفهم كيف تعمل الاستخبارات، وعلى الرغم من ذلك فإن اتساع الاستخبارات وازدياد مجالات اهتماماتها وتعقيد الاجهزة تثير مشاكل لا توجد في الاستخبارات الفردية وحول هذا الموضوع سنبدى رأينا في هذا المقال.

سأقتصر في حديثي على مشاكل ونوايا الاستخبارات الايجابية، أي على ذلك الجزء من مجموعة الاستخبارات المهتم بالمعلومات وبتقييمها، ولن أتطرق هنا الى الاستخبارات السلبية او التعرضية التي تهتم بمنع وصول المعلومات الى عناصر اجنبية أي عن طريق ايجاد ترتيبات للحفاظ على المعلومات السرية، ومنعها من التسرب الى الخدمات الاستخبارية الاجنبية، التي تسعى الى كشف اسرار «الدولة».

إن تاريخ العمل الاستخباري يعود الى عهود قديمة، فموسى أرسل جواسيس الى أرض كنعان لاحضار معلومات جغرافية وسكانية عن البلاد ومواطنيها ومعرفة مدى قدرتهم على الصمود أمام ابناء اسرائيل، كما استخدم قادة الجيوش الجواسيس للوقوف على أوضاع جيوش الخصم، وعلى قوتها، وانشتارها، وبقدر الامكان الوقوف على خطط الخصم، كما أرسل الملوك الجواسيس لكشف ما يدور في بلاط الملوك الاخرين، وفي القرن التاسع عشر تطور نظام الملحقية العسكرية كموضوع رئيسي للاستخبارات العسكرية فعلى سبيل المثال، كان الملحق العسكري الالماني في باريس، «فون شفار تسكوفن» الذي اتصل مع الضابط الفرنسي (استرهازي) الذي كان عميلا المانيا والذي اتهم بخيانته درايفوس، الا أن عمليات التجسس والعمل الاستخباري بالذات كان بسيطا في هذه العهود وكان يتم بين الجاسوس ومستخدمه، ولكن مباشرة.

الاستخبارات الحديثة اتسمت بتنظيمها واتساعها الكبيرين، وفي الحرب العالمية الاولى، لم تكن للولايات المتحدة على سبيل المثال مؤسسة استخبارات

مركزية تقدم للرئيس تقارير استخبارية عن الجيوش وسياسات الدول الاجنبية، وقد اهتم بهذا الموضوع طاقم محدود من الاشخاص، وهذا الوضع لم يتحسن كثيرا عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية، أما اليوم فاننا لا نستطيع تصور هذا الوضع الذي كان غريبا ومستغربا.

إنه من الصعب أن ندرك بأن الاستخبارات كمؤسسة رسمية بكل ما تنطوي عليه (الكلمة من معنى) هي وليدة هذا القرن.

لقد أصبحت المؤسسات الاستخبارية اليوم منظمات معقدة جدا، فقد ذكرت الموسوعة البريطانية أنه في عام ١٩٧٠ كانت المجموعة الاستخبارية الامريكية تضم (١٥٠) ألف شخص وخصص مبلغ (٦) مليارات دولار للاغراض الاستخبارية، ان حجم المنظمات الاستخبارية يخلق مشاكل صعبة في مجال التنظيم وتوزيع المهام، والتنسيق والاشراف، وهذه المشاكل تبدو اكثر صعوبة خاصة في مجال تنظيم المعلومات، فيجب تقرير معالجة كل معلومة من بين الالاف وربما مئات الالاف من المعلومات التي تصل يوميا للاستخبارات الكبيرة في العالم.

إن هذه المشكلة تزداد صعوبة وتعقيدا بسبب ضرورة المحافظة على السرية وهذه المهمة تعقد مهمة ادارة الانباء، ان السرية التي تجري بها العمليات الاستخبارية وعلاقات الاستخبارات مع العملاء تتطلب اشرافا شديدا حتى لا تنبت في ظل هذه السرية اعشاب برية من عدم الكفاءة والاهمال من جهة، واتجاهات استخبارية عاطفية تسمح بتقييم حدود المسموح به واللامسموح به أمام الابتزاز، من جهة آخرى.

فما هي الصعوبة الرئيسة في الاستخبارات؟

لقد ضرب الفيلسوف الدنمركي المشهور النقيب كيركجور مثلا كبيرا ما زال حيا حتى اليوم عندما قال: ننظر الى الامام ونفكر بالماضي، ان الانسان لا يستطيع فهم المستقبل لانه يفهم فقط الماضي، ومع هذا فإن الاستخبارات تمثل جهدا لقلب المعنى الذي ينطوي عليه هذا المثل، أي ان نفهم المستقبل الذي لم يأت بعد، وهنا تكمن الصعوبة فالاستخبارات هي جهد موجه لفهم وادارك المستقبل قبل ان يصبح ماضيا او لكتابة تاريخ المستقبل قبل ان يصبح المستقبل حدثا تاريخيا.

الاهتمـام الاكاديمي بالاستخبـارات

ان الاهتمـام الاكـاديمي يريـد فقط ضم واحتواء النشاطات الانسانية ففي الجـامعـات توجـد رغبـة في التحـول الى قمر اصطناعي يضم ويحتوي، بل ويمثل جميع الانشطة البشرية.

وهـذا الاتجـاه كان يجب أن يدفـع النشـاطات الاكاديمية نحو التعامل مع البحث الاستخباري ونشاطاته. ولكن السرية التي تغطي الاستخبارات حالت دون ذلك.

إن المفهـوم الاستخبـاري المكشـوف الذي يتحـدث عن شؤون ومشـاكـل الاستخبارات نشأ في الولايات المتحدة وما زال امريكيا في غالبيته.

فالحرب العالمية الثانية كشفت عن ضعف الاستعداد الامريكي من الناحية الاستخبـاريـة، وكـانت المفـاجـأة التي حدثت في خليج برل كبيرة جدا، لقد كانت الاستخبـارات الامريكية آنذاك تعمل في اطار مؤسسات صغيرة تفتقر الى التنسيق فيمـا بينهـا، وكـان الحـل المنـاسب لهـذه المشكلة هو اقامة مؤسسة استخبارية مركـزيـة، وهكـذا برزت فكـرة «الشمـول» كمفتـاح للنجاح، وقد برز هذا الاتجاه بالصيغة التي اشتهرت فيما بعد باسم «الاستخبارات الاستراتيجية» وضمن هذه الصيغة وهذا الاسلوب اقيمت ال «سي. اي. ايه» كوكالة استخبارات مركزية.

ولكن عمليـة «الشمـول» لم تحـل دون وقوع أخطاء وانتكاسات استخبارية حتى بعـد حادثـة خليـج برل، فقد كتبت مقالات كثيرة اهتمت بالابحاث والاخطاء الاستخبارية مثل مؤلفات ولستاتر، وكانور، واسرمان، وويلي.

وكـذلك المفاجأة التي حدثت في حرب يوم الغفران أدت الى موجة أخرى من الابحاث حول موضوع المفاجأة.

ان كثـرة الاخـطاء في التقـديـرات الاستخبـارية زادت من تعقيد الموضوع وبسبب الاخـطاء التي ارتكبتها اجهزة الاستخبارات في العالم والردود العنيفة على هذه الاخـطاء أصبحت أجهـزة الاستخبـارات تتسم بالخـوف والجبن، فمن جهة يبـحـث العـاملون في الاستخبـارات عن طرق علميـة لزيـادة فعـاليـة التقييم

الاستخباري واعطائها صفة الشمول، فعلى أثر ازدياد عدد المقيمين تتلاشى الاخطاء الفردية اذ سيزداد احتمال وجود وزن مضاد للتقييم الخاطىء، وهو تقييم صحيح ولهذا طرأ اتجاه للعمل بصورة غير رسمية وخاصة في مجال تقديم المعلومات «للزبائن» الذين هم اولا وقبل كل شيء زعماء الدول.

الاستخبارات « وزبائنها »

ان الوصف السائد في الاتجاه الرسمي هو أن الاستخبارات تقدم «لزبائنها» أي الزعماء، الانباء ويقومون ببلورة سياستهم اعتمادا على هذه المعلومات.

والحقيقة ان العلاقات اكثر تعقيدا وتعرجا.

ففي الماضي كانت الاستخبارات المصدر الوحيد تقريبا للمعلومات وتقييمها وأما اليوم فيجب عليها ان تنافس وسائل الاعلام الجماهيرية.

فرؤساء الدول يبدأون يومهم بمطالعة الصحف، التي تغلغلت في مجالات حياتية كثيرة. داخل «الدولة» وعلى الصعيد الدولي، كما أن ميزة الاوساط الرسمية لامتلاك المعلومات حول ما يجري بالدول الاجنبية لم يعد قائما.

ومن المعتقد بأن الصحف تؤثر احيانا على الزعماء اكثر من التقارير الاستخبارية ففي الصحف ترد تحليلات بأقلام رجال ضالعين يصعب على الاستخبارات ان تجدهم بين صفوفها، وفي الحقيقة ان الاستخبارات تتميز عن وسائل الاعلام بالمعلومات السرية التي تمتلكها، ولكن هذه المعلومات ليست دائما هامة، لنقض ما ورد في وسائل الاعلام.

ان التعاون بين الاستخبارات والزبائن محفوف بالمصاعب، فالاستخبارات تتخيل بأنه لا يوجد من يهتم بالمعلومات التي تقدمها، واما الزبائن فيرون انه لا توجد لدى الاستخبارات اجوبة على كل شيء باستثناء القضايا العاجلة والمشاكل الاهم.

إننا لا نستغرب ذلك، لانه بالنسبة للسؤال القائل: كيف سيرد الخصم مثلا على اجراء سياسي لم يتم بعد، الجواب لا يوجد يقين ولكن يوجد تقييم وتقدير فقط.

في انحاء معينة من العالم هبطت أهمية الاستخبارات، فهناك دول أصبحت لا تأخـذ بعين الاعتبار انها ستكون الهدف الاول للهجوم، وهي تعتمد في دفاعاتها على حليف أو على كونها دول تابعة لحليفة كبرى.

وتستـطيـع هذه الدول الاعتماد على الجهد الاستخباري الذي تقوم به هذه الدول الحليفة.

ان هذا الامـر ينـطبق في معـظمـه على دول حلف شمال الاطلسي، وخاصة الدول، الصغـيرة فيهـا، أمـا في بقية انحاء العالم التي لم تتوصل بعد الى الراحة والاستقرار فإن الاستخبارات ستظل خط الدفاع الاول.

العميـد «الاحتياط» شلومو غازيت
رئيس الاستخبارات من عام ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٩

ولد العميـد الاحتياط شلومو غازيت في تركيا عام ١٩٢٦ وهاجر الى اسرائيل وهـو في السادسة من عمره، وانهى دراسته الاعدادية في تل أبيب، في عام ١٩٤٤ التحق «بـالبـالمـاخ» وخدم فيها حتى حرب عام ١٩٤٨ حيث قاتل في السرية التي حاربت في منـطقة القدس، انهى خدمته في حرب ١٩٤٨، بوظيفة قائد سرية في لواء «هـرئيـل» وبـين عامي ١٩٤٩ ـ ١٩٥١ خدم في هيئة تحرير مجلة «معرخوت» وفي عام ١٩٥١ اجتاز دورة لقيادة الكتائب.

بعـد ذلك بعـام عين في منـصب رئيس مكتب نائب رئيس الاركـان ورئيس شعبـة الاركـان خلال عهد العميد مردخاي مكليف وموشيه دايان، وبعد ذلك عين رئيسا لمكتب رئيس الاركان موشيه دايان.

في عام ١٩٥٥ خدم كتـائب لقـائـد كتيبـة في لواء جفعاتي، وبعد ذلك بعام درس في مدرسة الاركان الفرنسية، وخلال حرب سيناء عمل كضابط ارتباط مع وفد الجيش الفرنسي، وفي عام ١٩٥٧ عين مساعدا للملحق العسكري الاسرائيلي في فرنسا.

في عامي ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩ عين مدربا في مدرسة القيادة والاركان في الجيش الاسرائيلي وبعد عام ١٩٥٩ عاد الى رئاسة الاركان لمدة عامين وخدم كرئيس لقسم

التخطيط الاستراتيجي وفي عامي ١٩٦١ / ١٩٦٢ درس في كليات العلوم السياسية والاجتماعية التابعة للجامعة العبرية، في تل أبيب، وواصل خلال دراسته عمله في رئاسة الاركان، وبعد ذلك عين نائبا لقائد لواء جولاني.

وفي عامي ١٩٦١ / ١٩٦٢ ايضا كان عضوا في الطاقم الذي شكل لاقامة كلية الامن القومي في القدس وخدم فيها كمدرب.

وفي عام ١٩٦٤ عين رئيسا لدائرة الابحاث في شعبة الاستخبارات، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٦٧، وخلال حرب حزيران، وبعد ذلك عين رئيسا لدائرة الحكم العسكري في رئاسة الاركان ومنسقا للعمليات في المناطق في وزارة الدفاع.

في كانون ثان ١٩٧٣ رفع الى رتبة عميد وفي نيسان ١٩٧٤ عين رئيسا لشعبة الاستخبارات في رئاسة الاركان العامة، وشغل هذا المنصب حتى شباط عام ١٩٧٩، وفي مطلع عام ١٩٨١ سرح من الجيش الاسرائيلي بعد أن أمضى فترة دراسته في جامعة هارفاد الامريكية، وعين رئيسا لجامعة بن غوريون في النقب.

العميد الثاني دوف تماري

قائد سلاح الاستخبارات من عام ١٩٧٦ وحتى ١٩٧٧

ولد العميد الثاني دوف تماري في كيبوتس عين حرود عام ١٩٣٦، وانهى دراسته الثانوية في الكيبوتس والتحق بالجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٤، وخلال ١٥ سنة أي حتى عام ١٩٦٩ خدم في سلاح المظليين، وفي هذا الاطار اشترك في معظم العمليات الانتقامية التي سبقت حرب سيناء، وتسلق سلم الرتب في سلاح المظليين الى أن وصل الى قائد كتيبة في حرب الايام الستة.

واشتهر اسم دوف تماري بسبب العمل البطولي الذي قام به في عملية قلقيلية عام ١٩٥٦، عندما كان برتبة ملازم ثان.

بعد أن انهى وظيفته كقائد كتيبة في المظليين خرج تماري للدراسة في الولايات المتحدة حيث انهى دراسته هناك في كلية القيادة والاركان.

وعندما عاد عين نائبا لقائد لواء مظليين.

وبعد أن اجتاز دورة دورع عين قائدا للواء دورع في سيناء، وبعد ذلك بعامين عين نائبا لقائد القوات المدرعة في سيناء، وقبل حرب يوم الغفران بوقت قليل عين

نائبا لقائد سلاح الدروع، وفي الحرب نفسها كان نائبا لقائد مجموعة الدروع التي قادها العميد ابراهام ادان.

بعد الحرب تسلم قيادة مجموعة مدرعة في سيناء، كما شغل منصبا كبيرا في سلاح الاستخبارات، وفي تشرين ثان ١٩٧٦ عين قائدا لسلاح الاستخبارات.

وفي عام ١٩٧٧ عين تماري قائدا لكلية القيادة والاركان في الجيش الاسرائيلي.

ودوف تماري متزوج وأب لولدين وبنت.

العميد يهوشع ساغي

رئيس شعبة الاستخبارات منذ عام ١٩٧٩ ـ ١٩٨٣

ولد العميد يهوشع ساغي في القدس عام ١٩٣٣، وفي عام ١٩٥١ التحق بالجيش الاسرائيلي وخدم في سلاح الاستخبارات، وخلال خدمته العسكرية اكتسب خبرة في الاستخبارات المقاتلة على المستويات القيادية المختلفة.

وبعد ان اجتاز دورة ضباط عام ١٩٥٣ خدم كضابط استخبارات في الجنوب وفي عام ١٩٥٦، خلال حرب سيناء، خدم في وحدة الاستطلاع في القيادة الجنوبية.

في عام ١٩٥٧ انتقل للخدمة في سلاح الدروع، وعين مساعدا لضابط استخبارات الدروع، وفي عام ١٩٦٠ عين مساعدا لضابط استخبارات القيادة، وبعد ان شغل هذا المنصب مدة اربع سنوات، اشترك عام ١٩٦٤ في دورة القيادة والاركان الاسرائيلية.

وفي عام ١٩٦٥ عين قائدا لدورة ضباط استخبارات، وفي عام ١٩٦٧ عين ضابطا لاستخبارات القيادة الجنوبية.

شغل هذا المنصب خلال حرب الايام الستة وحرب الاستنزاف، وفي عام ١٩٧١ عمل كمدرب في مدرسة القيادة والاركان الاسرائيلية وبعد ذلك بعام عين قائدا لمدرسة الاستخبارات.

وخلال حرب يوم الغفران عمل كضابط استخبارات في مجموعة العميد الاحتياط ارئيل شارون.

وفي عام ١٩٧٨ عين نائبا لرئيس شعبة الاستخبارات، وفي شباط ١٩٧٩ رفع الى رتبة عميد وتسلم منصب رئاسة شعبة الاستخبارات في الاركان العامة.

الرقابة العسكرية

ان اصطلاح الاستخبارات التعرضية يشمل على أمن الميدان وعلى الرقابة العسكرية والتي تعمل كهيئة في اطار سلاح الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي ولكنها تتمتع بالاستقلال التام.

ان مهمة الرقابة العسكرية هي منع نشر المقالات والاخبار التي قد تضر بأمن «الدولة» عن طريق وسائل الاعلام، والصحف اليومية، والمجلات الاسبوعية والمجلات الشهرية والكتب وجميع المنشورات التي تصدر في اسرائيل باللغة العبرية او باللغات الاجنبية.

وبما أن الكنيست الاسرائيلي لم يسن مطلقا تشريعا خاصا بالرقابة العسكرية فان الرقابة العسكرية تستمد صلاحياتها من قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥، ومن الاوامر التي صدرت في اطار القانون المعدل لقانون العقوبات وأمن «الدولة عام ١٩٥٧.

ان صلاحيات المراقب الواردة في قوانين الطوارىء لعام ١٩٤٥ (اعتباراً من البند ٤٨ وحتى ١٠١) قد قلصت مع مرور الزمن وحددت في مجموعة اتفاقات وقعت في أعوام ١٩٤٩، ١٩٥١، ١٩٦٦، بعد مفاوضات جرت بين رئاسة اركان الجيش الاسرائيلي ولجنة محرري الصحف اليومية، ونصت هذه الاتفاقات على أن يقتصر عمل الرقابة العسكرية على المواضيع العسكرية والامنية فقط، وأن لا تتعرض للمواضيع السياسية أو الخاصة بسلامة الجمهور، والنظام العام.

ومع هذا فقد تعززت مكانة الرقابة العسكرية بعد حرب يوم الغفران عندما رفع المراقب الرئيسي أنذاك العقيد افنير براون الى رتبة عميد ثان.

أمــن الميــدان...

أدت حرب يوم الغفـران الى تحسين مستوى الاستخبارات العربية، فالحرب مكنت أجهـزة الاستخبارات والمخابرات في الدول العربية من جمع معلومات كافية عن الجيش الاسرائيـلي، وعن قوته وطرق عمله، كما اشترت الدول العربية معدات تكنولوجية حديثة لزيادة قدرتها على جمع المعلومات الاستخبارية حول ما يجري في الجيش الاسرائيلي.

وفي هذه الظروف ارتـفعت اهميـة دائـرة أمن الميـدان في الاستخبـارات الاسرائيليـة، ومهمتهـا الرئيسيـة هي أفشـال جهود جمع المعلومات التي يقوم بها العدو، وهذه المهمة تشمل، أمن الاتصالات وحماية الوثائق، والانباء والمنشآت.

وهـذه الدائـرة التي يتـرأسهـا ضابـط برتبة عقيـد، تتبـع مباشرة لرئيس الاستخبارات وتتولى مسؤولية التوجيه المهني لوحدات أمن الميدان في الجيش الاسرائيلي.

ان دائـرة أمن الميـدان في الاستخبارات الاسرائيلية مسؤولة بحكم وظيفتها عن منــع التجسس داخل الجيش الاسرائيلي، ولهذا الغرض فإنها تتعاون مع بقية عنـاصر المجمـوعـة الاستخبارية في اسرائيل، ففي السنوات الماضية حدثت حالات قليلة من تسريب معلومات امنية نتيجة للتجسس او الخيانة.

ويقـول رئيس دائـرة أمن الميـدان إن اكبـر ضرر أمني ينتج عن منشورات علنية أو عن عدم المحافظة على أنظمة وقوانين أمن الاتصالات.

وفي اطر استخـلاص العبر من حرب الايام الستة وحرب يوم الغفران وقفت دائـرة أمـن المـيـدان عن كثـب على الحجم الكبـير للمعلومـات التي جمعتهـا الاستخبـارات العـربية عن الجيش الاسرائيلي، وعن جهاز الامن الاسرائيلي بشكل عام نـتـيجــة لتجميــع معلومــات صدرت في اسرائيــل عن طريق الصحف والكتب والبومات الصور، ومتابعة الاتصالات الالكترونية في اسرائيل، وكانت النتيجة التي استخصلت تنص على ضرورة زيـادة جهـود الوقـايـة من قبـل دائرة أمن الميدان وتـوطيـد التعـاون بينهـا وبـين الرقابة العسكرية وهي الجهاز الوحيد في «الدولة» المخول بالمصادقة أو رفض نشر معلومات أمنية.

العميد الثاني حاييـم بنياميـني
قائد سلاح الاستخبارات من ١٩٧٧ وحتى ١٩٧٩

ولد العميد الثاني حاييم بنياميني في رمات جان عام ١٩٣٨، وبدأ حياته في الجيش الاسرائيـلي عام ١٩٥٧ عنـدمـا انضم الى لواء مظليـين وفي حرب الايـام الستـة كان نائبـا لقـائـد كتيبـة مظليـين وحارب في منطقة رفح، وخلال فترة حرب الاستنزاف كان قائد الكتيبة، وقاد الغارات داخل الاراضي اللبنانية.

عين بنيـاميني رئيسـا لشعبة العمليات في رئاسة الاركان وكان أحد اعضاء الطاقم الذي خطط للغارة على بيروت في شباط ١٩٧٣.

قبـل حرب يوم الغفـران بوقت قليـل رفع الى رتبة عقيد، وعين قائدا لمدرسة الضباط في الجيش الاسرائيلي، وفي فترة الحرب كان قائدا للواء حارب في الجبهة الجنوبية.

بعـد معارك الاستنزاف في الشمال عين قائدا للواء جولاني، وبعد ذلك شغل منصباً في شعبة الاستخبارات.

في آب ١٩٧٧ عين قائـدا لشعبة الاستخبارات وبعد أن شغل هذا المنصب مدة عامـين ارسـل للدراسـة في الولايات المتحدة، وبعد سنة دراسية عاد لاشغال منصب كبير في الجيش الاسرائيلي.

حاييم بنياميني متزوج واب لثلاثة اولاد وبنت.

العميد الثاني تسفي شيلـر
قائد سلاح الاستخبارات من عام ١٩٧٩

ولد العميد الثاني تسفي شيلر في رومانيا عام ١٩٣٧.

وهـاجـر الى اسرائيل عام ١٩٤٩، فدرس في حيفا وتثقف في كيبوتس حماديا في عام ١٩٥٥ التحق بالجيش الاسرائيـلي وخـدم في لواء جولاني، وبعـد انهـائـه بتفـوق دورة ضبـاط مشـاه، تطوع للخـدمة ـ الدائمة، وشغل عدة وظائف قيادية

واركانية منها منصب ضابط الاستخبارات في لواء مظلي.

بين عامي ١٩٦٤/١٩٦٨ كان نائبا لضابط الاستخبارات في القيادة الجنوبية، في عام ١٩٦٩ تخرج من كلية القيادة والاركان الاسرائيلية وعين ضابطا لاستخبارات قيادة القوات المدرعة في سيناء، وفي هذا المنصب خدم في فترة حرب الاستنزاف في جبهة قناة السويس.

في مطلع عام ١٩٧٤ عين ضابطا لاستخبارات القيادة الجنوبية وخدم مع قائدي القيادة ابراهام ادان ويكتوئيل ادام، ومن خلال هذا المنصب اختير كأحد اعضاء الوفد الاسرائيلي لمؤتمر جنيف، الذي بحث اتفاقية الفصل الثانية بين مصر واسرائيل في سيناء.

بين عامي ١٩٧٦/١٩٧٨ شغل مناصب اركانية في سلاح الاستخبارات وفي نهاية عام ١٩٧٨ سرح من الخدمة الدائمة، وعين مديرا لمصنع في شركة «كور» وشغل هذا المنصب حتى اعادة تجنيده للخدمة الدائمة وتعيينه قائدا للاستخبارات العسكرية في أيلول ١٩٧٩.

تسفي شيلر متزوج وأب لولد وبنت.

العميد ايهودا براك

رئيس شعبة الاستخبارات ١٩٨٣/٤/٢٠ ـ ١٩٨٦/١/١٩.

مواليد ١٩٤١ ـ متزوج واب لثلاث بنات.

ولد في كيبوتس مشمار هشارون في غور حافر.

انهى دراسة الرياضيات والفيزياء من الجامعة العبرية.

تدرج في المناصب العسكرية من قائد سرية فكتيبه فلواء فقائد فرقة احتياط فقائد فرقة نظامية، اضافه الى خدمته في قسم العمليات التابع للقيادة العامة.

في حرب ١٩٧٣ شغل منصب قائد كتيبة مدرعات في الجبهة الجنوبية.

كلف عام ١٩٧٢ بقيادة عملية اقتحام طائرة «سابينا» في مطار اللد، كما اشرف على عملية بيروت عام ١٩٧٣.

عين عام ١٩٨٢ رئيساً لقسم التخطيط في الاركان العامة.

عين في ٢٠/٤/١٩٨٣ رئيسا لشعبة الاستخبارات خلفاً ليهوشع ساغي، وانهى خدمته كرئيس لهذه الشعبة يوم ١٩/١/١٩٨٦ حيث عين قائدا للمنطقة الوسطى خلفاً لامنون شاحل.

في أيار ـ ١٩٨٧ عين نائبا لرئيس الاركان ورئيسا لغرفة العمليات.

العميد امنون شاحال

رئيس شعبة الاستخبارات منذ ٣/٢/١٩٨٦

- في ٢٠/١٠/١٩٨٣ عين قائدا للمنطقة الوسطى خلفا للعميد اوري اور.
- انهى خدمته كقائد للمنطقة الوسطى يوم ١٩/١/١٩٨٦.
- عين يوم ١٩/١/١٩٨٦ رئيسا لجهاز الاستخبارات خلفا ليهودا براك.

مصطلحات استخبارية

«شعبة الاستخبارات»

احدى شعب رئاسة الاركان العامة للجيش الاسرائيلي، وهي مسؤولة عن جميع النشاطات الاستخبارية في الجيش بما في ذلك بلورة الموقف الاستخباري على المستوى العسكري والسياسي ونشاطات الاستخبارات التعرضية والمراقبة العسكرية لوسائل الاعلام.

«التأكيد»

هي مرحلة التأكد من صحة المعلومات الخام التي ترد من وكالات معينة عن طريق الدراسة، والمقارنة مع معلومات ترد من وكالات تجسس أخرى، وهذه العملية تتم في دائرة الابحاث.

«الجمع»

وهي عملية الحصول على المعلومات الضرورية للاستخبارات عن طريق التجسس والرصد والاستطلاع والمراقبة، وغير ذلك.

«وكالات الجمع»

تختلف مصادر جمع المعلومات عن بعضها البعض من حيث الشكل والاسلوب، أو من حيث الاجهزة التي تستخدم في مجال جمع المعلومات، مثل: الجمع عن طريق العملاء والجمع عن طريق الرصد والجمع عن مصادر مكشوفة وهكذا.

«سفن التجسس»

سفن مزودة بأجهزة الكترونية خاصة لالتقاط الاتصالات اللاسلكية والالكترونية وتستخدم أحيانا في الحرب الالكترونية.

«أمن الاتصالات»

وهي الاجراءات لمنع تسرب المعلومات ذات الاهمية العسكرية التي تنقل عبر اجهزة الاتصال الى اشخاص ليسوا مخولين باستلامها.

«أمن الميدان»

هيئـة في سلاح الاستخبـارات هدفهـا منـع تسرب المعلومـات العسكـريـة والسياسية وغيرها الى عناصر ليست مخولة باستلامها. ومن أجل تحقيق ذلك تتخذ هيئة أمن الميدان اجراءات ونشاطات مختلفة لحماية المعلومات واخفائها.

«التقرير الاستخباري الدوري»

هو التقـريـر الذي يتم بمـوجبـه تزويـد معـطيات استخبارية رسمية حسب مواعيد تحدد، سلفا، والتقرير الاستخباري الذي يوزع مرة في اليوم يسمى «تقرير استخباري يومي».

«الرصـد»

هو رصـد اتصـالات العـدو اللاسلكيـة وغيرها، بهدف جمع المعلومات وكل خدمة استخبارات في العالم تسعى الى استخدام اكبر جهد من الرصد للاتصالات العسكـرية والسياسية ولانواع الاتصالات الاخرى التي يستخدمها العدو، ويعتبر الرصـد أحـد المصـادر الهـامـة لجمـع المعلومـات، بالنسبة للعنصر الراصد لان المعلومات التي يتم الحصول عليها عن طريق الرصد تعتبر صادقة تماما.

لقـد اقتصر الرصـد في المـاضي بشكـل خاص على الاتصـالات اللاسلكيـة ومحـاولات الارتباط بخطوط الهاتف والتلغراف العليا، ولكن بعد التطور الذي حدث على موضوع الاتصالات طرأت تطورات في أساليب الرصد، واصبحت حديثة جدا، كمـا أن حل «الشيفـرات» التي يستخـدمهـا العـدو أصبح في العالم تحديا هاما، وزادت اجهزة الاستخبارات من اعتمادها على أجهزة حديثة لهذا الغرض.

واليـوم فإن وجـود (خط نظر) ارضي بين نقطة الارسال ونقطة الرصد لم يعد شرطا حتميـا لرصد اتصالات العدو، فقد تزايد استخدام طائرات الرصد والاقمار الصنـاعيـة في العالم، والتي زودت بأجهزة رصد حساسة جدا تزيد من حجم افق الحقل الالكتروني.

«التقييم الاستخباري»

هي عملية تفكير واستخلاص المغزى من المعلومات والمعطيات التي تصل الى الاستخبـارات والتي يتم على ضوئهـا رصـد التـطورات حول طرق عمل نشاطات العدو المحتملة في الوضع المقصود، ان طابع التقييم الاستخباري وحجمه يعتمدان

على الطاقم الذي يصنع هذا التقييم، ويتسع هذا التقييم كلما زادت درجة المسؤول عن وضعه.

«الانذار المبكر»

هو الانذار باقتراب الخطر مثل الانذار بوجود هجوم معاد.

«لجنة رؤساء الخدمات»

هذه اللجنة تضم رؤساء المجموعة الاستخبارية الاسرائيلية وهي: رئيس «الموساد» للاستخبارات والوظائف الخاصة، ورئيس شعبة الاستخبارات، ورئيس الامن العام والمفتش العام للشرطة والمدير العام لوزارة الخارجية.

ويترأس هذه اللجنة بصورة دائمة رئيس الموساد ومهمة هذه اللجنة هي التنسيق بين نشاطات جميع الهيئات المختلفة للاستخبارات ومنع ازدواجية العمل ووضع الافضليات في عملها.

«سلاح الاستخبارات»

هو الهيئة المسؤولة عن نشاطات وحدات الاستخبارات وجهاز استخبارات الميدان بما في ذلك وضع خطط وبرامج التدريب وتطوير الطاقة البشرية وتطوير الوسائل الضرورية لتشغيل هذه الطاقة.

«لجنة يدين - شيف»

هي لجنة مكونة من عضوين وهما رئيس الاركان السابق يجائيل يدين وسكرتير الحكومة زئيف شيف، التي عينها رئيس الحكومة ديفيد بن غوريون لوضع وظائف وطرق عمل جميع عناصر المجموعة الاستخبارية، وقدمت اللجنة توصياتها في ١٣ تموز ١٩٦٣.

«قمر تجسس»

هو قمر صناعي مزود بكاميرات تصوير وبأجهزة تنصت هدفها كشف وتصوير كل ما هو هام للاغراض الاستخبارية، ويعتبر القمر الصناعي جاسوسا يعمل في (الاعالي).

«الاستخبارات»

هي الحصلية النهائية التي يتم التوصل اليها بواسطة جمع المعلومات عن الدول والاعداء، الفعليين أو المحتملين، وعن مناطق القتال الفعلية أو المحتملة وتصنيف هذه المعلومات وتحليلها وتقديرها.

«الاستخبارات التعرضية»

هي النشــاطات التي تجـري داخل الاستخبارات وهدفها احباط النشاطات الاستخبـاريـة المعـاديـة وحمـايـة المعلومـات من الجـواسيس وحمـايـة المنشآت والاشخاص من أعمال التخريب والاغتيال.

«الاستخبارات المقاتلة»

هي جزء من جهـاز الاستخبـارات العسكـريـة ومهمتـه جمع وتصنيع ونشر المعلومـات الاستخبـاريـة في الوحـدات والمجمـوعـات الميدانية، ويترأس كل وحدة استخبارية ميدانية سواء في القيادة أو في المجموعة او اللواء ضابط استخبارات.

«البحث»

هي عمليــة تصنيف المعلومــات، وهي الهيئــة التي تقـوم بدراسـة جميـع المعلومات التي ترد الى الاستخبارات وتستخلص النتائج منها وتعد رأيا استخباريا على ضوئها.

«ميلـط»

هي طائـرة بدون طيـار وتستخـدم بواسـطة جهـاز توجيـه ارضي لاغـراض التصوير فوق مواقع العدو.

«خارطة استخبارات عامة»

هي خارطة تبين قوة وتوزيعات قوات العدو في الواجهة.

«المصـدر»

هو العنصر الرئيسي لجمــع المعلومـات، وهو العنصر الذي يتم الحصول على المعلومات منه مثل صحيفة يومية أو عميل معين، أو قنال، او شبكة اتصالات معينة.

«العميـل»

هو شخص يستخـــدم من قبـل وكـالات جمــع المعلومـات التـابعـة لجهـاز الاستخبارات من أجل الحصول على معلومات او تنفيذ مهمة سرية أخرى.

«استطلاع جوي»

هي الدوريـة التي تتم بواسـطة طائـرة لجمــع المعلومـات عن طريق النـظر، بواسطة التصوير او الرادار.

«اجمالي الاستخبارات»

هي وثيقة تجمع فيها جميع المعلومات المعروفة عن واجهة العمل وعن العدو، والمعطيات ترد تحت بنود مثل، الارض، العدو، النشاط، الوقت، المنطقة وهكذا...

«الاشـارات»

هي الظاهـرة أو الظواهـر التـي تطرأ على جهـاز العـدو والتي تشـير الى تحركات، أو استعدادات محددة للحرب، او لهجوم قريب.

«عمل الاستخبارات»

هي عمليـة انتـاج التقـاريـر الاستخبـاريـة وتوزيعها على المسؤولين، وهذه العمليـة تتم بواسـطة ٣ طرق وهي: جمـع المعلومـات، وبلورة المعلومات (البحث) ونشر المعلومات.

«تصنيع المعلومات»

هي مرحلة من مراحـل عمـل الاستخبـارات تشمـل تسجيل وفحص تحليل وتقدير الأنباء وتحويلها الى معلومات استخبارية.

«ضابط الاستخبارات»

هو ضابـط القيـادة المهني المسـؤول في القيـادة عن الشؤون الاستخبارية ومستشـار ومساعد قائد الوحدة في مجال الاستخبارات وقائد وحدة الاستخبارات التابعة للقيادة.

«الصور الجوية»

تصوير الارض من الجو، والصور الجوية من شأنها ان توفر معلومات هامة عن جهاز العدو.

الكتب الصادرة عن دار الجليل

١ ـ عمود النار، الاسطورة التي قامت عليها اسرائيل
ترجمة غازي السعدي (صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر

---

٢ ـ الاستيطـــان، التطبيق العملي للصهيونية
المهندس الزراعي عبدالرحمن ابو عرفه
طبعة جديدة
«مزيدة ومنقحة»

---

٣ ـ حرب الجليل، الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية، تموز ١٩٨١
بدر عبدالحق وغازي السعدي (صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للداسات والنشر

---

٤ ـ الكتاب السنوي ١٩٨١
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير:
غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

---

٥ ـ الكتاب السنوي ١٩٨٢
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير:
غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال

---

٦ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١)
شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو
بدر عبدالحق وغازي السعدي

---

٧ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)
مايكل جانسن
ترجمة محمود برهوم

---

٨ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣)
وثيقة جرم وادانة
غازي السعدي

---

٩ ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤)
اهداف ... لم تتحقّق
غازي السعدي

١٠ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥)
معتقل انصار ـ وصراع الارادات
سليم الجنيدي

١١ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦)
الحرب المضللة
زئيف شيف وايهود يعاري
ترجمة: غازي السعدي

١٢ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧)
فظائع الحرب اللبنانية
ترجمة: زكي درويش

١٣ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان(٨)
لبـــنان هزيمة المنتصرين وانتصار القضية
اللجنة ضد الحرب في لبنان

١٤ـ الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبـنان(٩)
الأسرى اليهود وصفقات المبادلة
إعداد: غازي السعدي

١٥ـ رسائل من قلب الحصار
من ابو عمار الى الجميع

١٦ـ يوميات من سجون الاحتلال (١)
زنزانة رقم (٧)
فاصل يونس

١٧ـ المثلث الايـراني: العـلاقـات السريـة الاسرائيلية الامريكية الايرانية في عهد الشاه
الصحفي شموئيل سيجف
ترجمة: غازي السعدي

١٨ـ هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟
مواقف اسرائيلية
آلوف هار ابن
ترجمة: غازي السعدي

١٩ـ عملية الدبويا كما يرويها منفذوها
المحامي درويش ناصر

٢٠ـ مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣ ـ ١٩٨٣
ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل
للدكتور نظام بركات

٢١ـ مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧ـ١٩٨٢
منير الهور وطارق الموسى

٢٢ـ غوش ايمونيم
الوجه الحقيقي للصهيونية
داني روبنشتاين
ترجمة: غازي السعدي

٢٣ـ عش العصفور
قصة للاطفال
منير الهور

٢٤ـ رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات
تأليف: د. احمد صبحي الدجاني

٢٥ـ ايام دامية في المسجد الاقصى المبارك
الدكتور احمد العلمي

٢٦ـ حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير
يوسف قراعين

٢٧ـ الاحد الاسود
تصوّر امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني
ترجمة: حسن اسماعيل مشعل

٢٨ـ خارطة فلسطين
وهي خارطة تمثّل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملوّنة)

٢٩ـ بروتوكولات حكماء صهيون
المجلد الاول ـ عجاج نويهض

٣٠ـ بروتوكولات حكماء صهيون
المجلد الثاني ـ عجاج نويهض

٣١ـ الاردن وفلسطين
وجهة نظر عربية
د. سعيد التل

٣٢ـ الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام
للدكتور فؤاد حمدي بسيسو

٣٣ـ الاستعمار وفلسطين
رفيق شاكر النتشه

٣٤ـ الحرب من اجل السلام
عيزر وايزمن ـ ترجمة غازي السعدي

٣٥ـ الموســـــاد، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري
دنيس اينبرغ، ايلي لاندو، اوري دان

٣٦ـ التوازن العسكري في الشرق الاوسط
اعـداد مركـز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب
ترجمة: نبيه الجزائري

٣٧ـ بطاقـات فنيـة (لوحـات فنيـة تعبر عن الانتماء الفلسطيني)
اعداد: د. كامل قعبر

٣٨ـ بطاقات فنية (مجموعة)
بطاقات على شكل دفتر الشيكات
اعداد: د. كامل قعبر

٣٩ـ الكتاب الاسود
عن يوم الارض ٣٠ آذار ١٩٧٦

٤٠ـ في سَرْبيّة الصحراء
سميح القاسم

٤١ـ الخيار النووي الاسرائيلي
شاي فيلدمان
ترجمة: غازي السعدي

٤٢ـ انتهاك حقوق الانسان في الاراضي المحتلة
شهادات مشفوعة بالقسم
ترجمة: سليم راغب ابو غوش

٤٣ـ نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الامير فهد وبريجنيف
خالد الحسن

٤٤ـ قراءة سياسية في مبادرة ريغان
خالد الحسن

٤٥ـ فلسطينيـــات
خالد الحسن

٤٦ـ الاتفاق الاردني ـ الفلسطيني للتحرك المشترك
خالـــد الحســــــن

٤٧ـ من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين(١)
جرائم الارغون وليحي ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨
يعقوب الياب ـ ترجمة غازي السعدي

٤٨ـ من ملفات الارهاب الصهيوني في اسرائيل(٢)
مجازر وممارسات ١٩٣٦ ـ ١٩٨٣
اعداد: غازي السعدي

٤٩ـ من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣)
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل
د. حمدان بدر

٥٠ـ ملصق يوم الارض
بريشة سليمان منصور

٥١ـ ملصق جمل المحامل
بريشة سليمان منصور

٥٢- ملصق قبة الصخرة
صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس

٥٣- فلسطين تاريخاً ونضالاً
نجيب الأحمد

٥٤- فلسطينيـــات في سجن النساء الاسرائيلي
طيور نفي ترتسا
وليد الفاهوم

٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء
اسرائيل عسكر وسلاح (١)
اعداد : بشير البرغوثي

٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في نظر القانون الدولي
محمد الرفاعي

٥٧- الجـــــذور
فتحي فوراني

٥٨- فلسطين ... الارض والوطن (١)
قرية الدوايمة
موسى عبدالسلام هديب

٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية
وجهة نظر اسرائيلية
اريه شليف
ترجمة : غازي السعدي

٦٠- تشريقة بني مازن
د . عبداللطيف عقل

٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة
اعداد : لجنة الحقوقيين الدولية
القانون من اجل الانسان

٦٢- صورة العربي في الادب اليهودي
الدكتورة ريزا دومب
ترجمة : عارف عطاري

٦٣- فلسطين ارض وتاريخ
د . محمد النحال

٦٤- القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها
فايز فهد جابر

٦٥- القضية الفلسطينية في القانون الدولي.. والوضع الراهن
د . جابر الراوي

٦٦- شوكة في عيونـــكم
منير كهانا
ترجمة : غازي السعدي

٦٧- حرب الاستنزاف
د . محمد حمزة

٦٨- القـــــرار
الفان واثنا عشر يوماً في سجون الاحتلال
رشاد احمد الصغيّـر

٦٩- المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة
بشير شريف البرغوثي

٧٠- ازمة الاستخبارات الاسرائيلية
تسفي لنير
قسم الدراسات

٧١- اسرائيل عام ٢٠٠٠
(تصورات اسرائيلية)

٧٢- دعوى نزع الملكية
الاستيطان اليهودي والعرب
في الفترة ١٨٧٨ ١٩٤٨
ترجمة بشير البرغوثي

٧٣- ندوة مشاكل التعليم الجامعي
في الوطن المحتل والروح الجامعية

٧٤- سميح القاسم
- قصائد -
شخص غير مرغوب فيه

٧٥- الشخصية العربية (٢)
في الادب العبري الحديث
١٩٤٨ - ١٩٨٥
غانم مزعل

٧٦- القضية الفلسطينية
اكرم زعيتر

٧٧- فلسطين الام وابنها البار
عبدالقادر الحسيني
عيسى خليل محسن

٧٨- عرب التركمان
ابناء مرج ابن عامر
الجزء الاول
تاليف علياء الخطيب

٧٩- المرأة الفلسطينية
والاحتلال الاسرائيلي
تاليف ميسون العطاونة الوحيدي

٨٠- نادية برادلي
الفدائية المغربية الشقراء
ترجمة: غسان كمال

٨١- الاعلام الاسرائيلي
غازي السعدي ومنير الهور

٨٢- تقرير الارض المحتلة
المقدم الى الدورة (١٨)
للمجلس الوطني الفلسطيني
اعداد: قسم الدراسات والابحاث

٨٣- الوجه الحقيقي للموساد
د. وجيه الحاج سالم
و أنور خلف

٨٤- العمق الاستراتيجي
في الحروب الحديثة
ترجمة بدر عقيلي

٨٥- شخصيات صهيونية (١)
مذكرات الجنرال رفائيل ايتان
ترجمة غازي السعدي

٨٦- شخصيات صهيونية (٢)
شلومو هيلل
وتهجير يهود العراق
ترجمة: غازي السعدي

٨٧- شخصيات صهيونية (٣)
تيودور هيرتسل
عراب الحركة الصهيونية
اعداد قسم الدراسات

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية (١٩٨٨/٧/٣٩٢)
رقم الاجازة المتسلسلة ١٩٨٨/٧/٣٦٧

طبع في شركة الشرق الاوسط للطباعة ـ تلفون ٨٩٤٩٤٠/٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦ ـ ماركا الشمالية / عمان / الأردن

